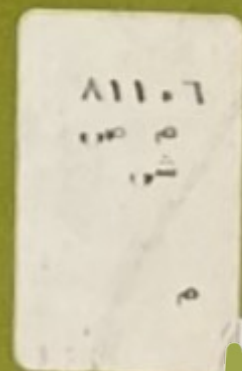


مجلد



شعواء

الوطنية في السودان



د. صلاح الدين المليك

شعراء الوطنية في السودان من عهد الفرنج إلى عام ١٩٧٠م
د. صلاح الدين المليك
دار التأليف والترجمة والنشر - جامعة الخرطوم
١٩٧٥م

صفحة رقم ١

سنة

١٦ - جبهة الحاج عبد الرحمن ضد عظامته بله

٥٧

رقم ٢٤٠ / ١٩٧٣ / ١٧ ، ١ / ١٩٧٤

١٧ - جمعه أحمد عطيه ضد محمد أحمد صديق

٦٥

رقم ٨٧ / ١٩٧٢ / ٢١٢ ، ١ / ١٩٧٣

(ح)

١٨ - حياتي عباس وآخريين ضد عثمان أحمد للصطفى

١٢٦ ، ٢٤

رقم ١٦٢ / ١٩٧٣ / ١٣ ، ٣ / ١٩٧٣

(خ)

١٩ - خديجة عمر ضد (ورثة المرحوم) عبد الله الماحي

١٢٧

رقم ٢٠٥ / ١٩٧٢ / ١١ ، ٣ / ١٩٧٣

(د)

٢٠ - دار الصحافة للطباعة والنشر ضد نخوده العركي

١٢٧ ، ٧٤ ، ٤٥ عثمان

رقم ٧٧ / ١٩٧٤ / ٢٠ ، ٦ / ١٩٧٣

٢١ - دنيق مادوس ضد شركة الخرطوم لصناعة الطاب

٣٨

رقم ١٣١ / ١٩٧٢ / ٨ ، ٤ / ١٩٧٣

(ز)

٢٢ - (ورثة) زينب عكاشة ضد أحمد إبراهيم حسن

١٠٢ ، ٦٦

رقم ١١٠ / ١٩٧٢ / ٢٩ ، ١١ / ١٩٧٢

الصفحة

(ش)

٢٣ - شاكر اندراوس ضد محمد أحمد عبد القادر

رقم ٨٠٠ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٤

٢٤ - شركة اتحاد المهندسين ضد عمر محمد علي

رقم ١١٨ / ١٩٧٢ ، ١٤ / ٢ / ١٩٧٣

(ص)

٢٥ - صبحي عبد المسيح ضد شركة الخطوط الشرقية

رقم ٨٤ / ١٩٧٣ ، ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٤

٢٦ - صديق عمر بقادى ضد محمود عمر بقادى

رقم ٢٣٧ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ٥ / ١٩٧٣

(ع)

٢٧ - عائشة عبد الرحمن ضد عبد الله مالك عبد الرحمن

رقم ١٧١ / ١٩٧٣ ، ٢١ / ٤ / ١٩٧٣

٢٨ - (ورثة) عبد الرحمن محمد عشا ضد علي عبد الرحمن عشا

رقم ٢٨ / ١٩٧٤ ، ١٩ / ٣ / ١٩٧٤

٢٩ - عبد العزيز محمد ابراهيم رشوان ضد أحمد

محمد البرير وشركة التأمينات العامة

رقم ٤٤٧ / ١٩٧٤ ، ١٨ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٥٦ ٣٠ - عبد الكريم علي ضد مصطفى أحمد

رقم ١٦٠ / ١٩٧٣ ، ٢ / ٧ / ١٩٧٣

٩٢ ، ٨٦ ، ٥٨ ، ٤٩ ٣١ - عبد الله الطيب ضد محمد الباشا

رقم ٧٤ / ١٩٧٢ ، ١٤ / ١١ / ١٩٧٢

٦٤ ٣٢ - عدلان طه عدلان ضد تاج الدين محمد عبد الرازق

رقم ٢٨ / ١٩٧٣ ، ١٥ / ٣ / ١٩٧٣

١٠١ ٣٣ - علي أكل قونج ضد أصايا كون

رقم ٣٠٢ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ١٢ / ١٩٧٣

١٢٦ ، ٥٢ ٣٤ - عمر هلال ضد عبد المطلب الشايب

رقم ٢٥٤ / ١٩٧٣ ، ٦ / ٨ / ١٩٧٣

(م)

١٠١ ، ٥٣ ٣٥ - محبوب علي الأمين ضد (وريثة) أ. بولاص

رقم ٤٦١ / ١٩٧٣ ، ٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٩٨ ، ٦٠ ٣٦ - محمد أبو العزائم مدني ضد مدني أبو الحسن محمد

رقم ٢٩٥ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣

٣٧ - محمد اسماعيل علي ضد الشركة السودانية

٨٠ لما وراء البحار

رقم ٥٠٦ / ١٩٧٣ ، ١٦ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٣٨ - محمد البلولة ابراهيم ضد مرحوم بابكر

٩٠، ٥٠، ٢٣

رقم ٤ / ١٩٧٢، ٣٠ / ٩ / ١٩٧٢

٣٩ - محمد الحسن عبد الرحمن وآخرين ضد ورثة

الطيب مجذوب

١٢٥، ١٠١

رقم ٦٠٢ / ١٩٧٢، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤

٤٠ - محمد جبر الله الأحيمر ضد السيد عيسى الفكي

١٠٢

رقم ٦٧٥ / ١٩٧٣، ١١ / ١٢ / ١٩٧٣

٤١ - محمد زين عبد الرحمن ضد بابكر صالح

١٢٥

رقم ٣٥٦ / ١٩٧٣، ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣

٤٢ - محمد علي أبو كوع وآخرين ضد (ورثة) محمد

عبد القادر أبو ريذة

٥٢، ٣٢

رقم ٩٥ / ١٩٧٢، ١٢ / ٣ / ١٩٧٣

٤٣ - محمد محمود عبيد ضد عواطف محمود حسن

١٠١، ١٠٠

رقم ١٠٣ / ١٩٧٤، ٩ / ٦ / ١٩٧٤

٤٤ - محمد نبيل فهمي ضد دانيال شحاته

٨٤، ٥٨

رقم ٦٧ / ١٩٧٢، ٢٢ / ١١ / ١٩٧٢

٤٥ - محمد بن بابكر محمد ضد (ورثة) عدلان سميل

٩٢، ٨٨، ٨٦، ٧٢

رقم ١٣٢ / ١٩٧٢، ١٨ / ٣ / ١٩٧٣

الصفحة

١٠٩ . . . ٤٦ - مذثر القراى ضد يحيى ابراهيم الحسين
رقم ٤٩٥ / ١٩٧٣ ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣

١٠٦ . . . ٤٧ - مؤسسة كريكاب ضد اخوان كيب وتيودور
رقم ٧٣٦ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤

(و)

١٠٧ . . . ٤٨ - وزارة التربية والتعليم ضد أحمد فضيل حسن
عبد النعم
رقم ٦٦٤ / ١٩٧٣ ، ٧ / ٢ / ١٩٧٤

(ى)

١٠٠ ، ٢٦ . . . ٤٩ - يوسف عبد المال ضد البادى طه فضل
رقم ١٨١ / ١٩٧٢ ، ٣١ / ١١ / ١٩٧٣

صفحة رقم ٨

صفحة رقم ٩

صفحة رقم ١٠

صفحة رقم ١١

وكتراث عربي اسلامي نعتده لحاضرنا ومستقبلنا . اما الهدف الثالث الذي لا
ولا يعد هو ان يكون مرجعا لدارسي الادب السوداني وحافزا للنظر في مساهمته
به البيئة السودانية من موضوعات تستحق ان ينفق الوقت والجهد في الكتابة عنها ،
وللنظر في ما يملأ المجتمع السوداني من ثروات تحتاج إلى بحث الباحثين وتنقيب
المنقبين وفقد الناقدين .

اننى اذ اسأل الله التوفيق فيما قصدت لاحمده الحمد كل الحمد واشكر كل
من أعان على اخراج هذا المؤلف ثم اعذر للقارئ عما قد يجد أو يلاحظ من تقصير
أو سهو ، والكمال لله أولا وآخرا .

صلاح الدين المليك

نوفمبر ١٩٧٣

المقدمة

السودان قبل محمد علي

المناخ الفكري :

للسودان من بين البلاد الأفريقية وضع فريد في سجل الحضارة الإفريقية القديمة لا يشركه فيه بلد من بلدانها المختلفة ، وإن كان بعضها يفوقه لظروف خاصة . شهد السودان مدينة مسيحية انتشرت في بعض ربوعه ردحا من الزمن ، و « كان يسكن في بلاد النوبة السفلى قوم يقال لهم المقررة ، وأول أرض المقررة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان . ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من أسوان ويقال إن موسى صلوات الله عليه غزاها قبل منبعثه في أيام فرعون فأخرب نافة . فالنوبة والمقررة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلدهم وبين أسوان خمسة أميال ويقال إن سلها جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن . وقيل النوبة والمقررة من حمير وأكثر أهل الانساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح . وكان بين النوبة والمقررة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا - النوبة والمقررة ومدينة دنقلة هي عاصمة ملكهم » (١) قامت هذه المملكة في شمال السودان ، ومن العاصمة دنقلا انتشرت تعاليم المسيحية بين الناس وسادت أوساطهم وتغلغلت في النفوس والرؤوس .

وفي بقعة أخرى من السودان ، وفي وسطه بنى فريق من النوبة « يقال لهم علوة (٢) مدينة عظيمة سموها سوبا وبسطوا سلطانهم على ما جاورها من البقاع واتسعت رقعة دولتهم ، حتى أن من « سار فيها يريد أقصاها لم يأت عليه بعد ستين (٣) وفي سوبا « أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين (٤)

١ - المخطوط - المقرري ١ ، ١٩١ ، ١٩٢ .

٢ - تاريخ السودان - نعوم شقير . بيروت ٢٤٣ .

٣ - نفس المصدر ٣٤٤ .

٤ - المخطوط . المقرري ١ ، ١٩٣ .

المطلوب من الواثق لمكانه شيخه الدينية . فالذى مكنته الظروف من أن يدرس في مدرسة ما مبادئ القراءة والكتابة وتحصيل القرآن أو جزء منه يهيمن على حياة القرية الدينية والثقافية والاجتماعية أحيانا» (١) . وهذا يعنى ان التعمق في أمور الدين وفي غيرها لم يكن غاية الكثيرين لذلك انصرفوا إلى المتصوفة وأخذوا يترددون على حلقاتهم ويروون أخبارهم وكراماتهم أكثر مما يروون أخبار الملوك والسلاطين» (٢) وهذا يعنى أيضا سيطرة نوع معين من الأفكار ينشرها أولئك الذين يفدون على الشيوخ ويدعمونها بما يسمعون منهم ومن تلاميذهم من حوادث وخوارق تحدث على أيدي الشيوخ في حياتهم أو بعد مماتهم أو كوارث تصيب مخالفيهم أو منافسيهم . لم تلتفت عامة الناس إلى شيء في الحياة ، ولم تكن هنالك حروب متصلة (المنازعات قبلية) تشغلهم ، والزراعة يسيرة موسمية ، والتجارة محدودة في مداها وفي اصنافها لذلك أصيب المجتمع السوداني بشيء من الفراغ ألجأ الناس إلى تلك الخلفات وأفكار ونجم عن هذا « شعور ديني مسرف في الولاء للشيخ وتعلق بالغيب» (٣) وقبل المسيحية والاسلام عرف السودان حضارة الفراعنة وهي حضارة بثت فيه تقاليد وافكارا بقي أثرها زمنيًا طويلًا — فمملكة مروي الشهيرة تدل آثارها القائمة إلى الآن قرب مدينة شندي على حضارة نستشف منها ما كان عليه المجتمع من رقي فكري ونظام اجتماعي ، وقد نالت تلك المملكة « شهرة في التاريخ . وذكرها المؤرخ اليوناني هيرودوتس» (٤) . وقامت في شمال السودان مملكة أخرى هي نبتة ، تركت هذه المملكة أيضا آثارا تكشف عن مدى ما وصل اليه المجتمع في عصرها .

مع هاته الحضارات العريقة التي ازدهرت في شمال السودان وخلفت آثارا اجتماعية وعمرانية شملت الجنوب حضارة أفريقيا السوداء وتجلت في فنون شعبية متعددة كموسيقى الطبول وصناعة التماثيل وفي بعض الأفكار والعادات ، وقد امتدت جذور هذه الحضارة من الجنوب إلى اواسط السودان وتفرعت من هنالك إلى الشرق والغرب والتقت مع مثيلاتها وامتزجت بهن ، ولعلها طغت عليهن أو على

١ - السودان في قرن - ٥

٢ - السودان في قرن - ٤

٣ - الشعر السوداني في المعارك السياسية م . م . ع ٤٤

٤ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ٣٢١

٥٦ ما صغر ضا قرحه؟

بعضهن في بعض المناطق في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، وهذا يدل على قوتها ، إلا أنها لم تقو على مبادئ العقيدة الإسلامية وعلى تعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نخلص مما قدمنا إلى أن هذا المزيج الدسم هو الذي كون العقلية السودانية وغذاها أو بعبارة أخرى هو المناخ الذي نمت فيه وعاشت قبل الفتح وقد أثر هذا المناخ ثمرات متعددة منها :

المؤرخون العرب بن محمد

١ - الديني : وهو عبارة عن شروح لبعض كتب الاقدمين ومؤلفات منها : -
ألف ارباب بن علي بن عون « كتابا في اركان الايمان وسماه الجواهر » (١)
وشرح « محمد بن محمد كداوى أم البراهين » . (٢)

٢ - الأدبي : وهو قصائد من الشعر في الممدح - فقد مدحوا رجال الدولة ومن ذلك قصيدة (٣) الشيخ عمر المغربي في ممدح الملك بادي أبو دقن ، ومدحوا أيضا شيوخهم كمدح « علي ود الشافعي » شيخه عمار بن عبد الحفيظ (٤) ، وقصائد أخرى رثي بها بعض التلاميذ الاوفياء اساتذتهم الذين غدوهم بعلمهم وعطفهم كقصيدة الفقيه ابراهيم عبد الدافع التي رثي بها الفقيه احمد بن عيسى .. وغير هؤلاء الذين ذكرنا كثيرين ، نظم بعضهم مدائح ومراثي ، وكان لبعضهم اشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مثل مضوى بن مدني .

لا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن إحدى حكومات ما قبل الغزو المصري التركي ، وهي حكومة الفونج حفظت للعلماء والمتصوفين مكانتهم ، وقدرت علمهم واجتهادهم في سبيل حفظ التراث كما استعان بهم بعض ملوكها كالملك « محمد أبو لكيك » الذي اعتمد في الفقيه داود بن محمد واخذ يشاوره في جميع أموره « كما أن « الملك بادي أبو شلوخ طلب من جميع المراتب الدعاء » لما كادت

١ - الطبقات صديق ٣١

٢ - الطبقات صديق ٣٢

٣ - مخطوطة كآب الشونة

٤ - الطبقات صديق ١١٨

جيوشه تنهزم أمام بعض الغزاة . ولهذا الحكومة قدم راسخة في ميدان نشر العلم والمعرفة ، فقد اشتهر في عهدها « الرواق السناري » وهو مكان سكن السودانين الذين هاجروا إلى مصر للدراسة في الأزهر .

١ - وبجنب العربية التي نشرها القونج انتشرت الطرق الصوفية ، وقامت تلك الطرق « بدور خرافي غيبي يستغل ميل الناس إلى العاطفة » . (١)

الوحدة الادارية ودورها في خلق الوطن السوداني : **الدهر التركي**
نعلم أن جيوش محمد علي دخلت السودان وتوغلت في أقاليمه شرقا وغربا وجنوبا ، وبذلك امتد النفوذ المصري التركي من مصب النيل إلى المناطق الاستوائية حتى كاد يبلغ منابعه جنوبا وبذلك أيضا اختتمت حقبة من الزمن اتسمت بسمات خاصة أهمها :-

١ - الانقسام والتفكك ، لأن البلاد كلها كانت دويلات لارابط بينها .

٢ - سيطرة القبلية ، لان كل دولة من تلك الدويلات حكمتها قبيلة واحدة وتغلبت عليها حتى صار الحكم محصورا في تلك القبيلة أو في بيت أو عائلة منها يرثه أحد رجالها عن ابيه أو جده أو أخيه .

ودخلت البلاد مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الطويل ، وشهدت هذه المرحلة الجديدة تغييرا في كثير من أوجه الحياة ، فقد جاء البلاد حاكم ذو فكرة معينة وغرض محدد وله جيش قوى يسنده واعوان مخلصون مطيعون كثيرون . ولتنفيذ الفكرة التي جاء بها ، ولتحقيق الغرض المحدد الذي من أجله زحفت الجيوش وازهقت بعض الارواح كان ذلك التغيير . وبذلك كله دخلت حياة الاهلين طورا جديدا انتقلت فيه من الانكماش داخل حدود الاقليم أو القطر إلى الانطلاق إلى الاقاليم الأخرى وإلى الاقطار المجاورة لاسيما مصر ، فقد انفتحت الابواب بعد الفتح وه وجدت القبائل نفسها حرة بحيث تستطيع التنقل في المكان الذي يطيب لها فيه المرعى ، وممارسة الحياة فالمواصلات اصبحت سهلة والأمن صار مستتباً . (٢) استمر التنقل وكثر الاتصال بين الناس من مختلف القبائل والبقاع ، وبما أن الدويلات

١ - الشعر الحديث في السودان ع. بدوي ٢٦٩

٢ - الشعر الحديث في السودان ع. بدوي ٢١٥

القبيلة قد زالت وحلت محلها حكومة واحدة لان محمد علي « أعطى السودان ادارة موحدة » (١) وجعل (٢) من أقاليم السودان المنفصلة وحدة سياسية اذ قسمه إلى مناطق سمي الواحدة منها مديرية يحكمها « مدير » ، وكل المديرين يرأسهم حاكم مقره الخرطوم - العاصمة ، زالت الفوارق والخواجز ، ونفت حدة العصبية و « ضعف الاحساس » (٣) بالحياة القبلية فقد أحس الناس أنهم تحت نظام موحد ، وأن السلطة لم تعد للقبيلة « ، وقد أدى كل هذا إلى توحيد ولاء الاهلين للحكومة ، وهذا بدوره أدى إلى انتراع ولائهم من القبيلة أي إلى جمعهم كلهم في طاعة هيئة واحدة بسطت نفوذها على بلدهم ، ووضعت لهم قانونا واحدا يسرى عليهم كلهم دون استثناء ، ووضعت كذلك أنظمة أخرى متعددة تنطبق عليهم كلهم لا يشذ فرد ولا تخرج عنها جماعة .

مع كل ما تقدم نجد ان السفر داخل المناطق او من اقليم إلى آخر قد سهل ، وأخذ الناس يرحلون في طمأنينة لانهم لا يخافون الغارات ، ولا يخاطر الطريق الآخر ولا ينشغلون عن السفر بحروب قبلية « وقد ترتب على هذا أن اختلطت الدماء والانساب وبخاصة الدماء العربية التي كانت تترج بالسكان في سرعة مذهلة كما ترتب عليه تهيئة السودان الموحد لاداء دورة كاملا في المحيط الاسلامي الكبير مستغنيا في ذلك بحركة التجميع السياسي إلى جانب حركة التجميع الصوفي وازدهار البحث العلمي في البلاد . »

ومضى الزمن والناس على هذا الحال تحكمهم حكومة واحدة وينطبق عليهم قانون واحد وتعتبر الحكومة بلدهم قطرا واحدا . وهم ينتقلون داخله كيفما يشاءون ويقيمون حيث تطيب لهم الإقامة دون قيود او حدود ، ولهذا يمكننا القول بأن الحكومة بتوحيدها الادارة مهدت السبيل إلى خلق وطن سوداني .

١ - السودان في قرن

٢ - تقرير لجنة الخدمة ٢٨

٣ - الشعر الحديث في السودان ع . يوليو ٢١٢

الفصل الاول

شعراء ما قبل المهديّة

لم يكن السودان لدى مقدم الأتراك إليه واستيلائهم على سلطنة الحكم فيه خاليا من نظام تعليمي أو خلوا من أية حركة تثقيفية توجيهية ، بل كان فيه تعليم ديني يتلقاه المتعلمون في المساجد على شيوخ علماء ، وفي الخلاوى حيث يتلقون مبادئ الدين ويتلقون القرآن ثم يحفظونه عن ظهر قلب . هذا النوع من التعليم هو أساس ثقافة كثيرين من الشعراء الذي ستحدث عنهم في الفصول القادمة من هذا البحث . لم تكن هذه الخلاوى وتلك المساجد محصورة في بقعة واحدة أو منطقة معينة وإنما تناثرت هنا وهناك ، وطبقت شهرة بعضها الآفاق واشتهر معها الرجال الذين قاموا بالتدريس فيها ، كما شهرت القرى التي قامت فيها ، فقرية « كترانج » مثلا مكان المسجد المعروف الذي درس فيه العالم الفقيه أحمد ولد عيسى ، وقرية « أبي حراز » مسكن العالم المتصوف ذفع الله ابن الشيخ محمد العركي فيها مسجد وعدد من الخلاوى ودرس فيها أعداد من الطلاب ، والشيخ حسن ولد حسونة أقام في قرية عرفت باسمه وأصبحت ملتقى لطلاب الفقه والمراغبين في حفظ القرآن . على أيدي هؤلاء الرجال ومن تلك البقاع شبع نور المعارف الدينية وانتشر حتى عم أرجاء القطر .

لما قامت حكومة العهد المصري التركي شجعت هذا التعليم لأنها رأت فيه دعما « للثقافة العربية الإسلامية » ، وكان الولاة أيضا يرون في هذا النوع من التعليم نفعا يعود على الدولة وعلى الرعايا - فهو معين على تثبيت دعائم الحكم ، وها هم أولاء « يعيدون الازهريين (١) السودانيين » من مصر إلى السودان ، وهو يكفل للرعايا قدرا من المعرفة يستعينون به على أمور الدين والدنيا ، لذلك « اعان اسماعيل مدارس القرآن والعلوم الشرعية » (٢) ، إلا أنهم لم يكتفوا بهذا النوع من التعليم

١ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ١١٦

٢ السودان في قرن ٧٤

لانه وان وفي بحاجات البلاد الروحية لم يف بعض حاجاتها الأخرى ، فالنظام
الحديد يحتاج إلى موظفين يساعدون في ادارة ذولاب الدولة ، وللقينام
بأعمال كثيرة كتابية وحسابية لذلك « بدأ التعليم المدني في العهد التركي لسد حاجات
البلاد وتمشيا مع التطور » (١) وفتحت المدارس في بعض المدن ، أوأخذت الحكومة في
ارسال وفود من السودانيين ليتلقوا في مصر تعليما يؤدي إلى سير الادارة الحكومية
سيراً مرضياً محققاً لأغراض القائمين بالأمر في السودان وفي مصر ، ولم يكن
الغرض من التعليم المدني « تكوين المواطن الصالح — كما هو الحال في مصر تقريباً —
ولم يربط بيئة البلاد واحتياجاتها وقدراتها من قريب أو بعيد ومن هنا فلم يأت
بالثمرة المرجوة » . (٢)

ومهما يكن أمر التعليم المدني وإنشأؤه وأهدافه وثمراته ، فإن الذي يعيننا في
المرتبة الأولى في هذا المقام هو التعليم الديني لانه أخرج للسودان وللعالمين العربي
والاسلامي الرعيل الأولى من شعراء هم نتاج ثقافات متعددة ومتنوعة .

المسلمون والخلافة التركية :-

بعد أن غزت جيوش محمد علي السودان واستولت عليه بجميع أقاليمه أصبح
جزءاً من الامبراطورية العثمانية ومعنى هذا أن سكانه كانوا يدينون بالولاء والطاعة
للمتربع على عرش الامبراطورية المتولى خلافة المسلمين ، وهو صاحب السلطة
الزمنية والروحية ، أمره مطاع ، وكلمته لا ترد ، والخروج عليه خروج من الدين
فمصر التي فكرز واليها محمد علي في فتح السودان ، وفتحه فعلاً ، جزء من تلك
الامبراطورية ، وقد عين الخليفة المتربع على عرش تلك الامبراطورية ذلك الوالى .
فكيف لا يكون السودان جزءاً من هذا الكيان وقد صار السودان تابعاً لمصر سياسياً
وادارياً ، وأصبح اهلوه رعياً لصاحب الشأن في مصر ، وهو وشعب مصر من
رعيا الخليفة . وأهل السودان في الشمال والشرق والوسط والغرب مسلمون من
قديم الزمان ، رسخت فيهم العقيدة ، ونشأت اجيالهم المتعاقبة في بيئات اسلامية
خالصة واشربت نفوسهم تعاليم الاسلام وتقاليده ولهذا سرت فيهم الروح الاسلامية

١ الشعر الحديث في السودان ع. بدوى ١٧٤

٢ المرجع السابق . .

وتغلغت ولهذا أيضا هم يعرفون قدر الخليفة ، ومعنى الخلافة ، ويربطون طاعة الخليفة وتقدير الخلافة بالماضي — بالنبي صلى الله عليه وسلم وجهاده وإخلاصه لربه ولأتباعه ، وبالراشدين وسيرهم في الحكم وسيرتهم بين المسلمين ، ويربطونها أيضا بحاضرهم وما يصيبهم فيه من توفيق أو اخفاق ، أو ما يعرض لهم من خير وشر ، ويربطونها أيضا بمستقبلهم في الحياة وفي ما بعد الحياة أحيانا .

فالخليفة وإن لم يصل درجة النبي ، وإن لم يبلغ مبلغه في القرب من الحق عز وجل وفي أمور أخرى كثيرة إلا أنه يحل محله في تصرف شئون المسلمين — شئون الحكم والدفاع والقضاء ، وفي القيادة والزعامة الروحية ، وفي كل ما يتصل برعايتهم وحمايتهم . إن الخليفة يكفل لهم كل ذلك ، وهم بدورهم يطيعونه ولا يقفون عند حد الطاعة بل يحجمون عن الدخول في أى أمر لا يقره الخليفة ، والسودانيون وهم مسلمون « كانوا يتعلقون بتركيا أيام كانت الخلافة فيها ، وكانوا ينظرون إلى الأتراك نظرة اكبار ، فالشيخ ادريس ود الأرباب أفتى في مسألة فقهية استنادا على أمر من أوامر سلطان تركيا سوقد رفض فريق من السودانيين الدخول في أمر المهديّة محتجين بأنها خروج على السلطان وطاعة السلطان مما يوجب الدين (١) .

إن المسلمين في كل زمان ومكان تعلقوا بخليفتهم ، ولم يمنعهم من ذلك مانع منهما كان ، وكلنا يعرف قصة المرأة العربية التي استغاثت حين وقع عليها الضيم في عمورية قائلة « وامعتصماه » ، وكلنا يعرف ما حدث بعد ذلك . وفي عصرنا هذا ظل الشعراء المسلمون يمجّدون الخليفة والخلافة في شعرهم ، ويسجلون أحداثها الكبيرة اجتماعية كانت أو سياسية في شعرهم ، وفي كل من شوقي وحافظ خير دليل لذلك ففي ديوان كل منهما عدد من القصائد التي نظمت في موضوعات تتصل بخليفة المسلمين وحكومته من قريب أو من بعيد . إن الشاعرين بما نظمنا يعبران عن مشاعر المسلمين في مصر ، ويمكننا القول بأنهما أيضا يفصحان عما يجيش في نفوس مسلمي اقطار أخرى لما لكل منهما من مكانة في تلك الاقطار .

إن أمير الشعراء شوقي استقبل الطائرة التركية « ادرميد » التي اقلعت من تركيا يقودها طياران تركيان ونزلت في مصر بقصيدة منها :

١ الشعر السوداني في المعارك السياسية م . م . حل ٣٦١

الدول ذات الصلة بالمسلمين ، أو تلك التي سيطرت عليهم سيطرة مباشرة أو غير مباشرة ، وكانت تلك الدول المسيطرة تحسب حساب هذا التعلق في معاملاتها الرسمية والخاصة ، وتحسب حسابه كذلك في رسم سياستها في حكم المسلمين . فلما قامت الحرب الكبرى الأولى في عام ١٩١٤ ، ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ، صارت بدخولها هذا عدوا لبريطانيا التي تحكم اقطارا سكانها مسلمون ، والمسلمون لا يعارضون خليفتهم ولا يخرجون عن طاعته ناهيك بمعاداته أو محاربتة ، أو معاونة اعدائه من غير المسلمين ، لقد اختلف المسلمون في الماضي وانقسموا وخرجوا على الخليفة وحملوا السلاح وقتلوا جنود الخليفة ، الا أن الخلاف في ذلك الزمن كان داخليا سياسيا ولم تدخل فيه عناصر أجنبية غير اسلامية . ومهما يكن من شيء فإن البريطانيين في السودان انزعجوا وبدأوا يعدون ترياقا لما قد ينجم عن ولاء المسلمين لسلطان تركيا وعن تعلقهم به لانه خليفتهم ، وقد صار عدوا لحكامهم ، فكان ان استكتبوا زعماء السودان عبارات التأييد وجمعت في كتاب فكان سفر الولاء و « كان الزعماء محمولين على ذلك حملا ليهدأ الشعب » (١).

الشعور الوطني والشعور الديني :

« كان الشعور الديني يطغى احيانا كثيرة ويسيطر على المجتمع الاسلامي سيطرة تامة ودليل ذلك أنهم تقبلوا حكم العثمانيين ، وهم غير عرب ، وكان بعض الزعماء والمفكرين امثال جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي يفهمون الوطنية على أساس ديني ، وقد دفع هذا الشعور بالامام محمد عبده إلى أن يقول « ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثلاثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين » (٢) .

تبع هؤلاء المفكرين عدد من ذوي الرأي في مصر وغيرها ، وتعلقوا بالخلافة رغما عن مظالم الاتراك وعجمتهم فبكى الشعراء الخلافة لما الغيت ، وانكروا على دعاة القومية دعوتهم — كل هذا يدل على سيطرة الشعور الديني وتغلبه على الشعور الوطني في أقاليم المجموعة الاسلامية المختلفة .

١ - الشعر السوداني في المارك السياسية م . م . على ٣٦٢

٢ - الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ٣٦

وفي السودان قامت ثورة محمد أحمد المهدي باسم الدين : فقد أعلنها ثورة على مظالم حاقت بمسلمين مسالمين هم أهل السودان ، ثورة على مفسد حدثت على مسمع ومرأى من حكام كانوا يمثلون إلى حد ما أعلى وأكبر سلطة دينية في العالم الاسلامي ، واستجاب الناس للمهدي وتبعوه وحالفه النصر مرة بعد أخرى ، وكلما انتصر ازداد عدد أتباعه ، وسرى الحماس في جنوده وظلوا يقاتلون وينتصرون إلى أن تم لهم ما أرادوا من اجلاء الأتراك والاستيلاء على زمام الأمور في البلاد فلو ان محمد أحمد المهدي أعلنها ثورة وطنية ، ودعا الناس إلى محاربة الحاكم الذخيل ، وتحرير أرض الوطن من سيطرته ، أفكان يجمد نفس التأييد والاستجابة أكان يجمد أي قدر من المساندة والتعصيد أو أي نوع من القبول بين الناس ؟

مكان السودان في نظر هؤلاء الشعراء من مصر ومن العالم الاسلامي :

لقد كان لدولة الفونج فضل كبير في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، ففي عهدهم انتشرت الخلاوى في بقاع السودان المختلفة ، ومن مآثر ملوكهم أنهم عتوا بالاسلام واللغة العربية ومن مظاهر تلك العناية « أن قربوا اليهم كثيرا من العلماء والمتصوفة واغروهم بالهجرة إلى سنار ، فتجمع حولهم طلاب العلم والتصوف من نواحي السودان المختلفة ومن خارجه ، كذلك أقطعوهم الكثير من الضياع الواسعة في أماكن متفرقة من البلاد وأجزلوا لهم الهدايا وكانوا لا يردون لهم شفاعاة بل جعلوهم أهل مشورتهم ومحل اعتقادهم (١) » ولم يقف جهد الفونج عند هذا الحد ، بل انه في زمنهم بدأت دراسة العربية النصحى تجد آذانا صاغية ، وعرفت صلات أدبية بين ملوك الفونج وبين أدباء مصر (٢) ، ولكن هذه العناية التي أولاها ملوك الفونج اللغة العربية لم تتضح لنا ، ولم يقل أحد شيئا عن مداها وكيفيتها ، ولم يقل أحد شيئا عن دراستها ، أو عن وسائل تلك الدراسة ، ولعل الذين قالوا بالعناية أو تحدثوا عن الدراسة أرادوا العناية والدراسة غير المباشرين والمتأئين عن طريق دراسة كتب الصوفية ، والمؤلفات الدينية الأخرى . ومنها يمكن من شيء فانه « الملك يادى كان حريصا على الصلة العلمية بمصر وكان معززا

١ - تراث الشعر السوداني ع . الأمين ١٢

٢ - تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ١٨٩

هذه الصلة بهداياه . وهو « بادي أبو دقن » من ملوك الفونج الذين طار ذكرهم وعبر حدود السودان إلى المناطق المجاورة و « من مآثره التي رويت عنه ان كان يكرم العلماء في بلاده ، ويرسل الهدايا لعلماء الازهر ، منهم من مدحه بقصائد (١) فالشيخ عمر المغربي احد علماء الازهر الشريف مدحه بقصيدتين اولاهما من ستة وستين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر إلى الغرب يهدي نحوه طيب المذكر (٢)
وفيها يقول : —

إلى حضرة السلطان والملك الذي	حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادي الذي له	مناقب قد جلت عن العد والحصر
حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا	واصبح صدرا للعلا حائز الصدر
وجرد للاسلام والملك صارما	أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده	وفاز بأنواع المثوبة والأجر
وهدم اركان المظالم عدله	فما كان زيد النحو يسطو على عمرو

ثم يقول :

بدولته « سناز » قد زاد أنسها	وتاهت وباهت بالمسرات والبشر
وأصبح أهلوها بخير ونعمة	يقابل كل نعمة الله بالشكر
واضحت به « سناز » في الانس والصفاء	وتاهت على البلدان حتى على مصر
صفاء وقتها واخضر عيش لأهلها	وقد لبست تاجا بأيامه الخضر

هذه القصيدة — صحت نسبتها للشيخ عمر المغربي أو لم تصح — تكشف عن رأي الشيخ وهو عالم تخرج في أكبر جامعة اسلامية في الملك بادي الجالس على عرش ملوك الفونج ، فان كان قائلها فالرأي رأي ، وان لم يكن هو القائل فلعله اختار من كلام غيره وغير وبدل منه لأنه وجد فيه ما يناسب المقام — مقام حاكم لغته

١ — السودان في قرن ٣٠

٢ — مخطوطة كاتب الشونة ١١ ، ويقول المحقق : « أنها منقولة من كتاب الاعلام بأعلام بيت الله الحرام مباشرة أو بطريق غير مباشر مع كثر من التحريف اللفظي والحذف لتصبح مناسبة للملك بادي » .

إذا كان لم تصح عليه - ٢٥ - يكون هوداي

العربية ودينه الاسلام وهذان رباطان يربطان الحاكـم وقومه بالشاعر وقومه أوثق
 الربط وأبقاه على من الزمن ، ولعل الشاعر وجد في كلام غيره ما يقوم بواجب
 الشكر للملك سبق بالفضل وأهدى إليه هدية . ولنتأمل بعد هذا الأبيات التي أخذناها
 من القصيدة الأولى - ففى المجموعة الأولى يقرر الشاعر أن الملك حمى الاسلام
 ودافع عنه بالسلاح ، وجاهد فى سبيل الله الجهاد الحق فقيض الله له النصر وزاد
 أجره وحفل سجل أعماله بالمآثر الحميدة حتى صار « صدرا للعلا » ويقرر فى
 نفس المجموعة أنه نشر عدله بين الناس ف قضى على المظالم ، وعاش الناس كلهم
 متحابين متآخين ولم يكن لاحد ان يعتدى على آخر .

أما المجموعة الثانية فتحدثنا عما أصاب البلاد فى عهد الملك بادى الممدوح
 اذ يقرر الشاعر ان الاهلين عمهم الخير والأمن ، وأن حياتهم حملت بالمسرات
 حتى صار فى مكنتهم ان يتيهوا على جميع البلدان وعلى مصر ايضا . هذه هى
 حال الملك وعمله لدينه وديناه - يحمل السلاح فى سبيل الله مجاهدا مدافعا ويستغل
 العدل وينشر الرخاء بين رعاياه ، بل هذه هى أيضا حال بلاد مسلمة أو مجموعة
 من المسلمين تعلق فيها كلمة الحق وينصر فيها الدين ويسعد الاهلون . فكيف ينظر
 اليها عالم « شاعر » مثل الشيخ عمر المغربي ، الا يجد فيها حصنا للاسلام وسندا
 للبلدان الاسلامية الأخرى ، ألا يرى فيها على الأقل مثالا تحذيه البلدان أو
 المجموعات الاسلامية .

القصيدة الثانية من سبعة وخمسين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا قد جد فى السير قاصداً مواطن أحباب هناك أعزة (١)
 وهى تشبه الأولى شيها يكاد يكون تاما ولا تخرج عنها فى مبنائها ومعناها بصفة عامة.
 ومن أبياتها :

ويطوى إليها شقة البعد قاصداً	ديارا بها أحباب قلبى وبغيتى
لك الخير ان وافيت سنار قف بها	وقوف محب ذى وفاء وديمة
والق عصا التسيار فى سوح ارضها	تجد راحة فيها واوفر حرمة

١ - وهذه القصيدة « فيما يبدو منقولة من مرجع لا علاقة له بتاريخ سنار ولكنها استعيرت للاشارة
 بمملكة سنار وملكها السلطان بادى » مخطوطة كاتب الشونة

ويأوى إليها الآن كل مسافر
يلقى بها أمنا وطمنا وراحة
ومنها أيضا :-

وعرج على قصر العزيز مليكها
وعول عليه في أمورك كلها
تجد عزة عظمى وتظفر بالمنى
إذا ما دهاك الخطب يوما فلد به
جميل المحيازين كل قبيلة
بود واخلاص وصدق طوية
وتصبح في عز منيع ورفعة
وعرج عليه فهو حامى الحقيقة

ولتقف قليلا الآن عند هاتين المجموعتين اللتين اخترناهما من القصيدة . في المجموعة الاولى وصف لسنار في عهد الملك بادى ابو دقن ، وليس هو بالوصف السطحي الذى يبين المواضع والمنازه وغير ذلك ، انما هو وصف عميق يتم عن عاطفة قوية ويكشف عن حب - فهى ديار الاحبة ، وهى ايضا البغية ، لعله كان يتغنى ان يعيش فيها لينعم بما كان ينعم به أهلوها - ففيها الراحة والامن واليمن ، ويكفيها انها اصبحت فى نظره مأوى كل مسافر آت من بلاد بعيدة . لقد كشفت هذه الايات عن حب يكنه الشاعر لتلك البقاع . ألا ترى انه يطلب للراكب القاصد إليها ان يقف بها « وقوف محب ذى وفاء وذمة » وانه ليس حبا عاديا وانما هو حب يمازجه وفاء ويشوبه احترام .

أما المجموعة الثانية ففيها تمجيد للملك ، يصفه ويكاد يبلغ به درجة الكمال عن طريق المبالغة التى يميل إليها الشعراء عادة فى التعبير عن آرائهم ومشاعرهم اذا ما خاطبوا الملوك أو مدحواهم - فالمملك ههنا حامى الحقيقة ، وهو أيضا من يعول عليه ، وفى كنفه العزة والمنعة ، وقد آتاه الله وجهها جميلا ، وآتاه صفات أخرى كثيرة حميدة غدت زينا لاهله وعشيرته .

ان ما نجده فى هاتين المجموعتين من وصف لسنار وما بلغته فى عهد الملك المددوح ، ومن تمجيد ومدح للملك لا يمثل فى نظرنا ذكرا للحقائق أو ردا للجميل . فحسب انما هو أيضا اعجاب بذلك الملك وهو حاكم مسلم هيا لرعيته حياة طيبة ، وهو أيضا ايمان بمقدرته وشخصه وهو مجاهد متفان فى سبيل الله ، وهو اغتباط

بما صار إليه حال بلد مسلم أبان خكم ذلك الحاكم العادل المجاهد ، ان ه
القصيدتين ان نظمهما الشيخ عمر المغربي أو اختارهما وعدل فيهما وبذل أو
عليه دسا تثبتان فيما نرى تعلق بعض الشعراء في ذلك الزمن بهذه البقاع ^{للشعر}
مأوى مجموعات من الناس يربطهم بهم رباط لا ينقسم هو الدين ، ولذلك يمكننا
القول بأنهم اعتبروا هذه البقاع جزءا من عالمهم الكبير وهو العالم الاسلامي .

وثبت شاعر آخر هو الشيخ يحيى السلاوي (١) — لم يكده هذا الشيخ يسمع
بقيام الثورة العراقية حتى هاجر إلى مصر وهناك « اندمج في الثورة اندماج مناصرة
وانجلاص وعمل » (٢) ونظم قصيدة بائية حث بها مواطني مصر على مساندة الثورة
ودعائها بالتوفيق ، يقول في قصيدته تلك :

شغل العدا بتشتت الاحزاب	والله ناصرنا بسيف عربي
والقطر فيه من الرجال كفاءة	للحادثات فهم أولو الباب
وحمية الاسلام تقضي بالوفاء	حتمنا على كل امرئ أبواب
ومحبة الوطن العزيز تحبهم	والفتح اذن باتباع صواب
والمشركون خواسر في سعيهم	هزموا وقد نكصوا على الأعقاب

بعد هذه الايات أخذ الشاعر يذكرهم بالماضي المجيد ، ويشيد بهم ليحرك فيهم
الغيرة الدينية والحمية الاسلامية . فلم يقول الشاعر الشيخ يحيى السلاوي ذلك —
هاجر إلى مصر ثم اتصل بزعيم الثورة ونظم هذه القصيدة ؟ لا شك أن الشاعر كان
يرى ان ما حدث في مصر يحسه ويمثل رأيه وهو الذي ولد في السودان وتربى
فيه ، ومعنى هذا أنه يحس المجموعة التي ولد فيها وتربى وكذلك يمثل رأيها . وعليه
يكون سفر الشاعر إلى القاهرة واتصاله بقائد الثورة ثم نظم هذه القصيدة « التي
طبعت بماء الذهب ، وبيعت في شوارع القاهرة كل نسخة منها بجنه ذهب » (٣)
صدي للثورة العراقية في السودان أو مشاركة السودان في تلك الحركة ، وهذه
القصيدة « تمثل الاتجاه العام للشعب السوداني ذلك الاتجاه الذي كان يفتقد من

١ — هو ابن الشيخ عبد الغني السلاوي القائم للفاضل الذي تولى القضاء أيام الحكم التركي في السودان

ولد يحيى في الخرطوم ١٨٤٦ م . نفاثات البراق ٨٣

٢ — المصدر السابق

٣ — المصدر السابق

يا آل عثمان أبناء العمومة هل
إذا حزتكم حزننا في القلوب لكم
وكم نظرنا بكم نغمي فجسمها
تشكون جزحا ولا نشكو له ألما (١)
كالأم تحمل من هم ابنها سقما
بنا السرور فكانت عندنا نعمة

كان لهذا الاستقبال صدى في السودان فقد أعلنت إحدى الصحف عن جائزة تمنحها لمن يشطر بيتي أحد الشعراء في استقبال الطائفة وملاحيتها وهما :

يا أدرميد ألا طيرى مبالغته
إلى الذي خفقت في الأرض رايته
رسائل الشوق من عمرو إلى عمر
فاليوم تحقق فوق الشمس والقمر (٢)

واستجاب لإعلان الصحيفة عدد من الشعراء ، وجاء شعر محمد عمر البنا في المرتبة الأولى وفيه يقول :

(يا أدرميد ألا طيرى مبالغته)
وبلغته عن الإسلام قاطبة
(إلى الذي خفقت في الأرض رايته)
مدت على الأرض ظلا لا تنفاد له
خليفة الله عنا أصدق الخبر
(رسائل الشوق من عمرو إلى عمر)
وعزتها سيوف الله بالظفر
(واليوم تحقق فوق الشمس والقمر)

عم تكشف هذه العناية التي يظهرها شعراء في مصر وزملاء لهم في السودان باقلاع طائفة ونزولها ، وهذه الصحيفة علام تحتفل بالحادث إلى هذه الدرجة؟ لو تأملنا الأبيات بيتا بيتا وانعمنا النظر في معانيها لعرفنا السبب ، ففيها تقدير غميق للخليفة - سلطان تركيا - يكاد يبلغ درجة التقديس ، وهذا قليل من كثير ، وهو على قلته يصور لنا مدى تعلق المسلمين بالخليفة والخلافة ، وإن « هذا الشعر يكشف عن تعلق رجال ذلك العهد بخلافة (الآستانة) » ، وإن قلوب المسلمين كانوا تهفو إلى المجالس على عرش الخلافة في تركيا ، وقد كانوا إلى ما قبل سنة ١٩٢٤ يدعون له في المساجد عقب كل صلاة » .

لم يكن امر هذا التعلق مجهولا أو خافيا على أفراد أو جماعات أو هيئات ، إنما كان معلوما وظاهرا لكل المتصلين بالمسلمين أفرادا أو جماعات أو هيئات لاسيما

١ الشوقيات - أول ، ٢١٦

٢ ملاح من المجتمع السوداني ١٦

يعبر عنه (١) .

لما فشلت الثورة العرابية ، حز فشلها في نفس الشاعر وظهر ذلك في إحدى قصائده حيث أخذ يشكو ويأسى لاجداث الزمان ويكي على بعض ما مضى ومن مضى وتخلص من كل ذلك إلى الافتخار بخلقته ، فكأنه يعزى ويتأسى عما كان يشكو منه - يقول :

بليت وطرفي للمحاسن يقظان	وطرف الليالي عن ذوى المجد وسمان
عفا الدهر بعد الاكرمين وما عفا	كما لي ولكن للسعادة ايان
رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا	وسامر ليلى العامرية عمران
وللتفلس مرعى في التصالي ومرتع	بربع مربع للصبا فيه اقبان
ليال تقضت بالاماني وانسنى	على العهد باق بالصباية نشوان
صبرت على خطيب سبرت به الورى	فلم يخف عن علمي من الناس انسان
وهبت له نفسا غدت مطمئنة	بجزم عظيم عنه يضعف ثم — لسان

هذا هو شعر الشيخ يحيى السلاوى بل هذا هو شعوره ، وهو بلا شك قد « وضع اللبنة الاولى للكفاح المشترك » ودلل على وحدة المشاعر واتفاق الآمال والآلام ، ونظر إلى السودان ومصر نظرته إلى بلد واحد ومجموعة كبيرة في الأمة الاسلامية الكبرى .

وشاعر ثالث هو الشيخ الامين محمد الضير العالم السوداني . نظم هذا العالم قصيدة في مدح الحديوى توفيق والحاكم المصرى جعفر مظهر ، عدد فيها مآثر الحديوى واسلافه وأشاد بالحاكم ، اتجه بعد ذلك إلى العلماء مذكرا وداعيا - قال :

فيا أولى الفضل اهل العلم انكم	في نشر ما يرتضيه الله اخوان (٢)
فاخلصوا حبكم في الله وازدعوا	بذر الخيور فهنا الوقت ايان
اما حويتم بتوفيق العزيز خمي	أبعد توفيق رب العز خذلان
أليس عارفكم يبدى معارفكم	كما يرى وله للنصح ديوان
ألم توزع عليكم كلكم كتب	في العلم نافعة بالطبع

١ - تراث الشعر السوداني ٥٨

٢ - نفحات الربيع ٧٩

ألم يكن جمعكم ادعى لصحتها ألم تيسر على التدريج أثمان
ألم ينبح لكم فيها تناوبكم إذ ليس يمنع مما رام أنسان
فحاصل القول أن العلم قد سهلت أسبابه إذ بدت للخير أعوان

أعلن لزملائه العلماء رضاه عن الحكومة القائمة ودعاهم إلى التحابب وبذر بذور
الخير لأن ذلك الوقت أو ذاك العهد هو وقت بذرها فالقائمون بالأمر سهلوا لهم
سبل العلم فهم أعوان للخير .

وقال أيضا :

ومصر كم مصر والتوفيق حافظكم والمعنى عارف والوقت ابان
وهنا صرح برأيه — كان يعتقد ان مصر بلدهم ، بلد أولئك العلماء المتأخين في نشر
ما يرتضيه الله — أنهم مسلمون ومصر بلد مسلم رعاهم حكامها وبذلوا لهم الكثير
مما عدده هذا الشاعر وغيره كالشيخ محمد أحمد هاشم (١) في قصيدته التي نظمها
مهنا الخديوي محمد توفيق بعيد جلوسه قال فيها :

اليمن اقبل بالاحسان طائره والكون نار وقد زادت بشائره
والبشر أبدى سرورا من عجائبه لما بدا طالع الاسعاد نائره
والكون قد رقصت فيه محاسنه والغصن اعلن بالتغريد طائره

إلى أن قال :

قد ضياء سوداننا من حسن رأفته وصب غي بربر منها جواهره
والسعد خادمه في كل آونة لم لا وذا منبع الاحسان ماطره
ذاك المليك الذي انوار طلعت عمت جميع الأورى منه ستائره

واستمر هكذا يعدد المآثر ويشيد ويدعو — لم كان يفعل ذلك ؟ ولم يفعل الشيخ
الضريير ذلك ويزيد « ان مصر كم مصر » ؟ لم كانا يفعلان ذلك ؟ لأنهما موظفان
في الدولة ، يشغل كل منهما منصبا مرموقا ويتقاضى جعلا من خزينة الدولة ؟
أم لأنهما كانا يريان رأيا معينا في صلة بلدهما بمصر وبالعالم الاسلامي .

— اننا نرى أن هؤلاء الشعراء الذين تحدثنا عنهم واوردنا قدرا من أشعارهم
— هم « السودان » ، مكانا تحاصا من مصر ومن العالم الاسلامي

بالتاريخ كان ناظرا لدرسة بربر في العهد التركي المصدر السابق .

وان اختلفوا في التعبير عن ذلك الاعتقاد ، وان تفاوت تعبيرهم قوة وضعفا . ولم يكن ليغيب عن أى منهم ما يجب عليهم للخليفة الذى تحكم مصر باسمه .

المستوى الأدبي للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان الفترة التى نتناول شعرها ههنا - فترة ما قبل المهدية - تشمل عهدين مختلفين تمام الاختلاف من حيث النظام السياسى والادارى فى كل منهما ومن حيث ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية واقتصادية ، والعهدان هما - حكم الفونج والحكم المصرى التركى . لقد قلنا فى ما تقدم ان الفونج « ظلوا ثلاثة قرون ينشرون الثقافة العربية فى أنحاء السودان (١) » ولما جاء الحكم المصرى التركى أخذ بيد ذلك المجهود وزاد عليه ، وبذلك يمكننا القول بأن نشأة الشعر العربى الفصيح فى السودان اعتمدت إلى حد كبير على ما بذله ذانكم العهدان ، وبممكننا أن نقول أيضا ان اختلاف الدولتين أو العهدين سياسيا واداريا لم يعق نشأة الشعر العربى الفصيح ولم يعطل نموه .

لقد كان فى دولة الفونج شعراء . وها نحن اولاء نعرض نماذج من شعرهم ثم نتناوله بالنقد بعد ذلك . وصل الشعر أيام الفونج درجة مكنت أحد أولئك الشعراء من رثاء تلك الدولة لما شاء الله أن تنقضى أيامها ، ونظم ذلك الشاعر الذى لم تذكر الكتب اسمه ، مراثية من ثلاثين بيتا بكاهم فيها فى شىء من الحرقه والاسى اذ قال :

أرى لدهرى أقبالا وادبارا	فكل حين يرى للمرء اخبارا
يوما يريه من الافراح اكملها	يوما يريه من الاحزان اكدارا
وكل شىء اذا ما تم غايته	ابصرت نقصا به فى الحال اجهارا

آه على زمن قد كان فى طرب	كنا يجمع مع الاحباب سمارا
آه على بلدة الخيرات منشأنا	اعنى بذلك دار الفنج سنارا
آه عليها وآه من مصيبتها	لم نسلها اينما حللنا أقطارا

تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم	تبكى مفاخرهم تنبىك أخبارا
---------------------------	---------------------------

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم
على كرام يزين الدهر مجدهم
تبكى القبائل بدوانا وحضارا
على ديار عليها الدهر قد جارا

عرفت دولة الفونج شعراء آخرين أوردت بعض الكتب اسماءهم واشعارهم ،
الا أن الشعر الوارد في تلك الكتب قليل ، ولم يتضح في تلك الكتب ان كانوا قد
نظموا غير الذي روته عنهم أو لم ينظموا . وقد ورد في أحد تلك الكتب أن
« حجازي بن أبي زيد بن الشيخ عبدالقادر (وقد عاش أيام الفونج) كان شاعرا
حاذقا كأنه كعب بن زهير » ولم يأت الكتاب بشيء من شعره ، كما جاء في
نفس الكتاب عن الشيخ مضوى بن مدني بن عبد الدائم (من علماء الفونج وفقهاءهم)
أنه « كان شاعرا وله في النبي صلى الله عليه وسلم قصائد واشعار مطربة للنفوس »
ولم يتحفنا المؤلف بقصيدة من تلك القصائد أو آيات من تلك الأشعار .

من أولئك الشعراء الذين عرفوا في عهد الفونج ووصلنا شعرهم :

١ - مكى الدقلاشى (١) ، يروى انه قال حين أراد الخروج إلى البادية :

اعلمى يانفس ان الموت يفجعك
وتزلين بديار لا يقصاع لها
تموتي بغتة والقبر مسكنك
الا التراب والدود ينهشك
تمزق الاعضاء وتدرس عظامك
وعمرك محسوب ولم تدر أجلك
ر ورغبتك في القاني نقص وحسرة

كما يروى انه قال في الحكمة :

الله لي علة في كل نائبة
يا فارحا بالمعاصي عند خلوته
أقول في كل حال حسبي الله
أما علمت بأن الشاهد الله
ان كنت ناسيها لم ينسها الله
فما مقالك في ما يعظم الله
والنار بارزة والحاكم الله
واستغفر الله ان الغافر الله
تب يا بني آدم فانت اليوم في مهل

١ - تتلمذ على الشيخ دفع الله المزكي في أبي حراز ، وبعد أن تصوف وتفقّه عاد إلى بلده حيث

أخذ يدرس ويدخل الناس في الطريق . الطبقات - صديق ١٥٧

ولم نحصل من شعره على غير هاتين المقطوعتين - الأولى من عشرة أبيات اخترنا منها أربعة ، والثانية ستة أبيات ، وقد أوردناها كلها .

٢ - علي ولد الشافعي (١) ، قال في مدح شيخه عمار بن عبد الحفيظ وهي عشرة أبيات ، ولم يذكر له غيرها :

يا طالبين لكل فن تبتغوا	شدوا الرجال ونونخوا سنارا (٢)
قد حصل بها امام فاضل	زين النوافل على المقدار
ورع تقى صابر متواضع	وجل عليه سكية ووقسار
وله العلوم تأهلت طوع المنى	من غير اشكال ولا اعسار
في كل فن تطلبوه تروونه	بيدي المزيدي كز آخر الابهسار
فقه وتفسير الحديث ومنطق	وبديع علم والمعاني لندار
لغة ونحو والبيان وصرفه	علم الكلام به جلا لغبار
علم التصوف طال فيه يا فتى	وقتا به للسادة الابرار
تلك المناقب جازها ونحوي لها	سمح الحصايل شيخنا عمار
وكان مجلسه المسمى ازهر	على المدارس في كلا الامصار

٣ - ابراهيم بن بقاء علي بن حمودة الكاهلي (٣) . قال في رثاء والده الفقيه بقاء علي حمودة ، وهي برثية من خمسة وثلاثين بيتا ، اخترنا منها :

الحكم لله كل غيره فاني	وفي المنايا غظات كل ولهان
يا تأمها غافلا والموت يطلبه	أقصر عنك فللمنون عينان
وهذه الدار لا شبه يقاربها الا	سراب بدا في ظهر قيعان
سحارة الطرف ترمي في لواحظها	سمية الصسل لا راق ولا دان
كم اظهرت فرحا في طيه جزن	وما استحت واحدا في العصر رباني

١ - قرا كتب العربية على عمار بن عبد الحفيظ وسلك الطريق على الشيخ دفع الله العربي . كان شاعرا ماعرا وله قصائد في مدح النبي ، وكان من جميع دين العلم والعمل . الطبقات - ٥٠٥ . ١٣٦ .

٢ - المصدر نفسه ١١٨ - ١١٩ .

٣ - ابن الفقيه العالم بقاء علي بن حمودة ، صالح فاضل ، به صديق ٤٣ . مخطوطة كاتب الشونة ٥٣ - ٥٥ .

في تاسع العشر من ذي حجة وسط
وضجبت الناس عند موته فرعا
لاحيدا فقد أحياهم فجعت بهم
فكم أحسن لاصوات مرثمة

فاز على بوعد خير إيمان
لما بدت ثلثة الاسلام في الآن
شم الانوف طوال الباع غران
حنين ثكلى شجاها فقد فردان

٤ - موسى بن يعقوب (١). قال يذكر « نعمة ربه عليه مع أبيات اطال فيها » :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم
تلاآت الانوار من نحو خالقي
نظرت إلى المحفوظ في كل ساعة
أمر على الآفاق انظر ما بدا
وارجلنا تسعى في الارض جملة
مقال عباد الله شرقا ومغربا
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى
نظرت إلى الجبل الذي كان نوره
فناجيت حقا فوقه متضرعا
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره
فاسمى موسى بالكليم مسميا

تهتك استارى اليهم برجفة
بوقت قيامي أو جلوسي بخلوة
تناهيت عن اظهار حكم الدهية
فاخير عن ذكر النواحي الغربية
وفي مرة طيرا نظير بسرعة
بأذني اسمع سمعا بشهرة
وادعى في النواحي لفتينة
يلوح على الاكوان كجلا لقلتي
فعاضت له مني اليه اشارتي
ولكني اكنى في الانام بقصة
ونور جلال الحق فوقى بمنية

٥ - أحمد ابن الحاج الطيب (٢) - نظم قصيدة من واحد وعشرين بيتا يرثي بها
الشيخ يوسف بن الطريفي (٣) :

بدأت بحمد الله ثم صلاته
وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة
أيا رمس قد نلت المكارم والاعلا
وحزت به فضلا وفخرا ومنزلا

على خير مبعوث واكرم من هدى
من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا
لكونك باشرت الامام المجددا
وصبرت به بين المقابر اوحدا

تمت تصريف على أبيه الشيخ يعقوب واشتهر بالصلاح ، الطبقات صديق ١٥٢ - ١٥٤

الحاج الطيب - قتل مع محمد ولد عدلان سنة ١٢٣٥ هـ وهو صاحب علم وبلاغة

مخطوطة كاتب الشوثة ٧٦

يحل ويكشف كل ما كان معقدا
بها ينجلي ما كان في القلب من صدا
تراه مضيئا مشرقا متوقدا
هو البازل الفياض ان تمدد اليدا
فتغشاهمو أمواج آلاه سرمدنا

هو الخبر عند العضلات اذا أتت
فان نظر الانسان نظرة رحمة
اذا ما رآته العين في غابة الدجى
هو الكهف للأوى اليه جميعه
وكم من عراة عالة يقصدونه

٦ - الفقيه الصديق (١)، قال يرثي شيخه العالم الفقيه أحمد بن عيسى من قصيدة طويلة :

وعمنا وجل يهيم به المطر (٢)
اجلة ما لقلب منه مصطبر
اذ أمه ملأ الافلاك والقدر
نداؤهم هكذا يا أيها القمر
وقام بالعلم فردا كان لا وزر
ضباقت مذاهينا أو حارت الفكر
وقد نحنا لأصول الدين يأتهم
وفي الحديث له التقديم والنظر
سليم قلب له العليا والظفر
صرفا ونحوا بيانا زانه نظبر

أهالنا حدث أهمى به البصر
لنا مصاب عظيم كان يعظمه
فشيخنا احمد قد ضاء جوهره
تنعیه كل علوم الدين ناشدة
من قام بالشرع والتدريس مجتهدا
له أباد بتصرف العلوم اذا
ابان في محكم التنزيل مشتبها
محقق كامل التحقيق ذو أدب
طويل باع لفقه لامراء له
وآلة العلم يبدىها محققة

٧ - فرح ولد تكتوك (٣)، قال في الحكمة من قصيدة فيها ثلاثة وعشرون بيتا :

ارفق بنفسك من هم وتخزين (٤)
وكسر نفس وتخفيض وتهوين
أو دفع ضرر فهذا في المجانسين
وكم من السجن في ايدي المساجين

يا واقفا عند ابواب السلاطين
تأتي بنفسك في ذل ومسكنة
من يطلب الخلق في جلب لمصلحة
وكم يحاكي لمسجون يدوم له

- ١ - كان امام مسجد سنار ، تراث الشعر السوداني ، ١٤
- ٢ - مخطوطة كاتب الشوفة ١٠٤ - ١٠٥
- ٣ - كان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب جاذب للقلوب ، وعنده كلام في الذهب والتوحيد والأدب وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة - الطبقات صديق ١٤٦
- ٤ - شعراء السودان ٢٦٠

ان كنت تطلب عزاً لا فناء له
ولا تصاحب غنيا تستعز به
فالطمع يرميك في ذل ومهلكة
والقنع نام قريراً لا كصاحبه كما
فتق بربك لا تبغى سواه لحا
وكم جرى طامع في البید مغرباً
فلا تقف عند ابواب السلاطين
وكن عفيفاً وراعي حرمة الدين
وما يفيدك الا كل ثمـوين
تنام غصـون في البساتين
والرزق مترله في ختم ياسين
ولم يجد قصده في الشام والصين

عرضنا في ما تقدم نماذج من شعر شعراء العهد الفونجي، ولم نغفل الا واحداً هو ابراهيم عبد الدافع، وقد اغفلناه لانه من مخضرمي العهدين - التركي والفونجي ولأن أكثر شعره المروي عنه نظم في العهد التركي وهو عبارة عن اربع قصائد، واحدة نظمت أيام الفونج وفيها احد عشر بيتاً فقط، والثلاث الباقيات نظمت ابان الحكم التركي المصري، ويتراوح طول الثلاث بين ثلاثة وعشرين وتسعة وثلاثين بيتاً. واننا نرى في كل ذلك مسوغاً لاعتباره شاعراً في مجموعة شعراء العهد التركي المصري، وسننظر في شعره مع شعر تلك المجموعة.

سنبأمل تلك النماذج التي اوردناها نرى انها لا تكاد تسلم من الاخطاء نحوية كانت أو عروضية أو صرفية، فمن الخطأ النحوي قول احدهم (واسمه لم يذكر في الكتب) في رثائه دولة الفونج :

أرى لدهرى اقبالا وادبارا فكل حين يرى للمرء اخبارا

فالفعل « يرى » تعدي في هذا البيت لمفعوله الاول بحرف الجر اللام، ولا نعرف مبرراً لهذا الا اقامة الوزن، اذ يمكن ان يقال في سهولة ويسر تامين « يرى المرء اخبارا » على ما في المعنى من ضعف وعامية لان الخبر لا يرى . قد لا يكون هذا خطأ بالمعنى المفهوم اذ ليس هو مثل اللحن، لكنه على أية حال استعمال مخالف للعرف النحوي (١). اما اذا قرىء الفعل « يرى » بصيغة البناء للمجهول فلا بد من نائب فاعل، ولا يوجد اولى من « اخبارا » وهي كما نرى منصوبة . هنالك فعل لازم آخر عدها الشاعر فنصب المفعول، وهم « تم » في البيت :

وكل شيء اذا ما تم غايته أبصرت نقصا به في الحال اجهارا

ف قول ابن مالك - وبعد لازماً بحرف جر

ولعله يريد « أتم » .

من الاخطاء النحوية قول « على ولد الشافعي » :

يا طالين لكل فن تبغوا بشده الرجال ونوتخوا سئارا

حيث حذف نون الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب أو جازم ، وقد تكرر هذا في قوله في نفس القصيدة :

في كل فن تطلبوه ترونه يبدى المزيد كزأخر الأبحار

كما جاء فيها خطأ آخر في البيت :

علم التصوف طال فيه يا فتى وقتنا به للسادة الأبرار

حيث نصب « وقتنا » وحققا ان تكون مرفوعة على الفاعلية . كذلك حذف مكى الدقلاشى النون من الفعل المضارع دون أن يسبقه ناصب أو جازم في قوله :

اعلمى يا نفس ان الموت يفجعك تموتى بغتة والقبر مسكنك

أما الاخطاء الصرفية فمنها هذه المجموعة :

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم تبكى القبائل بدوانا وحضارا

فـ « بدوان » و « حضار » ليست قياسية ولا سماعية في ما نعلم . كذلك « الأبحار » في قول علي ولد الشافعي :

يبدى المزيد كزأخر الأبحار

ومنها أيضا بقاء ياء فعيله في الجمع « الخضايل » من قول الشاعر نفسه :

سمح الخضايل شيخنا عمار

ثم ان مكى الدقلاشى جاء بزنة « فاعل » من « فعل » الثلاثي الملازم فقال :

يا فارتحا بالمعاصى عند خلوته

وهذا يخالف القاعدة الصرفية . ومنها قلب الالف ياء في قول موسى بن يعقوب

واسمى موسى بالكليم مسميا - فقلب الف « مسمى » ياء دون مبرر . في بعض

الاحيان يلجأ الشاعر إلى اللغة العامية فيأخذ منها بعض العبارات كقول الفقيه

« طويل باع لفقه لامراء له » و كقول ابراهيم بقادى على بن حموده الكاهلي -
« شم الانوف طوال الباع غران » و « طويل باع » تعبير شائع في العامية . كذلك
الكلمة « تهوين » بمعنى اهانه أو تحقير التي جاءت في قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :
تأتي بنفسك في ذل ومسكنة و كسر نفس و تحفيض و تهوين

لا تحمل هذا المعنى في اللغة الفصحى ولا في عامية عصرنا هذا ، ومن الكلمات
العامية « ضو » بمعنى اضاء ، و « غني » بمعنى أغني وقد جاءت في قول احدهم
وهو :

فكم غني سائلا كم ضو بلدان

ومنها أيضا الكلمة « فردان أو فرداني » بمعنى أوجد ، وهي في احد أبيات ابراهيم
بن بقادى الذي يقول فيه :

فكم أحن لاصوات مرثمة حزين ثكلي شجاها فقد فردان
لقد كثر اختلال الوزن والقافية في أكثر شعر الفونج ، فلم تحمل قصيدة
من القصائد التي أوردنا من وزن مختل أو اقواء ، ففي المراثية التي ذكرت من قبل
ولم تنسب إلي شاعر معروف تجد هذا البيت :
آه عليها وآه من مصيبتها لم نسلها اينما حللنا اقطارا

وهو غير موزون .

✓ أما أبيات مكسي الدقلاشي التي يبدأها بقوله :

أعلمني يا نفس ان الموت يفجعك تموتي بغتة والقبر مسكنك
فتكاد تكون سجعاً . ومن خلال الوزن قوله في قصيدة أخرى :
تب يا بني آدم فانت اليوم في مهل
واستغفر الله ان الغافر الله

وقول علي ولد الشافعي :

قد حل بها امام فاضل زين النوافل على المقصدار

الابيات وهي من نظم موسى بن يعقوب :

مقال عباد الله شرقا ومغربا بأذني اسمع سمعا بشهرة
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى وادعى في النواحي لفتية
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره ولكني اكنى في الانام بقصة

غير سليمة الوزن ، وفي قول احمد ابن الحاج الطيب :

وبعد فقصدى ذكر مقال ذرة من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا

لابد من قطع همزة « اوصاف » ليستقيم الوزن . وفي قوله من نفس القصيدة :

هو الحبر عند العضلات اذا أنت يحل ويكشف كل ما كان معقدا

يتحتم جزم « يكشف » كما يلزم ان تكون « معقد » بزنة « مُفْعَل » ليسلم الوزن
ويبدو اختلال الوزن في بيتي فرح ولد تكتوك وهما :

فالطمع يرميك في ذل ومهلكة وما يفيدك الا كل تـيـويـن

والقنع نام قريرا لا كصاحبه كما تنام غصون في البساتين

ولتقف قليلا عند هذه الايات وهي من نظم ابراهيم بن بقادى وقد وردت مع
النماذج التي قدمناها :

الحكم لله كل غيره فاني وفي المنايا غظات كل ولجان

يا تأنها غافلا والموت يطلبه أقصر عناك فللمنون عينان

كم أظهرت فرحا في طيه حزن وما استحت وحدا في العصر رباني

لندرك مدى حيرة القارئ في وزنها ، فلا بد أن يتوقف ويغير حرركات بعض
الكلمات ليستقيم له الوزن .

بدأ على ولد الشافعي قصيدته بهذا البيت :

يا طالين لكل فن تبغوا شدوا الرحال ونوحوا

بقافية قوية واضحة تأسر الأذن الا أنه لم يستطع الاستمرار
هكذا :

قد حل بها امام فاضل زين

براء مكسورة في القافية ، ولكنه عجز عن الاستمرار فيها فأقوى وجاء البيت
التالي براء مضمومة إذ قال :

ورع تقی صابر متواضع و بجل علیہ سکینہ و وقار

وعاد مرة ثانية إلى الكسر فقال :

وله العلوم تأهلت طوع المنى من غير اشكال ولا اعسار
واتبع هذا البيت أربعة أخرى قافيتها راء مكسورة ثم عاد مرة أخرى إلى الراء
المضمومة حيث قال :

تلك المناقب حازها وحوي لها سمح الحصايل شيخنا: عمار

ونجد الاقواء في ابيات أخرى لشاعر لم نقف على اسمه . وهي :

سلام رب العلا اهديته الآن
هو الرشيد عزيز الاسم نذكره
له نحصي على الانداد زائدة
إلى أمير بدار الفنج سلطان
محمد الميث نجلى الشيخ عدلان
شجاعة القلب صدق ثم احسان

لم نجد في ما بين أيدينا من شعر الفونج تشبيهات أو استعارات كثيرة ، إنما هي كلها قليلة وسبب ذلك بالطبع قلة الشعر نفسه . فمن تشبياتهم :

... .. _ _ _ _ _ پیدی المزید کز آخر الایجار

وكان مجلسه المسمى أزهر

فكم أحن لأصوات مرثمة حنين ثكلى شجاها فقد فردان

هو الكهف للاوى اليه جريعه

نام قریرا لا کصاحبہ کما تنام غصون فی البساتین

أجبية لأرواح فيها . أما الاستعارات وإن كانت قليلة فإنها أكثر
أولاء فذكر نماذج منها :

فكل حين يرى للمرض اخبارا
يوما يريه من الانحزان اكدارا

وتتجرد من سمات المجتمع السوداني على غناه بالمعاني السامية والمثل العليا . إن هؤلاء الشعراء جميعهم من العلماء ، وكل منهم تتلمذ على عالم فقيه متصوف مشهور . وبعضهم كما رأينا قدم لشيخه شيئا من إنتاجه أو مدحا وهذا يفسر لنا الظاهرة الواضحة في شعر الفونج وهي شيوع الروح الدينية الصوفية في معظم قصائده . فاحمد ابن الحاج الطيب يبدأ قصيدته في رثاء الشيخ يوسف بن الطريفي « بحمد الله » ويختمها بالدعاء (١) والفقيه الصديق يختم رثاءه الفقيه احمد بن عيسى بالدعاء والصلاة على النبي (٢) . كما أننا نجد بعض الالفاظ القرآنية في بعض القصائد كقول أحمد ابن الحاج الطيب « وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة » في البيت الثاني من المراثية التي تقدم ذكرها . ومثل هذا ما جاء في مراثية ابراهيم بن علي بقادي لابييه حيث قال :

على المرتضى في أمه وسط مخاطبين بكنتم خير ذى شأن (٣)

وقد بدأ مراثيته هذى بقوله « الحكم لله » ثم ختمها بالصلاة على سيدنا محمد .

تظهر الروح الدينية في قصيدة الشيخ فرح ولد تكتوك :

يا واقفا عند أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين

وهي دعوة للزهد والابتعاد عن الحكم والتعويل على الخالق . أنها موعظة أو سلسلة من الحكم منظومة ، وقد نجد في غير هذه القصيدة من قصائد شعر الفونج حكما ومواعظ تتخلل أبيات الرثاء أو أبيات المدح الا أنها كلها لا تدعو « دعوة ايجابية إلى الاقبال على الحياة والعمل على مجالدة الزمن والاندماج في الجماعة » (٤) . وأبيات مكي الدقلاشي :

يا فارحا بالمعاصي عند خلوته	أما علمت بأن الشاهد الله
ان الذنوب التي قدمتها كتبت	ان كنت ناسيها لم ينسها الله
إلى متى أنت في لهو وفي لعب	فما مثالك في ما يعلم الله

١ - مخطوطة كاتب الشونة ٤٦ - ٤٧

٢ - مخطوطة كاتب الشونة ١٠٦

٣ - مخطوط كاتب الشونة ٥٤

٤ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - عابدين - ١٩٧٠

تدعو إلى الكف عن المعاصي وتذكر بالله وبالكرام الكاتبين . وشي - مع غيرها
مما قدمنا - يثبت ما قلناه في شيوخ الروح الصوفية وورود الحكم والمواعظ في شعر
الفونج . ومما يثبت الأثر الصوفي ويبرزه واضحا جلليا أبيات موسى بن يعقوب
التي قال فيها محاكيا الشاعر الصوفي المعروف ابن الفارض :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم تهتك استارى اليهم برجفة
تلاآت الانوار من نحو خالقي بوقت قيامي أو جلوسى بخلوة
نظرت إلى المحفوظ في كل ساعة تناهيت عن اظهار حكم الذهبية

انه يتحدث عن « تهتك الاستار » ويسلم على « قوم » وكذلك عن « تلاؤ الانوار »
من عند الخالق « و » النظر إلى المحفوظ « و » سماح مقال عباد الله شرقا ومغربا
وهكذا حتى يشعر القارىء بأنه تائه في عالم آخر ، وبأنه يتيه بمكانته في ذلك العالم
الآخر .

يتسم هذا الشعر في جملة بضعف الخيال فلا نكاد نجد شيئا من مخدرات
الخيال أو سبحانه ، وانه ليخلو تماما من الصور الشعرية الجميلة التي تأسرك فتقف
عندها تتأملها وتتمتع بها كأن معاني المدح والثناء التي جاءت في قصائد شعراء
الفونج ميدان فسيح للخيال يحوب اطرافه ليخرج منه صوراً شعرية أخاذة ، وقد
أمكن لبعضهم ان ينجي بعض الصور لكنها مفردة باهتة تقتصر إلى الواضح ناهيك
بالاثارة والاسر ، جاء شعر هذه الفترة هكذا لأن « الحركة الادبية قامت على
ايدى هذه الصفوة القليلة من علماء العصر (عصر الفونج) وكانت تسعى إلى
النظم بالعربية الفصحى ، ولكنهم لم يتجاوزوا دائرة التصوف الذي سيطر على
الحياة في ذلك الزمن » (١) . ان لغة شعر العهد الفونجي ركيكة ، وبعض القصائد
يكون مزيجا من العامية والفصحى ، والاسلوب بصفة عامة « مضطرب كثيرا ولم
تكن الفصحى بمهمة لديهم بقدر اهتمامهم بالانشاد والانحراف في نشوة الترفيم » (٢) .
ومهما يكن من شيء فان شعر الفونج نشأ ونما في مجتمع بسيط تسيطر عليه الصوفية
بل انه ولد وترعرع في احضان الحركة الصوفية ، فجاء معبرا عن ذلك المجتمع

١ تاريخ الثقافة العربية في السودان ، عابدين ، ١٩٠

٢ المصدر نفسه ١٩٨ - ١٩٩

وليس لأحد أن يتوقع غير ذلك . بقى أن نقول أن ما وصلنا من شعر الفونج يبلغ
مائة وثمانية وخمسين بيتا فقط .

في العهد التركي اشتهر خمسة شعراء ، وسنعرض نماذج من شعر كل
منهم ثم نتناولها بالنقد فيما بعد .

والشعراء هم :

١ - ابراهيم عبد الدافع (١) . وقد تعرضنا له في سياق حديثنا عن شعر عهد
الفونج وشعرائه ، وقلنا آنذاك أننا سنتحدث عنه في معرض حديثنا عن شعر العهد
التركي وشعرائه لأن الشعر الذي نظم فيه هو الكثرة من إنتاجه ، اذ نظم في العهد
الفونجي أحد عشر بيتا يرثي بها الفقيه محمد ولد ضيف الله تختار منها الايات :

أظمان علم يطلب الرشيد والهدى	لعمرك اصبحتي شملة متبددا (٢)
دع العين تبكي دهرها يتوجد	على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الخبر نجل الخبر ضيف الهنا	لقد حاز فخرا في الانام وسؤدا
هو العالم المشهور والعلم الذي	به يرشد الهادي إلى سبل الهدى
وانك اذا ما تأته لقضية	تجده مينا للثواب ومرشدا

إلى أن يقول في ختامها :

فحاشا وبكلا ان يظن به علا سوى	الحدود والافضال والخير والندى
وصل الهى ثم سلم على الذى	ختمت به رسلا وآيته هدى

وفي رثاء الشيخ احمد بن الطيب « شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة ،
مرشد الطالبين ، ذى الكرامات العديدة ، والارشادات المفيدة » (٣) . وفي العهد
التركي ، قال :

عرج بركبك حادى الاظعان	واحطط رحالك مبتغى العرفان (٤)
عند الفقيه مكمل السر الذى	قطع الزمان مراقب الديان

١ - أديب شاعر سوداني صار تاضيا في العهد التركي المصري - قاموس تراجم

٢ - مخطوطة كاتبه سنة ١٢٧٠

هو بدر تم ضاء في البلدان
هو لا يرى نفسا على انسان
هو مرشد الغاوى للجهول الفاني
هو روح جسم عالم السودان

هو بحر علم بالغيوب مكاشف
هو بالتواضع والخضوع مميز
هو للمريد مهذب اخلاقه
هو زاهد الدنيا وحاسم حبه

ثم يختمها بقوله :

منه الرضا والختم بالايمان
ما غرد القمري فوق البان

وعساه يغفر زنتي وينيلني
ثم الصلاة على النبي وآله

ولما توفي نفر من « العلماء الابرار العاملين » رثاهم بقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ،
قال فيها (١) :

بموت اخواننا في الله والعلماء
نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
امام محرابنا الخبر الرضي شيما
زهر النجوم وصرنا في شديد عمى
امامهم لينالوا الاجر مغتنما
في مسجد مثل ما الافلاك فوق سما
مد الزمان وصار الوصل منصرما
من معهد الخوجلي القطب وانحسما
من بهجة الدين والدنيا وقد عدما
منهم غدت مسكن الطاغين والظلما
إلى العلوم وللقرآن والحكما
تعافه أعين الرائي ومن طعما

اليوم اصبح ركن الدين منهما
واظلمت ارضنا حقا وقد خمدت
واللهير افجعنا في الشيخ قدوتنا
والنيران معا غابا وقد أفلست
كانوا على ظهورها في الضف يقدمهم
والآن في بطنها صاروا كحالتهم
وزال وقت صلاة الخمس في ملأ
وانيت ما كان موصلا بمسجدنا
وانحل ما كان معقودا بقببنا
ديارنا بعد ما كانت معمسة
كنا زمانا يحينا الركب من بعد
صرنا طعاما بلا ملح يلد به

وفي ختامها قال :

نبينا من إلى الارسان قد ختما
شمس النهار وما برق قد ابتسما

ثم الصلاة على المختار سيدنا
والآل والصحب والاتباع ما طلعت

كذلك رثي شيخه الفقيه أحمد بن عيسى بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا نورد منها :

بكى السماء وعم الأرض بالمطر
والدمع سال على الخدين منحدرًا
وحل بالناس خطب لا نظير له
شيخ السلوك وقطب الوقت مفرده
علامة العصر بحد الدين ناصره
روح الحياة حياة الروح صحبته
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت
ختام مسلك لمن ارث العلوم حوى
مكمل السر من كان الزمان به
والوقت كان ربيعًا والبلاد به
ومجلس العلم فى سنار كان به كالرو
والآن سين سمو البدر قد حذفت

بعد الكسوف لشمس العلم والقمر (١)
كالسيب فى الديمة المظلاء والنهر
يموت شيخ الهدى الم محمود فى السير
امام كل بنى سنار والقطر
بنشره الفقه طول الدهر والعصر
وراحة النفس فى رؤياه بالبصر
جيوش أسرارهِ فى البدو والحضر
عن سيد الرسل خير الخلق والبشر
مجملاً ومحل الراس بالدرر
مبيضة الوجه والأيام كالغسر
ض حين يرى فى اجمل الصور
وعادت النار ترمى الناس بالشر

ثم ينهى الشاعر مرثيته بالبيتين :

ثم الصلاة وتسليم الاله على
والآل والصحب والاتباع ما ذكرت

خير الورى احمد المختار من مضر
بكى السماء وعم الأرض بالمطر

(٢) ومن شعراء العهد التركي الشيخ الامين محمد الضرير (٢) قال يمدح الخديوى
توفيقا :

الود مآدبة والصدق اخوان
والصادقون لدى الآداب اخوان (٣)

وقد أوردنا أبياتا فى ماتقدم .

ونظم قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وضمناها سور القرآن وفق ترتيب
المصحف - قال :

-
- ١ - مخطوطة كاتب الشوفة - ١٠٢ .
٢ - العالم السودانى المعروف ، كان سيدا مطاعا فى عشرينته ، منهايا نافذ الكلمة عند الحكام ، شجاعا
متصرا للحق توفى ١٣٠٢ هـ - شعراء السودان ١٩ .
٣ - المصدر السابق ٢٠ - ٢١

يارب صلى على من كان فاتحة بكر الوجود به عمر اننا اتصالاً (١)
واختتمها بقوله :

وبالصلاة صل التسليم ما وصلت
والآل والصحب والازواج كلهم
لنا الصلوات على من نوره اصلاً ؟
وكل متبع من قدره كملاً
ومراد الشاعر من قوله « نوره اصلاً » غير واضح .

ونظم قصيدة أخرى في مدح النبي ، ويمكن أن تقرأ على وجهين ، قال :
حمدا لمن أبدى لنا سبب سخاذه
نسباً صريحاً عن خنى ومكانه
من امنا بهداه اذ قد صانه (٢)
في القرب لم يدرك رسول ذو ثنا
لعله يريد نسباً مبرراً .

اذ خلقه متقدماً قبل الورى
لسواه فهو اساسنا ولذا جرى
فالنا ابداه نورا مظهرا
بظهور من بظهوره نازوا المنى
واختتمها بالبيتين :

صلى عليك الله يا مختار ما
لجنا بكم يا ذخرنا فترجما
ظهرت لنا شمس الهدى ومن انما
ما انشئت حمدا لمن أبدى لنا

(٣) ومنهم كذلك الشيخ محمد أحمد هاشم (٣) ، وقد قال في تهنية الخديوي توفيق
بعيد جلوسه قصيدة : اوردنا بعض آياتها في ما تقدم .

(٤) والشيخ أحمد الازهرى (٤) كان من شعراء العهد التركي ، ومن شعره قصيدة
طويلة (من سبعة وخمسين بيتاً) نظمها في مدح أبيه لما أحرز نصراً على بعض
القبائل ، قال :

كر اسماعيل بين المخافل ولو هازلا واظرب به قلب غافل (٥)

هــ نفسه ٢٢ - ٢٥

هــ السودان ٢٥

حاشية ١ صفحة ٤٢

بمدينة الأبيض ، وحفظ القرآن فيها ، وتلقى علومه على أحد العلماء الازهرين ، ثم هاجر
الازهر . عمل بالتدريس ، وعين قاضياً لكردفان وداؤفور . قتل ١٨٨٣ هـ . نفثات اليراع ١٠٤
الصدر نفسه ١٠٤

ليعلم من ذكره من نحو قلبه طلاوة ما يبدو لأهل القوابل

.....
ألم تر إن الله مـيز خلقه بتأخير مفضول وتقديم فاضل

فقال «رفعنا بعضكم فوق» فاذا كرى ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

(٥) ومن شعراء العهد التركي الشيخ يحيى السلاوى (١) صاحب البائية المشهور التي نظمت تأييدا للثورة العرابية ، وقد أوردنا شيئا منها في ما سبق وقال في مدح السيد محمد سر الختم :

بليت وطرفى للمحاسن يقظيان وطرف الليالى عن ذوى المجد وسنان (٢)

.....
فسيان عندي أحسن الدهر أم أسا متى صح لى بالله عقل وإيمان
وهل بعد تهليلي على المجد اتقى من الدهر بأسا إن دنا الناس أوبانوا
ولى جيش عزم ثابت متألف عظيم له فى الخطب بالحرب آذان (٣)
وقال يمدحه أيضا :

بمثل فخرى هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر (٤)

.....
دم للندى يابن سر الختم مبتهجا وقرعنا بذكر نشره عطر
لك العلا والحلا حالان لم يحلا فيهن للميدح اسواق ومشجر

تلكم نماذج من شعر العهد التركي عرضناها لكي ندرسها ونقف بعرضها ودراستها على ما بلغه الشعر فى ذلك العهد فى شكله ومضمونه ولنعرف كذلك مدى ما قدمه شعراء العهد التركي للشعر السودانى بصفة خاصة وللشعر العربى بصفة عامة ، وسنورد النصوص كاملة فى الملحق فى آخر البحث .

٧
ان اول ما نلاحظه على شعر العهد التركي انه انحصر فى موضوعين

١ - أنظر حاشية ١ ص ٣٩

٢ - نقشات اليراع - ٨٥ .

٣ - يقصد اذان

٤ - نقشات اليراع ٨٧

الثناء والمدح ، ولم يخرج عنهما الا قصيدة واحدة من نظم الشيخ يحيى السلاوى التى قال فيها :

شغل العدا بتشتت الأحزاب والله فاصرنا بسيف عرابي

حاول الشاعر فى هذه القصيدة اثارة الحمية الاسلامية واشعال نار الحماس فى المواطنين المصريين ليؤيدوا الثورة العرابية ، وليشدوا من أزر قائدها ، ومع هذا لم تخل القصيدة من المدح لانه مدح اولئك الذين وقفوا مع الثورة وبذلوا من أجلها وسماهم بأسمائهم ليثير فى الآخرين شعورهم الوطنى وحميتهم الدينية .

نلاحظ أيضا أن الاخطاء فى هذا الشعر - شعر العهد التركى بصفة عامة - قليلة ، ونعنى بذلك اخطاء النحو والصرف واللغة ، ولم نجد شيئا منها الا فى بعض ابيات ابراهيم عبد الدافع مثلا قوله فى احد ابيات قصيدته التى يرنى بها العلماء :

والدهر أفجعنا فى الشيخ قدوتنا

حيث استعمل « افجعنا » وهذا خطأ صرفى فالصواب « فجعنا » . وفى نفس القصيدة قال :

ديارنا بعد ما كانت معمورة منهم غدت مسكن الطاغين والظلماء (١)
والجمع الصحيح هو « الظلمة » .

ومع أن الوزن فى جميع قصائد هذا الشاعر يكاد يكون مستقيما . الا أن نظمه ضعيف فى بعض الاحيان ، ونجد ذلك فى قوله فى القصيدة نفسها :

ثم الصلاة على المختار سيدنا نبينا من إلى الارسال قد ختما

فهو يعدى « ختم » بحرف الجر « إلى » ولا داعى لهذا لان الفعل متعد اصلا ، ولا نرى داعيا لحرف التحقيق « قد » لأن المعنى لا يحتاج اليها ، والمقام بصفة عامة لا يقتضيهما لكن ربما تقتضيهما اقامة الوزن ، كما تقتضى تعدية الفعل المتعدى . وفى قوله من مرثية للشيخ احمد بن عيسى :

بكى السماء وعم الارض بالمطر بعد الكسوف لشمس العلم والقمر

حيث جاء بلام البحر ، ولا نرى ما يدعوا لها غير اقامة الوزن ، لأننا نقول كسوف الشمس ، وكسوف القمر بالاضافة الصريحة .

واننا لنجد في هذه النماذج بعض الإخطاء في النحو كقول إبراهيم عبد الدافع

كنا زمانا نجينا الركب من بعد إلى الغلوم وللقرآن والحكما

ف « الحكم » معطوفة على مجرور وحققها ان تكون مجرورة . لكن الشاعر لا يأبه للقاعدة النحوية في سبيل اقامة الوزن .

وكقول محمد أحمد هاشم :

محمد من بتوفيق الاله سما فوافق الاسم معنى طاب ذاكره

حيث قطع همزة الوصل اضطرارا في « الاسم »

وقد حدث عكس هذا في قول الشيخ احمد الازهر :

ادر ذكر اسماعيل بين المحافل ولو هازلا واطرب به قلب غافل

حيث وصل القطع اضطرارا في « اطرب »

وفي قوله :

صلائي وتسليمي على اشرف الوري محمد من لي اليوم اعظم كافل

حيث منع الصرف اضطرارا في « محمد »

كما نجد بعض التحريف وذلك في قول الشيخ الامين محمد الضريبر :

الود مادية والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان

حيث حرف كلمة « خيوان » في الشطر الاول بغية الجناس والتحريف امر مشهور في الرجز القديم ولكنه معيب على أي حال .

درج هؤلاء الشعراء على اختتام قصائدهم باحدى طرق ثلاث ، وقد يجمع

واحد منهم بين طريقتين في قصيدة واحدة ، والطرق الثلاث هي :

١ - الصلاة على النبي

٢ - اعادة الشطر الاول من البيت

فالشـيخ ابراهيم عبد الدافع اختتم قصائده الثلاث بالصلاة على النبي كما رأينا في النماذج ، والضرير اختتم واحدة (وهي مدح الخديوى توفيق) بالتاريخ وأخرى بالصلاة على النبي أما الثالثة فقد جمع فيها بين الصلاة واعادة الشطر الاول من البيت الاول . نلاحظ ان لغة هذا الشعر بصفة عامة خير من لغة شعر القونج ، فالأخطاء أقل والتعابير والالفاظ سليمة فصيحة الا في القليل النادر الذى جاء في قصيدة الشيخ محمد أحمد هاشم حيث قال :

تباشرت بربر فى يوم مجمعهما بمولد فيه نال الخير ناسره (١)

وكلمة « تباشر » بالمعنى المراد هنا عامية سودانية . ثمة ظاهرة أخرى تجلت في هذا الشعر وهي التلاعب بالالفاظ ، وقد برزت لنا في شعر الشيخ الضرير فكثيرا ما يجانس بين الالفاظ كقوله في مطلع قصيدته التى مدح بها الخديوى مصر :

الود مأدبة والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحالهم فهى الشعار حظوا بالوصل أوبانوا

وفيها أيضا :

أليس عارفكم بيدي مغارفكم وكذلك فى قوله من نفس القصيدة :

بمحور فضل بلا من ولا علل نعم لهم علل بالمن — زدان
فالجد جد عليا فى محامده وسيغى الشهم ابراهيم معوان
مخايل الخير فى توفيقه ظهرت اكرم بشهم له التوفيق عتوان
عين الافاضل لا تحصى فواضله لانه فاضل الاعيان محسان

واحيانا يطابق بين الالفاظ كقوله :

فالعسر يغلبه سران اوضح ذا مافى الحديث وما اخفاه برهان

اننا نجد مثل هذا التلاعب فى شعر الشيخ يحيى السلاوى ، ففى نونيته التى مدح بها السيد محمد سر الحتم الميرغنى . وقد عرضنا مجموعة من أبياتها فى نماذجنا — قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
ان المصطلحات العلمية وجدت طريقها إلى شعر العهد التركي ، ونجد النحوية
منها في شعر الشيخ الضرير حيث قال في مدح الخديوي توفيق في النونية التي عرضنا
بعض آياتها في ماتقدم :

سما غدا رافعا اعلام نصرته مع نصبه انخفضت للفتح بلدان
فصار يكسر بالتقسيم شوكتها فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا

كما نجد المصطلحات العروضية في قول الشيخ أحمد الأزهرى وذلك في قصيدته
التي نظمها في مدح أبيه ، قال :

فيحري طويل حيث صرعت وزنه بثاني ضروب من فعول مفاغل
ونلمح في قصيدة الشيخ أحمد هذى بعض الالفاظ والمعاني القرآنية ومثال ذلك
قوله :

لم تر أن الله ميز خلقه بتأخير مفضول وتقديم فاضل
فقال رفعنا بعضكم فوق (١) فادكر ترى رفع بعض فوق بعض المقابل
نعم درجات خصها الله بالذي تقرب بالمفروض ثم النوافل
ونلمح مثل ذلك في قوله :

ويونس لم يأت إلى الفلك (٢) عابثا أتى نبذه بعد التقام لساحل

والآن يمكننا القول بأن شعر العهد التركي مع قلة عدد شعرائه يفضل شعر
العهد الفونجي في لغته وفي أسلوبه بصفة عامة - فقصائده تكاد تخلو من اختلال الوزن
ومن الأخطاء نحوية كانت أو صرفية أو لغوية ، إلا أن الخيال ظل ضعيفا في
العهد التركي كما كان أيام الفونج . أما المعاني في الموضوعين اللذين اقتصر عليهما
الشعر - المديح والثناء - فلم ترد عن المعروف المألوف - ففى مدح النبي مثلا
لا يجد الشاعر ما يخلعه على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلا أنه « أم الناس
بأهدى » وأنه « نور أظهره الله » و « هو عدتنا وذاخيرتنا » وأنه « صريح النسب
متزه مطهر عن الخنى » وأن « النساء لم يلدن مثله ولن يلدن » ثم يغيب هذه المعاني

١ - سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

٢ - سورة الصافات الآية ١٤٠ .

بدعاء واستغاثة بالنبي - وعندما يمدح شاعر شخصا من ذوى المكانة فانه يخلع عليه ايضا عددا من الصفات ويحاول الوصول به إلى درجة الكمال في تلك الصفات ، فالكرم والعلاء والشجاعة والتقوى والمقدرة على قهر الخصوم واخضاعهم ثم الفضل الواسع وطيب الأصل وبيان الطريق كلها ترص رصا ولا تبين شيئا كثيرا أو قليلا في شخص الممدوح وهي كلها لا تعدو أن تكون من المعاني الانسانية المعروفة التي يشترك فيها كثير من عبادة الله في كل بلد وفي كل زمان ومكان ، وفي خضم هذه المعاني العادية نجد احيانا قليلة معنى عاميا كقول ابراهيم عبد الدافع في قصيدته التي رثي بها العلماء :

صرنا طعاما بلا ملح يلد به

ان هذا المعنى كثير الورد في كلام العامة ، لكنه يرد في ألفاظ مختلفة ، و احيانا في كلمة واحدة تقال عن الشيء أو الشخص أو الحياة أو العمل .

كل هذه المعاني تورد بشكل تقريرى لاحظ للخيال فيه ، ولا يكاد القارىء يعثر فيها على أثر لشخصية الشاعر أو للشخص الذى تقال فيه .

وفي الرثاء حدثنا احد شعراء هذا العهد عن « انهدام ركن الدين » و « بكاء السماء » . وعما حل بالارض والناس ، وما اصاب الشمس والقمر ، وما آلت اليه حلقات الدرس بعلومها المختلفة . إلى غير ذلك مما يراد به تصوير الخطب العظيم والمصاب الأليم . بعد هذا التصوير عمد الشاعر إلى ذكر محاسن المتوفى وتعداد مآثره ومفاخره بطريقة الممدح ذاتها - ذلك السرد التقريرى الجاف الذى لا يوحى بعاطفة ولا يعبر أو يكشف عن حسرة ، ولا يرسم صورة ناطقة للمرثى . بدت لنا معاني الرثاء ونحن نتأملها جافة لا حياة فيها ، عادية لا تحوى جديدا مبتكرا . أما الصور فانتا لا تكاد نجد الا صورا مفردة متمثلة في التشبيهات التي جاءت في شعرهم ، وأكثر انواع التشبيه ورودا هو « البليغ » ومن ذلك قول الشيخ الضرب في التوبة :

الود مأدبة والصدق اخوان

بحور فضل بلا من ولا علل

وفي اللامية التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم :

« سبحان جاعله كهفا لنا » . ثم « فكان في طيبة الفراء شمس هدى »
« أعرافه المسك والانتقال وافرة » . « كالنمل في قصص بلى حطيمهم خصالا »
ومنه أيضا قول الشيخ محمد أحمد هاشم في قصيدته التي نظمها مهنتا الخديوى
بعيد جلوسه حيث قال :

« والسعد نخادمه في كل آونه »

« وذا منبع الاحسان ما طره »

« مليك حسن واحسان والهة »

وفي قصائد الشيخ يحيى السلاوى نجد هذه الامثلة : في البائية -

جبلان مرتفعان دونهما الورى	كالشمس في زحل بلا اطناب
.....	وارسل عليهم منك سوط عذاب (١)
جرد لهم سيف اليقين فانهم	خسروا وسيف الحق ليس بناب
والسيد البكرى تاج نقابه الا	أشراف اهل المجد والأنساب
وجناب قاضى مصر سيف شريعة	يسطو على كل امرىء متغابي

وفي احدى مدحيته للسيد محمد سر الختم الميرغنى -

ولى جيش عزم ثابت متألف

وفي الأخرى :

ونور علمك لا تخفاه خافية (يقصد لا تخفى عليه)

والمجد عقد نفيس انت جوهره

لازلت ركننا لنا فى ظله متع كالشمس تجتد منها الانجم الزهر

وفي قصيدة الشيخ أحمد الازهرى نجد التشبيهات :

ولا سيما من بعض أهل زماننا	شياطين انس عصبوا كل خامل
ظواهرهم مصلوحة (٢) باحتياهم	يراهم غير القوم مثل الامائل

١ - تفردا « وآرسل » بهزة وصل اللوزن

٢ - هذا الوزن غير معروف فى هذه المادة .

عندى سيف نص موضح أجز به رأس الجهول المجادل

وقل لزنيم كان يجهل أمسه
أناك أذاك الخزي أتيان وابل

ومن مراثيات الشيخ ابراهيم عبد الدافع نأخذ الامثلة :
من الأولى :-

هو بحر علم بالغيوب مكاشف
هو روح جسم عالم السودان

ومن الثانية :-

والآن في بطنها صاروا كحالتهم
صرنا طعاما بلا ملح يلسد به

ومن الثالثة :-

والدمع سال على الخدين منحدر
كتر الهداية مصباح الولاية
سراج أمة خير الخلق عملتها
روح الحياة حياة الروح صحبتها
من مته فاضت عيون العلم وانبعثت
كذلك نجد الصورة المفردة في بعض
تذكر منها على سبيل المثال :

في شعر ابراهيم عبد الدافع ، وفي مراثيته للعلماء نجد :-

اليوم أصبح ركن الدين منهما
واظلمت أرضنا حقا وقد خمدت
وقد بكينا دما والموت فرقنا
واشقتني بعد سادات تغولهم

نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
ريب المنون فواحنه واندما

شكوت زمانى بالانسى وشكرته
فسيان عندى أحسن الدهر أم أنا
وتهذيبه لى فى الحقيقة احسان
متى صح لى بالله عقل وإيمان
من الدهر بأنا اذ دنا الناس أو بانوا

وفيهما أيضا :

والرفد وفد فى حماه معزز
ضیوف توالیها على الحظ ضيفان

امام تمام واحد العصر لم يكن
وقد نظر بعض هؤلاء الشعراء إلى بعض الشعراء الاقدمين فى أبيات من
قصائدهم فمثلا قول الشيخ ابراهيم عبد الدافع فى رثائه العلماء :

وانبت ما كان موصولا بمنجدنا
وانحل ما كان معقودا بقميتنا
من معهد الخوجلى القطب وانحسما
من بهجة الدين والدنيا وقد عدما

ينظر إلى بعض أبيات ابن زيدون فى ثوبيته .

والشيخ الضرير فى قوله :

حتى نقول على عكس الذى زعموا « من ساءه زمن سرتة ازمان »

تصرف فى نصف البيت المشهور لابی البقاء الرئدى :

من سره زمن ساءته ازمان

والشيخ احمد الازهرى حين مدح أباه بقوله :

فلم تحصر الخيرات فيمن تقدموا قرب أخير جاز بحر الاوائل

نظرا إلى قول ابى العلاء :

واني وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

وبقوله :

وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه ولم يدر ذو الاسقام طيب الماكل

نظرا إلى القول القائل :

وفي مرقته احمد بن عيسى -

بكي السماء وعم الأرض بالمطر

وفي شعر الشيخ الضرير ومن تونيه « الود مآدبة والصدق اخوان » نجد -

في ظل والده الممدود في عمر له مع الطول بالخيرات عمران
من معشر ما زهت مصر بمثلهم من الملوكة وللتحقيق برهيان

أما قصيدة الشيخ محمد احمد هاشم فنورد من استعاراتها :

اليمن أقبل بالاحسان طائره

الكون قد رقصت فيه محاسنه

الغصن اعلن بالتغريد طائره

ضياء سوداننا من حسن رأفته

حيث المفاخر مضروب سرادقها

هذا الحديوي الذي سحت فضائله

ومن شعر الشيخ أحمد الازهرى نختار الامثلة :

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

رضاء الاله قد يحف جناحه

أناك أذاك الخزي

ومن بائية الشيخ يحيى السلاوى نختار هذه الأمثلة :

وبمثلهم في الناس تفتخر العلا والمجد يرقل في رفيع ثياب

واشدد عراهم بالخليفة انه متكفل بالنصر للأحزاب

ومن التونية :

وللمجد ركن منه لازال ثابتا توطد منه بالولاية أركان

ومن الرائية :

بمثل فتورك هذا الدهر يشتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر

نخذها أميري رعاك الله سالمة من كل عيب عروسا زانها الخفر

زفت لعلياك والاجلال يقدمها والعز والبشر والتكريم والفتة

تلكم نماذج من استعارات شعر العهد التركي اختزانها من قصائد شعراء ذلك العهد أمثلة للصور المفردة التي جاءت في شعرهم ، وهي في رأينا بحالتها هذى — وبما يحيط بها من مأخذ واردة في تلك القصائد لا تشير إلى موهبة مصقولة أو خيال واسع أو براعة في الإخراج . وهؤلاء الشعراء الخمسة كلهم علماء . شغلوا في مطلع حياتهم بدراسة الدين ، وفيما بعد بالعمل في التدريس أو القضاء ولم يفرغوا للأدب عامة أو الشعر خاصة ، ولما نظموا الشعر وجهوه إلى رجال الدين يمدحونهم ويثنونهم وتقدير السلطان الروحي ، كما اتجه به بعضهم إلى الحكومة طلبا لارضاء السلطان الزمني أو اعتبارا بما بعض فضله . وهذا يعني أن التجربة الشخصية والاثارة النفسية (أو الانفعال العاطفي) لم تتوفر لهم ، ان توفرت فلعلها لم تجد قوة تعبر عنها تعبيرا يجعل منها قطعة أدبية رائعة .

ان شعر العهد التركي المنحصر في دائرة ضيقة — دائرة المدح والثناء وفي هذه الدائرة الضيقة قيده شعراؤه فوقفوه على رجال الدين ورجال الدولة ، أما الحياة الاجتماعية فلم يتعرضوا لها في شعرهم وقد كان الناس يعانون من بطش الترك وعسف وكلاشهم ، لم يثر الظلم المتفشى احداهم ، ولم يجد ما كان يلقاه المواطنون من قسوة الحياة وسوء الإدارة صدى في نفس احداهم ، ولو حدث شيء من هذا لكان لشعر العهد التركي وقع آخر في نفوس الناس ، وموقع خطير في تاريخ البلاد الاجتماعي والأدبي .

ومهما يكن من شيء فان الذي وصلنا من شعر العهد التركي هو اربعمائة وسبعة عشر بيتا ، ونحن اذا حكمنا انما نحكم على هذا القدر الذي حفظته لنا الكتب التي تيسر لنا النظر فيها .

الفصل الثاني شعراء المهديّة

ثورة المهدي أسبابها وغاياتها :

إن الحكم المصري التركي الذي دان له السودان قرابة سبعين عاما بدأ إثر قتال دموى في دار الشايقية انهارت بعده مقاومتهم وسلموا للحكام الجدد وخضعوا لقوتهم التي لم يكن لهم بها قبل ، وبعد حرب معنوية في البقاع الأخرى كدار الجعليين وسنار وغيرهما ، ففى بربر « سلم لهم البلاد الملك نصر الدين ، ووافاهم هناك أيضا أبو حجل ملك الرباطاب مطيعا مواليا » (١) أما سنار فقد ظهرت فيها الخصومات الشخصية ، وبرزت الاحن والاحقاد ، ولم يكن فى وسع بلاط الفونج العتيد الذى ظل ثلاثة قرون مهيمنا على البلاد فى قوة وعزة ومنعة ان يتحد ويصمد ويقاوم بسبب الفتن والاضطراب « ولم يجد الملك بادي صاحب المظهر والاسم بلداً من الاذعان والطاعة » (٢) للغزاة . انهزم السودانيون اذن امام هذه القوة الطاغية الغازية لأنها كانت أكبر من قوتهم ، ولم يكن لهم قبل بما فيها من سلاح وعناد وخيل ورجل ، وانهزموا كذلك لان بعضهم تهيّب اللقاء وخارت عزائمه ولان الشقاق دب بين بعضهم وأثر بعضهم السلامة فالقى السلاح واعلن الاستسلام للجيش الغازى والولاء والطاعة للحكم الجديد . لكن أيمكن ان ينسى السودانيون تلك الهزيمة العسكرية فى ديار الشايقية وذاك الاندحار المعنوى فى البقاع الأخرى ؟ لا شك انهم ظلوا يذكرونه سنين طوالا ، ويتناقلون اخباره طوال مدة حكم الاتراك ، ولعل تلك الذكرى بقيت مصدرا لاسى وحسرة لكثيرين ، وربما كانت هذه الأخبار مبعث ألم وموجدة فى نفوس مجموعات منهم . واذا سلمنا بوجود هذه المشاعر — مشاعر الأسى والحسرة ، والالم والموجدة فى نفوس الاهلين أيمكننا القول أيضا بأنها لابد آخذة فى النمو والتفاقم إلى ان تصل درجة الانفجار ، ولا بد

١ - السودان فى قرن ٢٢

٢ - المصدر نفسه ٢٥ .

انها باقية على هذه الحال فى انتظار من يشعل الفتيلة فيدوى الانفجار ويذهب
بمن يذهب به ، ويقوض اركان هذا النظام الحديد .

لقد ترك الغزو التركى المصرى جراحا فى نفوس الاهلين ، وكان المفروض
أو المتوقع ان يأسو الحكم الذى اعقب الغزو تلك الجراح ويواليها بالعناية والرعاية
حتى تندمل تماما ، ثم يبذل قصارى جهده حتى تزول آثارها ، ويحتاط كل الحيلة
ويحذر كل الحذر حتى لا تنكأ الجراح لكنه لم يفعل ، بل على العكس سار فى
الناس سيرة لم تحمد فى حينها فقد اتسمت بالعنف وخير شاهد على ذلك معاملة
الدفتردار للجعليين انتقاما لصهره اسماعيل باشا ، ثم الطريقة التى تبعوها فى فرض
الضرائب وجمعها ، وفى ايقاف تجارة الرقيق ، وأبيات الشيخ محمد شريف التى
جاءت فى قصيدته المنظومة فى هجاء المهدي توضح الحالة العامة فى البلاد . قال :

وما أبت السودان حكم حكومة	إلى ان اتي ضعف المطالب من مصر (١)
فكالثلاث والثلاثين للمير وحده	وللشيخ والنظار اضعافه فبادر
بضرب شديد ثم كتف مؤلم	ومن بعده الالتقاء فى الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم	واشنع من ذا كله عنل الحر

اتسمت سيرة الحكومة أيضا بالمحاباة اذ اخذت تقرب بعض القبائل وتتخذ منها
الجنود ثم تعفيها من الضرائب ، ولا تعامل القبائل الاخرى نفس المعاملة ، كذلك
قربت احدى الطرق الصوفية المعروفة — اى المرغنية « حتى كثر أتباعهم وعظم
جاههم (٢) » مما احفظ الاهلين عامة ورجال الطرق الصوفية الاخرى بصفة خاصة .

تضافرت كل تلك العوامل مع ما كان يحدث ويتناقله الناس من أحداث
فردية فى خلق شعور قوى مناوئ للحكومة ، ولم يكن هذا الشعور متبعثا عن
الأحداث الادارية ، أو بعض الاعمال السياسية انما اضيف إلى كل هذه بعض
ما ينكره الدين ويرفضه العرف ، وبذلك صار الجو العام فى البلاد ، وهى بيئة
اسلامية ، جو ظلم وفساد . ضاق الاهلون بهذا الجو ، واشربت نفوسهم كراهية
نظام الحكم القائم حتى قال قائلهم « عشرة فى تربة ولا ريال فى طلبه » . هذه القولة

١ - تاريخ السودان - نعوم شقير ١٣٣٣ .

٢ - المصدر نفسه ١٣٤ .

تصور مدى ما وصل اليه ضيقهم بالحكومة وبأساليبها وتوضح ضعف ثقتهم في رجالها ، وتوضح كذلك فقدان الامل في حياة وادعة آمنة قى ظل تلك الحكومة او في كنف اولئك الحكام . وهم والحالة كما وصفنا لابد تواقون إلى مخرج مما احاط بهم ، أو إلى منقذ ينتشلهم من وهدة الظلم التي تردوا فيها .

في مثل هذا الجو الذي وصفنا عاش محمد أحمد بن عبد الله ، وفيه ايضا تنقل بين حلقات بعض العلماء الاجلاء فتبصر في امور دينه وتفقه ودرس اللغة والنحو ثم مال إلى الزهد ، وفي هذا الجو ايضا تنقل بين بقاع السودان المختلفة معلما مرشدا في كثير من التقشف والورع حتى أحبه الناس ، والتفت حوله جماعة كبيرة من المحبين والمعجبين ، وانتشر خبره ، وذاع صيت تقواه وورعه بين أرجاء البلاد المختلفة حتى أخذ الناس يفدون عليه متبركين طالبين الخلاص على يديه لما رأوه فيه من تمسك باهداب الدين وغيره على تعاليمه ، وقد احس محمد أحمد بحالة الناس لانه واحد منهم ، وادرك حاجتهم إلى منقذ . إلى رجل قوى مؤمن بالله وبنفسه ، رجل منقذ يأخذ بيد المواطنين ويقف امامهم ولهم ومعهم في وجه الحكام الطغاة ، كما احس انه هو المنقذ لانه « عمت البدع في البلاد وتطابقت عليها العلماء والعباد ، وانطوى بذلك نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العباد ، وما وجدنا من أهل من يعاوننا على احياء الاسلام في هذه الميادين في ذلك متحيرين حتى أتى الاذن من السماء »

كثيرة ، ان رسوله

في

قبي

في

ع

م

ر

ز

ح

ط

ومن هنا شاع بين الناس انه « المهدي المنتظر » فأيدوه وآمنوا به لينعيد العدل والحق ويحیی ما اندثر من تعاليم الدين ، وهكذا بدأت ثورة المهدي ، وانخذ اشتعالها يشتد شيئاً فشيئاً ، واوارها يضطرم قليلاً قليلاً إلى ان استفحل امرها واتت على الحكم التركي . قامت ثورة المهدي لأن :

(١) المجتمع السوداني كان مهياً للخروج على حكومة الاتراك ، وكان يبحث عن من يقوده للخروج عليها .

(٢) محمد أحمد بن عبد الله كان مهياً للثورة بشخصيته وثقافته الدينية الصوفية .

قامت هذه الثورة تعبيراً عن ارادة الامة السودانية ، فلم يكن السودانيون يريدون البقاء تحت سيطرة اجنبية تظلمهم ولا ترمي حقوقهم الوطنية ، تنهكهم ولا تحفظ فيهم كرامة الانسان . لقد قدمت تلك الادارة التي سيطرت على البلاد أكثر من نصف قرن شيئاً من الاعمال الجليلة — كفتح المدارس وتحسين المواصلات وايفاد المواطنين للدراسة في مصر وغير ذلك إلا أنها قصرت وأساءت في جوانب عديدة لذلك رفض السودانيون سيطرتها وهبوا مع محمد أحمد بن عبد الله الذي اعلن لهم انه « المهدي المنتظر » ، فأمنوا به ، هبوا معه لتخليص بلادهم من يد الحكم التركي ولانهاء بعض الافعال المنكرة التي كان يقترفها بعض الحكام ونقر من تلك الافعال التي تأبأها الشريعة السماوية والشريعة العرفية ، تلك الافعال

التي عانتها
البلاد منذ
كون

من

بهم

بهم

أن

ي

ب

لذلك وسيلة فيها حزم وصرامة وغرابة « اذ أمر بإحراق الكتب الم...
 كالقرآن والصحيحين وأحياء علوم الدين » (١) وأعلن للناس ان مذهبه « هو الكتاب
 والسنة والتوكل على الله » (٢) وأنه قد « طرح العمل بالمذاهب ورأى المشايخ » (٣)
 وهذا يدل على انه أراد ان يوحد مصادر الدراسة للمسلمين ويوجه انظارهم وعقولهم
 إلى مراجع معينة حتى لا تشتت جهودهم وأفكارهم . كما أنه أبطل « العمل
 بجميع الاوراد وألف لانتصاره راتبا يقرأونه يوميا وهو مجموعة من الآيات
 والاحاديث والادعية » (٤) . أما التعليم فقد وقفه « على حفظ القرآن والراتب » (٥)
 ولعله أراد بكل ذلك ان يجمع الناس في فكرة دينية واحدة ثم يسعى بعد ذلك
 لغاية أكبر واسمى .

كان محمد أحمد المهدي قد كتب إلى محمد المهدي السنوسي زعيم الطائفة
 السنوسية في ليبيا ينبئه بأمره ويقول له : « ... انك من الوزراء لي ، ثم لازلنا
 نتظرك حتى اعلمنّا الحضر عليه السلام باحوالكم وما انتم عليه ، ثم حصلت حضرة
 عظيمة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيها خلفا اصحابه من اصحابي ، فاجلس
 احد اصحابي على كرسى أبي بكر الصديق ، واحدهم على كرسى عمر واوقف
 كرسى عثمان فقال . هذا الكرسي لابن السنوسي إلى ان يأتيكم بقرب او يطول
 واجلس احد اصحابي على كرسى علي رضوان الله عليهم اجمعين » (٦) وقد اختتم
 رسالته هذي بقوله « فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك إلى مصر
 ونواحيها ان لم يسلموا ، واما ان تهاجر إلينا . ولكن الهجرة احب إلينا كما علمت
 فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت . وعلى كل حال ترد إلينا منك
 الافادة بما يصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة والسلام » (٧) .
 ونحن نرى في هذا الخطاب :

- ١ - السودان في قرن ٣٣٧
- ٢ - ٣ المصدر نفسه - نفس الصفحة
- ٤ - السودان في قرن
- ٥ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - عابدين ١٢٦
- ٦ - منشورات المهدي ، أبو سليم ٧٣
- ٧ - المصدر نفسه ص ٧٥

١ - دعوة صريحة للسوسى للدخول في المهديّة والحضور إلى السودان
وقد صيغت الدعوة في شيء من الإغراء وشيء من التهديد في ختامها .

ثانيا عزم المهدي على اقناع زعماء الطوائف الدينية الكبيرة في خارج السودان
بقبول مهديته .

ثالثا - ثقة المهدي بنفسه وإيمانه العميق برسالته

رابعا - عزمه على غزو مصر وادخالها في دعوته .

وقد كتب فعلا إلى حسين باشا خليفة الذي كان مديرا لبربر ابان الحكم
التركي وكلفه الدعوة له بين العبادلة وجيرانهم من القبائل الأخرى - « ولما كان
موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهاد أعداء الله الكافرين : وقد انتهى امرهم
بالسودان وعزمنا بإرادة الله على التفرغ لغيرها من البلدان فقد اخترنا الله تعالى
ووجهناك امامنا عاملا عموميا على كافة قبائل جماعتك العبادلة . . وعلى كافة من
يرغب الانضمام عليك من القبائل الأخرى بطوعه واختياره لتبليغهم دعوتنا وتعطيهم
بيعتنا وتستغفرهم لأحياء الدين » (١) وكتب لخديوي مصر أيضا يدعوه إلى الدخول
في طاعته والاعتراف بمهديته وينذره ويحذره من عواقب الرفض - قال « وقد
حررت اليك هذا الكتاب وأنا بالحرطوم بشفقة عليك وحرصنا على هدايتك فارجو
الله أن يشرح صبرك بقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدين وها أنا أقدم
على جهتك بجنود الله وعن قريب أن شاء الله . فإن امر السودان قد أنتهى فإن
بادرتني بالتسليم لأمر المهديّة والانتابة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الأبدية
وأمنت على نفسك ومالك وعرضك أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك ، وإن
أبيت بعد هذا إلا الاعراض عن طريق الفلاح والرشاد فانما عليك أثمك وأثم من
معك ، ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيدة . وهذا أنذير
منى اليك وفيه الكفاية لمن أدركته العناية والسلام على من اتبع الهدى » (٢) .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل عين المهدي ولادة له في بعض البلدان الإسلامية
كسوريا ومراكش ، وهذا التعيين وما قدمناه من إرسال الكتب إلى كل من السوسى

١ - السودان في قرن ٢٣١

٢ - السودان في قرن ٢٣٢

الزعيم الديني ، وإلى حسين باشا خليفة أحد موظفي الدولة التي دمرتها جيوش المهدي وأنت حكمها ، ثم إلى خديو مصر ، وما تضمنته تلك الكتب من روح دينية عميقة وإيمان بهدف معين وغاية محددة - كل ذلك يحملنا على القول بأن الثورة المهدية كانت ترمي إلى توحيد المسلمين في فكرة واحدة وتحت إمرة رجل واحد أو إمام واحد هو «محمد أحمد المهدي» .

الشعر الوطني ومظاهره في الانتاج الشعري

جاءت دعوة المهدي في وقت استشرى فيه الفساد ، وعم الظلم ، وأصاب الناس كرب عظيم وأحسوا الغبن والضيم ، فاستجابوا لتلك الدعوة ، وانخرط معظم القادريين منهم جنودا في صفوف جيشها ، وخاضوا المعارك واحدة بعد الأخرى في حماس دافق ، متزايد ، يتجدد بعد كل معركة واثق كل انتصار . أما الشعر فقد أخرجته شعراؤه من التعمق الذي حبس فيه إبان العهد التركي «وساروا به في موكب الحماس الدافق ، واخذ الشعراء يمدحون المهدي ويصفون شجاعة الانتصار وصبرهم على القتال ويحثون الناس على الجهاد» (١) لقد أثارت المهدية حميتهم الدينية لأن قائدها عرف بالتقوى والورع والزهد وأعلن الخروج على الحكم التركي في سبيل الإصلاح وإزالة المظالم ، كما أن المهدي واحد منهم أيده جموع غفيرة من أهل البلاد وحالفه التوفيق فانتصر على جيوش الحكومة التركية التي قصرت في حقهم وهم رعاياها وهم مسلمون ، لذلك اندفع الشعراء يعلنون ابتهاجهم بظهوره ، ويمجدون انتصاره . لأن ظهوره بشري بالخلاص كما أن انتصاره تأكيد للخلاص .

فمن الابتهاج قول الشيخ الحسين الزهراء في همزيته المشهورة (٢) .

برح الحفا ما الحق فيه خفاء (٣) وتوالت الآيات والانباء
فالامر جدد والقلوب مريضة والداء داء والدواء دواء

١ - الشعر الحديث - الشوش - ٣٣

٢ - الشيخ الحسين عالم سوداني تعلم في الأزهر ، واشتغل بالتدريس في مدرسة فتحها في قريته - تولى القضاء في المهدي وكان تقيا ورعا نزيها . سجنه الخليفة عبد الله خلاف وقع بينهما في في فتوى وبقي في السجن إلى أن مات - شعراء السودان ٦ .

٣ - شعراء السودان ٧

ان الشيخ العالم ابتهج بظهور الحق : وتوالى الآيات والانباء بهذا الظهور ، فقد قامت الشواهد على ظهور الحق . ويبدو لنا ابتهاجه فيما قال عن الشمس الباهرة وما عليها من « هيبة وبهاء » وكذلك البدر وقد تم كماله وغير ذلك من الاوصاف والمعاني التي تنبىء عن الاشراق والتعابير التي تفصح عن المسرة والبهجة . بعد ذلك — أى بعد ان عبر عن بهجته اخذ في مدح المهدي ، قال :

مهدى رب العرش منتظر الورى وإلى الولى والاكرمون وراءه (١)
السابق ابن السابقين إلى الهندي من معشر نتجت بهم زهراء

يبدأ الشاعر مدحه بآيات مهدية محمد أحمد بن عبد الله حيث يقول « مهدى رب العرش منتظر الورى » ثم يعلن انتماء المهدي إلى القوم الذين سبقوا إلى الهدي وبهم زهت الدنيا وعم الخير ، بعد ذلك يبشر قومه بالمهدي ، وهذا ابتهاج لكون المهدي من بني وطنه ، ويعتد ظهور المهدي مقدمة لنعم كثيرة تأتي فيما بعد — وهو بهذا يعلن أيضا حسن ظنه في حكومة المهدي واعماله المقبلة ويتوقع خيرا . وفيرا لأن المهدي «مهدى رب العرش ومنتظر الورى» سيرفع الظلم عن المسلمين ويملا الأرض عدلا بعد ان ملئت جورا وهو « مهدى رب العرش منتظر الورى » من ابناء هذا البلد الاتقياء الورعين الزاهدين وقه تحمس له الشاعر اذ قال « جمعت حذافير الولا لنا » ويبدو لنا في عبارته هذى ما يتوقعه للمهدي من نجاح ومن التفاف المسلمين حوله يقدمون له فروض الولاء والطاعة ، وهم بذلك يقدمون الولاء والطاعة لقوم المهدي الذين نشأ بينهم وخرج من صفوفهم . معلنا ثورته بعد هذا المدح الذي يتسم بشيء من الروح الدينية وشيء من الشحور الوطني يلتفت الشيخ الحسين إلى العلماء فيقول لهم :

علماء امة احمد ناشدتكُم ردوا جوابي انكم علماء (٢)
ارضى وترضون الضلال بعدما ظهر الهدي وانجاب عنه فداء

انه يناشدهم مستعينا في مناشدتهم بعلمهم ، وبما يجب ان يتحلى به العلماء ، وما يتصفون بهم في حياتهم وعلاقاتهم ، وقولهم وفعلهم بصفة عامة ، انهم القادة ،

١ - شعراء السودان ٨

٢ - شعراء السودان ٩

وهم القدوة - يبعدون عن الضلال وينفرون من كل خبث ، ويميلون إلى الهدى ويسعون اليه ويحثون الناس للاخذ بأسبابه ، وها هو ذا قد ظهر في المجتمع السوداني واضحاً أخاذاً ، فكيف يتركونه ، وكيف يبعدون عنه ، فينتقل زمام الأمور إلى الغرباء ؟! انه يريد منهم ان يتنبهوا لأمر الدين بعد ظهور المهدي حتى لا ينفرد الجهلاء بالأمر فيفسدوا في البلاد ويصيب الأذى المواطنين المسلمين المسلمين ، اننا نعتقد ان الشيخ الحسين أراد للعلماء مكان القيادة لانهم أولى بها لعلمهم الذي يحميهم من الزلل والظلم ويحملهم على نفع المسلمين ، وهو ايضا يغار على الاسلام ويحرص على منفعة المسلمين وهذا كله يدلنا على ان حركة المهدي أثارت حمية الشيخ الحسين الدينية كما ثارت شعوره الوطني .

عبر شاعر آخر عن ابتهاجه بظهور المهدي بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا واختار لها بحراً خفيفاً موسيقياً - سريعتها ذلكم الشاعر هو الشيخ عبد الغنى السلاوي (١) ، قال في تلكم القصيدة :

راق الصبوح ورقى الصهباء	مد كان فيها للعليل شفاء (٢)
ريّة نبوية ملكية	مهديّة روحية وسماء
شمسية قمرية ما فض عنها	ختمها في دنيا ورقاء
تشدو بأعلى صوتها طرباً بها	فغدت تناوب شدوها الشعراء

في هذه الأبيات الأربعة التي ابتدأ بها الشاعر الشيخ اعلانه عن تهيئة الجو للشرب - حسب عرف الحمريين - فهنا شراب رقيق ذهبي اللون . والوقت صباح ، وفي الصباح الاشرار والدفء واليقظة ، ويتبع هاته السعي للعمل والاتصال بالناس من أهل وزملاء وغيرهم ، وكل هذا خير ينفع النفوس ويبهجها . اما الشراب الرقيق ذو اللون الذهبي فهو شراب يذهب بالعلة ، ويرىء صاحبها منها فيعود صحيحاً قوياً . فالزمان طيب والشراب طيب ، ولا شيء ادعى للابتهاج منهما عند الحمريين - الا أن الشاعر الشيخ يعنى بل يريد ان يشرب من خمر معينة وصفها

١ - عام فاضل ، ولد بالخرطوم عام ١٢٣٧ هـ ، تولى القضاء الشرعي في العهد التركي في بعض

مدن السودان - نشات البراق ٧١

٢ - المصدر نفسه ٨١

فى البيتين الثانى والثالث ، يريد ان يشرب منها لتكتمل له البهجة و « يتم هناؤه »
لانها خمر « مهديّة روحية وسماء » ، وهى ايضا خمر محللة تأتى للشاربين من المهدي
وهى افضل واطيب من غيرها لانها خمر الهداية ، ألا تراه يقول :

معصومة عما يحرم كاسها فاشربه ثم ادر هناك هناك (١)
ان كنت من انصار مهديها لنا مهدي الورى من فاض عنه هدا

يبدو من هذين البيتين ان الشاعر تعدى مرحلة الابتهاج الى الاعجاب بتلك الخمر
لأننا نراه يدعو غيره لشرب ثم يدير الكأس الى آخر أو آخرين أو يرده الى الشاعر
كما انه يغرى غيره بالدخول فى بيعة المهدي بقوله « ان كنت من انصارنا مهديها
لنا » .

ان هذه الايات التى اوردناها - على ما فيها من ضعف - تصور شعور
الناظم ، وفى رأينا ان شعوره ينطوى على الابتهاج بظهور المهدي وعلى اعجاب
بما جاء به المهدي . يأخذ الناظم بعد ذلك فى مدح المهدي وتأييد دعوته حيث
يقول فى القصيدة نفسها :

ما هديه غير الكتاب وسنة والتاركون لذلك هم كفراء (٢)
اجلى الصدا وازاح أنواع الردى وسمت به فوق السماء علية

اذا تأملنا الايات نجد ان فيها مدحا لشخص المهدي وهذا المدح فيما نرى يشف
عن رأى الشاعر فى شخص المهدي - يقول عنه انه يتبع كتاب الله (القرآن)
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ مسلم صحيح الاسلام ، وهو ايضا تقى
ورع لأنه يهتدى بالقرآن الكريم ويسترشد بسنة محمد النبى العظيم وهذا غاية ما يتمناه
كل مسلم . بل هو غاية ما يبلغه اى مسلم ، ويقول ان المهدي « أجلى الصدا وازال
أنواع الردى » ونستشف من هذا ان الشاعر يعتقد ان المهدي بظهوره وبدعوته
ومسلكه ازال كل ما علق بالدين من شوائب ، ورفع عن بنى وطنه المظالم وحال
بينهم وبين ألوان العذاب التى كانت تذيبهم طعم الموت وهم أحياء مرات ومرات
ويقول « ان رياض المعالى اينعت » بظهوره ونرى أنه يريد من هذا التعبير المجازى

١ - نفثات اليراع ٨١

٢ - نفثات اليراع ٨١ - ٨٢

ان يصف لنا أو يبين تلك الروح الجديدة التي دخلت المجتمع السوداني فاستشعر
السودانيون العزة بدخولها ، وشمخوا بأنوفهم لان المهدي المنتظر ظهر فيهم ، هكذا
يمضي الشاعر في امتداح المهدي فيقرر انه جدد آثار النبي صلوات الله وسلامه عليه ،
وانه ماجد فاضل عادل يسوي بين الناس ، وهو خطيب يفوق قسا وسحبان .

نجد كذلك في تلك الايات شيئا عن الدعوة التي نجاء بها المهدي ، أنه يمتدحها
ايضا فيضفها بالقوة والاحكام والصدق وبالحلو من الارتباب ، ويذكر انها مقبولة
عقلا لانها تحوى « موجبات صدقها » ، ونجد في الايات أيضا شيئا عن مؤيدي
الدعوة ومعارضيه فالمؤيدون ارتفعوا إلى اوج العلا اما المعارضون فهم اعداء وهم
كفرة . كما بين الشاعر رأيه في شخص المهدي بما مدحه به ، بين كذلك رأيه
في دعوته بما قال عنها ، فالمهدي في رأيه رجل الدين المثالي لانه ازال ما علق
بالدين من شوائب ولانه تقى ورع ، ورجل الدنيا المثالي لانه سوى بين الناس ورفع
عنهم الظلم .

✓ أما الشاعر محمد عمر البنا (١) فقد بلغ به الحماس للمهدية أقصى درجاته ،
نظم هذا الشاعر ثائيته المشهورة من اربعة وستين بيتا ، ومطلعها :
الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الاله حياة .

وقصرها على الموضوعات الآتية :

- ١ - مدح انتصار المهدي
- ٢ - حثهم على القتال أو ترغيبهم في الجهاد .
- ٣ - وصف معاركهم .

وجاءت بداية هذه القصيدة حثا على الجهاد وترغيبا في الشهادة وانه لحت مسبب
— قال :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الاله حياة (٢).

١ - عالم سوداني وشاعر ولد برفاعة ١٢٦٥ هـ تلقى العلم بالأزهر . اتصل بالمهدي وصار من المقربين
اليه ، ومن الخليفة عند الله من بعده - تولى مناصب في القضاء اشرعى في عهد الحكم الثنائي
توفي سنة ١٩١٩ - شعراء السودان ٢٧٣ .

٢ - شعراء السودان ٢٧٣ .

الجلين عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها العزومات

✓ يأخذ الشاعر بعد ذلك في مدح الانتصار ، ومجىء المدح بعد ذلك الحث المسبب
يشير الحمية بلا شك ، ويحرك الضجر : كما أنه يكشف عن رغبة أكيدة في نفس
الشاعر ولعلها كذلك أصيلة : رغبة في انتصار المهدي على خصومه ، وفي انفراد
بحكم البلاد ، وهذه الرغبة بالطبع لا تنجم الا عن شعور وطني وعن حمية دينية
لأن المهدي من بنى السودان ولأنه اتصف بالتقى والورع والزهد والغيرة على
الدين ولأن الشيخ البنا نفسه عالم سوداني يغار على دينه ولا شك انه — لعلمه وثقافته
الدينية — يحب الخير للمسلمين لاسيما من يشار كونه الموطن وتربطهم به رابطة
الدم ، ولا شك أنه توقع الخير في شخص المهدي وفي دعوته ولذلك انضم له وأخذ
ينظم مثل هذه القصيدة ويقول ممدحا الانتصار :

قد حاز هذا الافتخار جميعه صحب الامام السادة القادات (١)
قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة

بلى هذا المدح وصف لاحدى المعارك التى خاضها الانتصار ، ويبدو من الوصف
ان الانتصار كسبوا تلك المعركة وقتلوا الاعداء تقتيلا — يقول الشاعر فى ذلك :

فأثرون نفع الموت فى عرصاتهم وأغرن صبحا اذ علت أصوات
وذباب أسياف المنية فوقها رعت دما وجلأؤها الهامات
والأرض سالت بالدماء وما بها غير الحماجسم والشعور نبات

بعد أبيات الوصف هذى يعود الشاعر إلى امتداح الانتصار والاشادة بجهادهم
فيقول :

يا أيها الانتصار ان صنيعكم شكر الاله له وتلك هبات (٢)
أعليتم دين الاله وما بكم الا الثبات تزيينه الوثبات
وشرحتهم صدر الرسول محمد بالفتح وانكشفت بكم ظلمات

بلى هذا الثناء الذى ازجاه الشاعر لجهاده الانتصار ولجهادهم فى اعلاء الدين وشرح
صدر الرسول حث على القتال ومنازلة الاعداء ، وقد بدأ هذه القصيدة بالحث

١ - شعراء السودان ٢٧٥

٢ - شعراء السودان ٢٧٦

الخليفة عبد الله إلى القائد عثمان دقنه المعسكر بجيشه في « هندوب » بالانسحاب من المدينة ، قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب (١)
وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

يبدو الشاعر في هذه الأبيات معتدا بقوة قومه الذين يناصرهم او يجارب معهم وهم انصار المهدي ، ويحس القارىء في اعتداد الشاعر قدرا غير قليل من الحماس وقوة معنوية توحى بها الالفاظ القوية بكتوبه « ارتكبنا للمصاعب »

و « ادرعنا للمصائب » وقوله « وقع الصواعق في المضارب » و « يرن سلاحه كالرعد » - ويتجلى الاعتداد والاعتزاز بالقوة في البيتين :

ما ان رحلنا عنهم — جزعا ولا خوف التوائب
بل طاعة لوليننا فليدر ذا كل الاجانب

وفي الشطر الثاني من البيت الثاني يبدو التحدى للاجانب الذين قد يتقولون ويفسرون هذا الانسحاب تفسيراً لا يمت إلى دواعيه الحقيقية بصلة ، وهذا التحدى يوحي بأن الشاعر يأنف من ان يوصف هو وقومه بالجن وخور العزيمة ، وفي هذه الآنفه أيضا اعتداد وأى اعتداد . نلاحظ كذلك ان الشاعر استعمل ضمير جماعة المتكلمين في ثلاثة عشر بيتا اكثر من عشر مرات هذا الاستعمال بالاضافة إلى الاعتداد والتحدى والآنفه يتم عن شعور وطنى قوى ، كما ان الحمية الدينية بادية في البيتين :

نحى الدين الله بسل فى شأنه نلقى المعاطب
متوسلين اليه بالمهدي وجهة كل راغب

رثي هذا الشاعر - محمد بن الطاهر المجذوب محمد أحمد المهدي عندما توفاه الله بقصيدة جاء فيها :

دهنتا دواه يضرس القلب نايها ويوقد فى الاحشاء نارا منا بها (٢)
غداة نعى الناعون مهدينا الذى به ملة الاسلام جل مصابها

١ - فترات البراع ، ٩٢

٢ - شعراء السودان ٣١١

ورثاه شاعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف الدولابي (١) بقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ، جاء فيها :

كيف التام فؤادى المقطور ورقوء دمع محاجرى المفجور (٢)
ام كيف ينفك الضنا عن مهجة احشاؤها تصلى على تنور
ونظم الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الكردي (٣) ثلاثين بيتا في وصف قبة المهدي
وضمن تلك الايات شيئا من الرثاء ، قال :

سمت قبة المهدي مجدا وسؤدا ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا (٤)
وصيغ من الاكليل تاج طامها وسال بها نهر المجرة مزبدا
ثم قال يتحسر على وفاة المهدي : رحمه
به الله أحيانا واضهر دينه وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا (٥)

لاحظنا في ما تقدم ان الشعراء انتهجوا لظهور المهدي وانهم كذلك امتدحوه واشادوا بجهاد انصاره في سبيل الدعوة ووصفوا معاركهم وحشودهم على القتال والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الدين ، ولاحظنا ايضا ان المدح شمل بعض كبار اصحاب المهدي ، ولم يكن وفقا عليه ، ولاحظنا اخيرا ان بعضهم رثاه ، كما وصف بعض منتهم قبه . ان كل هذا في رأينا مظهر من مظاهر التأيد ، والتأييد يدل على قبول الفكرة والرضا بنتائجها ، وهذا كله فيما نرى يكشف عن شعور وطني قوى اثارته في هؤلاء الشعراء شخصية المهدي ودعوته .

فكرة الشعراء عن الدولة :

تبين لنا مما ذكر في فصل سابق ان المهدي جاء بفكرة محددة وهي وضع السودانيين في كيان موحد ، وقد اتخذ لتحقيق هذه الفكرة سبلا مختلفة منها :

- ١ - عالم سوداني تلقى تعليمه في الأزهر ، عمل قافيا شرعيا في اتهم التركي - شعراء السودان ٢٧
- ٢ - المصدر نفسه ٢٧ - ٢٨
- ٣ - عالم سوداني جليل شهير ، تلقى تعليمه بالأزهر ، وتوفي بمنفى المهدي في مدينة منقلة عام ١٣١٦ هـ
- ٤ - شعراء السودان ٤١
- ٥ - المصدر نفسه ٤٢

(١) إبطاله العمل بالمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة التي يتبعها المسلمون منذ مئات السنين في جميع بقاع المعمورة .

(٢) ابتداعه مذهبا خاصا وفرضه هذا المذهب على أتباعه .

(٣) « رفضه التغلغل الخارجي ومناهضته لكل ما يأتي من الخارج حتى الأسلحة النارية » (١) .

كما عرف عنه أنه « تشبه بالنبي في جميع أعماله » (٢) ، وأنه اتخذ لإدارة البلاد حكومة قوامها ثلاثة أقسام - الجند وقد جعلهم تحت إمرة خلفائه لكل واحد منهم قسم ، وبضم كل قسم مجموعة من القبائل من بينها قبيلة الخليفة القائد أو الأمير ، ثم بيت المال وندب للإشراف عليه رجلا « من أصدقائه » (٣) ثم القضاء واستند إلى رجل من علماء الأزهر ، وجعل له أعوانا يؤدون بعض الأعمال الصغرى .

لقد أراد المهدي خلق كيان موحد للسودانيين ولذلك ربط الناس برباط اقتبسه من الدين ، وبتأخر من القبلية وبالتالي من « السلطة التنفيذية » التي كونها ، وبهذا تكونت في السودان والسودانيين « دولة » كونها المهدي بفكره ووسائله وعمله ، فهل ظهرت تلك الدولة في شعر أولئك الشعراء الذين أيدوا المهدي ومدحوا المهدي وأعوانه وأنصاره ووصفوا معاركهم ؟ وهل كان لأفكار المهدي صدى أو أثر في شعر أي منهم ؟ وهل دعا واحد من أولئك الشعراء تصرّحا أو تلميحاً إلى قيام دولة أو نظام معين ؟ اننا سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة بالنظر في شعرهم ، ونقول - لقد تصفحنا شعر شعراء المهدي في مصادره التي روتها لنا رواية يوثق بها ويعول عليها في البحث العلمي ، والتقصي التاريخي ، وتتبعنا أولئك الشعراء وما نظموا من شعر بيتا بيتا فلم نجد فيه بيتا أو تعبيراً يحمل فكرة واضحة محددة عن الدولة ، أو رأيا صريحا مفصلا في الحكم ونظامه ، إلا أن بعضهم اتخذ ينعي على الولاة جهلهم ، ويطالب بتولية العلماء ، ذلك هو الشيخ الحسين الزهراء في أبياته :

١ - تقرير لجنة تنظيم الخدمة ٢٠١٠

٢ - تاريخ السودان - نعم شقير (بيروت) ٦٦٧

٣ - تاريخ السودان ، نعم شقير ، بيروت ، ٦٦٩

جهل الولاة أمات دين محمد واهيله ماتوا وهم أحياء (١)
وتراكمت ظلماهم بين الوري لما اطمأن لهم ودام ولاء

ينقد الشيخ الحسين في أبياته هذى سياسة المهدي التي يتبعها في تعيين الولاة -
اولئك الرجال الذين يحكمون نيابة عنه وينفذون سياسته ، ويتخذ لهذا النقد وسيلة
مهدية ، فتحن نرى انه لا يوجه نقده أو لومه للمهدي توجيها مباشرا وانما ينتقص
اولئك الولاة اذ يرميهم بالجهل واللؤم ويقرر ان ما نتج عن لؤمهم وجهلهم هو
« إمارة الدين » ، ونتجت ايضا اشياء أخرى منها « موت اهل الدين وهم احياء »
ومنها « تراكم الظلمات بين الوري » ، ولا مخرج من ذلك الا بتولية العلماء ،
الا تراه يقول :

فتناولته من اللثام واغظه صنف الكرام فاهله العلماء

وإلى من يوجه الشاعر هذا الخطاب ؟ انه يوجهه إلى محمد أحمد المهدي « ابن النبي
محمد ووليه وأمينه » كما يسميه أو يصفه في الابيات ذاتها ، انه يطالبه بوضع زمام
السلطة في ايدي العلماء لانهم اعرف بالدين من سواهم ، والشاعر يريد للدين ان
يحيا ، ويريد للمسلمين حكما صالحا يقوم على العلم الصحيح والخلق الكريم والعلماء
هل ذلك . ثم ان المهدي نفسه جاء ليعيد للدين مجده وليزيل كل ما علق به من شوائب
وهو الولي الذي ائتمنه النبي على ملته وامته ، كما اوضح الشاعر ، وهو لهذا
« حاكم ديني » ، والشاعر يطلب اليه بتولية العلماء - وهم بالطبع اولئك الرجال
الذين تفقهوا في الدين وعرفوا ما ينفع المسلمين ، وما يصلح لمجتمعهم ، واذا
كان الامر كذلك فما هو نوع الحكم الذي اراده الشاعر لبلاده ، وما هي الأسس
التي ارتأى الشاعر قيام « الدولة السودانية » الجديدة عليها ؟ يبدو لنا ان الشاعر اراد
ان يقوم في بلاده حكم ديني ، وبعبارة أخرى ان يؤسس المهدي دولة اسلامية
أما الشيخ محمد عمر البنا فلم يطالب بتولية العلماء لكنه استحث المهدي
على غزو الخرطوم في قصيدته الثائية قال :

فأنهض إلى الخرطوم ان بسوجه أهل الغواية والمفاسد باتوا (٢)

١ - شعراء السودان ٩ ، ١٠

٢ - شعراء السودان ٢٧٧

بطروا وبراءوا ثم صدوا ، معشر
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا
نبدوا الشريعة من وراء ظهورهم
الله اكبر (١) ان يدوم صنيعهم
في الله لم تعرف لهم رغبات
والله اكبر والسيوف هداة
عن دينهم شغلهم الشهوات
هذا وانتم للانعام رعاة

انه يستحثه على الغزو لاسباب حدها ، وهي :

- (١) وجود أهل الغواية والمفاسد في الخرطوم .
- (٢) بطرهم (أهل الغواية والمفاسد) وعزوفهم عن سبيل الله .
- (٣) تكبرهم وعتوهم عتوا فائقا .
- (٤) نبدهم الشريعة .
- (٥) كون المهدي وضحبه « رعاة للانعام »

اننا بلا شك نستطيع ان نلمح سخط الشاعر على ما آل اليه الحال في الخرطوم ،
ونستطيع ان نلمح كذلك ان الشاعر أراد قيام نظام معين تزول به تلك المفاسد
والغواية وتمحي بقيامه أو تطبيقه جميع مظاهر الخروج عن السبيل المؤدية إلى طاعة
الله ورضوانه ويعود الشرع إلى مكانه في المجتمع على ايدي « رعاة الانعام » فما
هو ذلك النظام الذي يريده رجل ذو ثقافة دينية وعلم بالشرع وغيره على الدين
كالشيخ محمد عمر البنا . انه لن يكون الا نظاما يحكم بالشريعة المحمدية ويقم
في السودان « دولة اسلامية »

فتأمل بعد ذلك آياتنا من شعر شاعر آخر هو الشيخ ابراهيم شريف المدولابي
قال في مرثيته التي نظمها في المهدي :

وأقامه المختار عنه خليفة
ورقي إلى كرسيه متسنا
قدعا إلى الدين الخفيف مجاهدا
خلعت عليه ملايسا من نور (٢)
في مشهد بالاوليا معمور
بالسيف والإفذار والتبشير

قرر هذا الشاعر ههنا ان المهدي خليفة من خلفاء الرسولى صلى الله عليه وسلم ، ومن

١ - لعل المراد « لن »

٢ - جبذا لو جاءت « ملايس » بالرفع

يختلف الرسول في امور المسلمين لا بد ان يسير سيرته فيهم ، وقرر الشاعر ايضا ان المهدي جاهد في سبيل الدين بالسيف ، كما انه اذذر المنكرين بحرب منه في الدنيا ، وعذاب من الله في الآخرة ، وبشر المؤمنين به بجنات الفردوس نزلا ، ويتوقع الشاعر في خليفة المهدي أن يسير فيهم سير المهدي الراحل ، وذلك بقوله في نفس القصيدة التي رثي بها المهدي :

أبقاه مهدي الاله وراءه خلفا يسير بسيره المشكور (١)
ويسوق للنهج القويم بحاله ومقاله وحسامه المشهور

اننا نحس في ماقرره الشاعر عن المهدي اشادة بشخصه وتمجيده لما فعله وهذا يدل على رضا عن حكومة المهدي ، ونلاحظ ان هذا الرضا انتقل إلى خليفته اذ أعلن الشاعر انه سيسير « بسير المهدي المشكور » والمهدي كما أعلن الشاعر « خليفة الرسول » ، ومعنى هذا كما قدمنا انه انتهج نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في حكومة البلاد وادارة شئون الدولة ، واذا توقع الشاعر ان يسير خليفة المهدي في حكومته كما سار المهدي فهو قد توقع ان يسير الخليفة سير الرسول أيضا وبهذا يمكننا القول بأن الشاعر ابراهيم شريف الدولابي كان يفضل ان يحكم السودان حكما دينيا ، وان تقوم فيه « دولة اسلامية » .

وفي شعر الشيخ الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردياني نجد الابيات الآتية :

به الله احيانا واظهر دينه واولاه افضالا ونصرا مؤيدا (٢)
وقد احرز الدين الحنيفي بالظبي ودمر جبارا طغي وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

واذا انعمنا النظر في هذه الابيات نجد ان الشيخ ان الشاعر قد قرر :

(١) ان الله احيى أهل السودان بالمهدي ، ولعلمهم كانوا في نظر الشاعر امواتا قبل ظهور المهدي ، وقد جاء المهدي ليعيد الدين بحده ، ولما انتصر واقام حكومته سر الاهلون وكأئما غادت اليهم الحياة باعلاء كلمة الدين .

(٢) ان الله اظهر دينه بالمهدي ، وانه سبحانه وتعالى خلع على المهدي من

١ - شعراء السودان ٢٩

٢ - شعراء السودان ٤٢

فضله وتأيدته. فانتصر وحمل الدين بالسلاح .

(٣) ان المهدي جاهد في سبيل شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل الخارجين عليها وشتت شمل اولئك الذين اعتدوا على حرمتها وشردهم .

اننا نحس من هذا الذي قرره الشاعر ان الناس اطمأنوا وزالت مخاوفهم ويدل على ذلك قول الشاعر « به الله احيانا » ، والاحياء قد يعنى الانتعاش الروحي الذي سرى فيهم بانتصار رجل منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ويعنى ايضا الاستقرار المادى الذي يتم برفع الظلم عن الناس وتوقيعهم ، ونحس ايضا ابتهاج الشاعر بالنظام الجديد الذي يرأسه المهدي ، ذلك النظام الذي اعقب حكم الاتراك - حكم البطش والعسف . نحس الابتهاج في بعض عباراته - كقوله : « وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا » ونحسه ايضا في قوله : « ودمر جبارا طغى وتمردا » وغير هاتين من العبارات التي تبين قوة المهدي ومعظم عمله بجانب ضعف خصومه وسؤ عملهم . ويمكننا حينئذ ان نقول ان الشيخ الشاعر كغيره من شعراء تلك الفترة ، كان راضيا عن السلطة الجديدة ، وهي سلطة دينية ، ومعنى هذا انه ، كغيره من الشعراء الذين عرضنا بعض شعرهم فيما سبق ، كان يرى قيام « حكم ديني » أو « دولة اسلامية » في السودان .

ان هؤلاء الشعراء الاربعة الذين عرضنا بعض شعرهم ، لم يذكرنا كما قلنا من قبل رأيا صريحا واضحا محددًا في نظام الحكم الا أن رضاهم عن أعمال المهدي الظاهر في شعرهم ، وتمجيدهم تلك الأعمال ثم اشادتهم بما قدم المهدي للدين ، كل ذلك يوحى ويشعر برأيهم في الحكم ، ولذلك فاننا قد استنتجنا أنهم كانوا يرون قيام دولة اسلامية في هذا البلد ، الا أنهم لم يقولوا شيئًا في أيام المهدي الاولى عن امتداد ذلك النظام أو تلك الدولة إلى ما بعد حدود السودان .

المهدية ومكانها من الاطار العربي والاسلامي العام :

اجتاحت الثورة المهدية بجيوشها البلاد من اقصاها إلى اقصاها ، واجلت عنها الجيوش المصرية التركية ، كما اجتاحت بدعوتها عقول الاهلين وقلوبهم لانها اعلنت ضرورة طرد المصريين الذين ازدروا باحكام الشريعة ، وجروا في حكومتهم على خلاف ما تقضى هذه به ، « كما اعتبرت » طرد المصريين الوسيلة التي يمكن

بها وحدها تقرير العدالة ونشر السلام مرة أخرى ، واعلنت وجوب الامتناع عن دفع اية ضريبة غير العشور او الزكاة فقط التي نص عليها الكتاب الكريم ثم دعت إلى شيوع الملكية . فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون اخيه المؤمن ، بل بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوي . وطالبت الا يسرى في السودان غير قانون الشرع الاسلامي وحده (١) . وبذلك كسبت الثورة المهديّة انصارا متفانين ومؤيدين مخلصين ، كسبتهم لانها منححتهم ما كانوا يريدون ، ولان قائدها اعلن (٢) على الملأ انه المهدي المنتظر والمكلف من قبل المولى بتأسيس دولة اسلامية مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة . ولذلك ايضا بايع اهل السودان المهدي وحملوا السلاح لنصرته وقاتلوا وقتلوا في سبيل ما اعتقدوه فيه وفي دعوته كان هذا ما لقيته المهديّة — الدعوة التي دعاها محمد أحمد بن عبد الله السوداني بين المسلمين داخل حدود السودان ؟ فكيف كان صداها بين المسلمين خارج حدود السودان ، وكيف تلقاها الناس في البلاد العربية والبلاد الاسلامية ؟ .

نعلم مما ذكر من قبل ان محمد أحمد المهدي فكر في نشر دعوته وبالتالي في بسط نفوذه — في العالم الاسلامي بدليل انه كتب إلى السنوسي في ليبيا يعلنه باختياره خليفة من خلفائه ويكلفه غزو مصر ، وكتب كذلك إلى خديو مصر يعرض عليه الدخول في دعوة المهديّة ، ونعلم كذلك انه كلف احد كبار موظفي العهد التركي بالدعوة له بين قبائل صعيد مصر « هذا وقد اهتم للمهدي العالم الاسلامي في جميع الاقطار ، وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله » (٣) وبالإضافة إلى ما قام به المهدي في سبيل السيطرة على مصر وليبيا نجد انه فكر في بلاد أخرى من البلاد العربية الاسلامية ، فقد اختار رجلا اسمه عبد الله الكحال ، وعينه « عاملا له على بلاد الشام » (٤) ، كما استجاب لجماعة من « اهل مراکش المستوطنين مصر ، كتبوا اليه يصرحون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم وهو السيد محمد الغالي اميرا

١ - مصر والسودان - شكرى ٢٦١

٢ - المصدر نفسه ٢٦٢

٣ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ٩٥١

٤ - نفس المرجع

على مراكشن لنشر دعوته في بلادهم » وكتب المهدي لهذا الرجل (السيد محمد الغالى) خطابا بتوليته ، كما كتب إلى أولئك الذين طلبوا إليه توليته خطابا قال فيه « وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى احيائه المكرمين السيد ابراهيم السنوسى الحسنى ، ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام البناي ومحمد قاسم الحلو وفقهم الله وسددهم والهمهم الصواب وأرشدهم آمين . أيها الاحباب اهتدى لكم جزيل السلام الممزوج بالرضا عنكم وجليل الاكرام واعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلنى وما احتوى عليه من حسن تسليمكم لامر المهديّة ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالى عبد السلام على فاس وجهاتها إلى آخر ما بخطابكم قد أحطت به علما وجزاكم الله عن دينه وعنا احسن الجزاء وشكر سعيكم ، وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشادا ونجدة وها نحن قد اجبناكم إلى ما طلبتم وحررنا الاوامر بامسارة السيد محمد الغالى وها هي واصلة اليكم (١)

ان السلطان عبد الحفيد صاحب السلطة الزمنية والروحية في ذلك الزمن اهتم بامر المهدي واغتم كذلك لدعوته و « شعر بأنه قد اهدى في شخصه كخليفة للمسلمين وذلك نتيجة لتصريحات الامام محمد أحمد علاوة على ان ثورة السودان كانت تهدف - بمحاولتها تغييرا للوضع القائم - رفع كل سيادة تركيا على السودان وكما اعلن السلطان أن عرابي كان ثائرا ونارجا على النظام فانه لم يتوان عن ان ينعت محمد أحمد بأنه نبي مزيف وانه مبتهد ، وانه شقى دنقله « (٢) ولعله نعت به هذه الصفات في « المنشور الرسمي الذى كذب فيه دعواه ونشره في جميع البلاد الاسلامية » (٣) . ويبدو ان السلطان الخليفة كان قلقا لظهور المهدي وسرعة انتشار دعوته داخل السودان وهو جزء من الامبراطورية العثمانية التى تدين له بالولاء وكان ايضا مصمما على سحقها أو حصرها داخل الحدود السودانية لذلك « استغنى علماء الأزهر في شأن محمد أحمد المهدي فافتوا بتكذيبه ، ونشر مجلس النظائر

١ - تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٢٦ - ٩٢٧

٢ - الثورة المهديّة ، جلال يحيى

٣ - تاريخ السودان ، نعوم شقير (بيروت) ٩٥٢

منشورا بذلك» (١).

وفي مصر ثارت ثائرة رجال الحكومة الخديوية ، وبدأوا يعدون العدة ويرسمون الخطط للقضاء على حركة محمد أحمد المهدي لانهم « قد رأوا منذ اول انتصار للمهدي أنهم مهددون في ممتلكاتهم السودانية » (٢) . ومن بين ما اعدوه لانحمار الحركة ارسال اعداد من الجنود لتعزيز القوات المقاتلة ، وكان ان اختاروا تلك الاعداد من جنود جيش عرابي الذي قضى عليه بالتسريح بعد القضاء على ثورته ، الا ان معظم اولئك الرجال لم يكن « يرغب في السفر إلى السودان خصوصا وانهم كانوا يتوقعون ان ترسلهم الحكومة إلى تلك الاقاليم كسجناء للتخلص منهم ، كما أنهم — كرجال ثورة وطنية — كانوا لا يؤمنون بضرورة فرض سلطة الخديوي على ثوار السودان » (٣) وهذا يبين لنا مدى عطف اولئك الجنود على حركة محمد أحمد المهدي ناهيك بقائدهم نفسه (احمد عرابي) الذي « لم يخف وهو في منفاه تأييده وميله للمهدي بل اعلن انه كان ينوي تعيينه حاكما عاما على السودان » (٤) .

يتضح من كل ما سبقنا في الصفحات السابقة ان دعوة المهدي التي بثها في السودان الخاضع لخديوي مصر وخليفة الاستانة ، تلك الدعوة التي أيدها بحرب طاحنة انتصر في معاركها واحدة بعد الاخرى حتى اضطرت الحكومة المصرية إلى سحب جنودها ورجالها جميعهم من السودان ، تلك الدعوة هزت العالمين الاسلامي والعربي بمضمونها ، كما جذبت اليها الانظار بمقدرة صاحبها العسكرية وبما شاع عنه من زهد وورع وتقشف ، وقد اعلن للناس انه « المهدي المنتظر » (٥) وانه جاء لازالة الظلم واحلال العدل محله ثم أعلن الجهاد وحمل السلاح وقاتل إلى أن اظهره الله على خصومه .

ان العالم الاسلامي تسود اجزاء كثيرة منه الافكار الشيعة ، ومنها فكرة المهدي المنتظر التي انتشرت في البيئات المسلمة ووجدت قبولا وراجت بين العاطفين

١ - تاريخ السودان ، شقير (بيروت) ٩٥٢

٢ - الثورة المهدي ، جلال يحيى ٤١

٣ - المصدر نفسه ٤٦

٤ - المصدر نفسه

٥ - المهدي والمهدوية ، أحمد أمين ٢٧ - ٢٩

على البيت العلوي لأن أساسها إعادة الخلافة إلى أحد أعضائه لأنها حقهم انزعج
منهم خصوصهم ظلما وغدرا ، وكان من نتائج انتشار فكرة « المهدي المنتظر »
وتغلغلها في نفوس وعقول كثيرين من المسلمين قيام ثورات وحركات سياسية
كثيرة في أنحاء متفرقة من العالم الاسلامي خصوصا في العصر العباسي ، وقيام دولة
عظيمة كدولة الفاطميين (١) ودولة الموحدين في الاندلس فليس بغريب والامر
كما ذكرنا ان يهتز العالم الاسلامي لظهور « محمد أحمد المهدي » وذيوع امره ، بل
ان المؤلف والطبيعي ان تسافر اليه الوفود من عامة مسلمي البلاد الاخرى كما حدث
بالفعل مدفوعين بحب الاستطلاع والرغبة في تأييده طمعا في الثواب الاخروي
أو النفع الدنيوي « وطبيعي ايضا ان يتخذ السلطان ما اتخذ ، وان تفعل الحكومة
الخديوية ما فعلت لان حركة كهذه - وقد حفل تاريخ البلاد الاسلامية بمثيلاها
- تستند إلى افكار دينية واضحة لا بد ان تستشري وتعرض كيان الدولة إلى خطر
جسيم ، ولا سيما وان زعيم هذه الحركة اخذ يكتب لولاة المسلمين في البلدان
المجاورة لبلاده ، يعرض عليهم دعوته ويتهددهم بالغزو .

نجح المهدي وقامت دولته في السودان ، ويسقط الخراطوم في السادس
والعشرين من يناير ١٨٨٥ ثبتت دعائمه واطمأن المهدي وانصاره ، وبدأ التفكير
في غزو مصر إلا ان الاجل لم يمهله فانتقل إلى رحمة مولاه بعد خمسة اشهر من
استيلائه على العاصمة - الخراطوم - وخلفه عبد الله التعايشي خليفته الاول في
رئاسة الدولة الجديدة التي قامت في عالم لم يرحب بها ، ولم تجد منه التأييد وقد سعت
اليه بوسيلتها التي ارتضتها وظنت انها تكفله لها ، تلك الوسيلة هي كتابة رسائل
تضمن شرحا للدعوة ثم مطالبة بالدخول فيها وتختتم احيانا بشيء من التهديد . ذهب
عدد من تلك الرسائل إلى بعض بلدان العالم الاسلامي كما ذكرنا من قبل ، وكان
نصيب مصر رسالتين واحدة للخديوي وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، وثانية لاهل
مصر (٢) عامة ائذ بهم فيها بالغزو ودعاهم إلى نصرته .

كتب خليفة المهدي عبد الله التعايشي رسالة إلى خديوي مصر واخرى إلى

١ - المصدر نفسه ٣٥ - ٣٩

٢ - تاريخ السودان ، نعوم شقير - بيروت - ٩٢٢

حكومة مصر مطالبا بالدخول في المهدية ومهددا بالغزو ، وكتب كذلك إلى السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين ، وجاء في خطابه للسلطان قوله : « فقد حررنا هذا الكتاب انذارا لك من الوقوع في سخط رب الارباب فامعن فيه نظرك ، وافدنا بما يوافق رأيك ، وليس بعد هذا الانذار إلا الاعتذار والسلام على من اتبع الهدى » (١). ونفذ الخليفة تهديد مصر بالغزو بأن ارسل جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومي للاستيلاء على مصر وضمها إلى حكم المهدية الا ان الجيش هزم وقتل قائده .

كان نصيب السنوسي من تلك الرسائل رسالتين ، وقد تعرضنا لاحداها وهي التي استحثته فيها على التوجه إلى مصر غازيا وعرض عليه « كرسى عثمان بن عفان » في خلافته ، وكان تعليق السنوسي عليها قوله للرسول الذي حملها اليه : « قل لمحمد أحمد اننا كلانا لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان » (٢). ذكرنا فيما تقدم ايضا ان محمد أحمد المهدي اختار رجلا اسمه الحاج عبد الله الكحال ليكون واليا له في الشام ، وكلفه السفر اليها الا ان الرجل « جاء مصر بطريق وداى وعاد إلى تجارتها فيها » (٣). اما عامله على مراکش السيد محمد الغالى ، وقد رشحه لهذا المنصب بعض المراكشيين المقيمين في مصر فقد كتب له المهدي خطاب الولاية وخطابا آخر إلى أهل البلد وارسلهما « صحيفة الحسين عبيد الخالق السبتي والطيب البناني » (٤) الا ان هذه الكتب لم تصل إلى اصحابها لان الطيب البناني الذي عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدي قد مات ، وعلم الخليفة به فارسل في طلبه واخذ منه الكتب وحبسه » (٥) .

واصل الخليفة عبد الله كتابة الرسائل إلى جمهرة المسلمين في البلاد الاسلامية العربية إلى بعض الولاة والوجهاء داعيا ومبشرا ، فكتب إلى قبائل نجد والحجاز وعين حذيفة بن سعد عاملا له على الحجاز (٦) ، وكتب إلى قريش وإلى أهل المدينة .

١ - نفس المرجع ١٠٢١ - ١٠٢٢

٢ - تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٧٠٨

٣ - المصدر نفسه ٩٢٦

٤ - المصدر نفسه ٩٢٧

٥ - المصدر نفسه ٩٢٩

٦ - المصدر نفسه ١٠٢٢

وعين عبد الله بن فيصل بن مسعود عاملاً له على نجد (١)، واعداد الكتابة إلى السنوسي في ليبيا ، فلم يتحرك السنوسي ، كذلك اتجه برسائله إلى البلاد الأفريقية الإسلامية فكتب إلى سلطان وداي محمد (٢) يوسف ابن السلطان محمد شريف ، وقد دارت بينه وبين محمد أحمد المهدي قبل مماته كتب كثيرة ، وكتب الخليفة إلى السلطان «حياتو بن سعيد» (٣) سلطان سوكونو أكثر من رسالة داعياً إلى الدخول في الدعوة مذكراً بما دار بينه وبين المهدي في حياته .

كتب المهدي رسائل إلى عدد من ولادة المسلمين قبل وفاته ، وتبعه خليفته فحرر عددا منها إلى حكام البلاد الإسلامية عربية وغير عربية ، وكتب كذلك إلى بعض الأهلين في تلك البلاد ، إلا أن جميع تلك الرسائل لم يأت بالثمرة المرجوة منها ، وذلك لأن بعضها لم يصل كرسائلي مراکش ، أو لأن ما وصل منها قد أهمل كرسائلي السنوسي ، أو كالرسائل التي بعثت إلى جهات معينة وإلى قبائل ومجموعات في الحجاز وغيرها كالتي أرسلت إلى سلطان وداي وإلى سلطان سوكونو ، إلا أن سلطان سوكونو اتصل بالسنوسي مستشيراً لما وردت عليه الرسالة فأجابه ، أتركه وشأنه ماتركك ، فإذا دخل دارك فحاربه فانك منصور عليه بعون الله » (٤) .

أن بعض الذين اغفلوا رسائل المهدي وخليفته فلم يردوا عليها و يستجيبوا لما جاء فيها كانوا قد أرسلوا من قبل وفودا إلى السودان للوقوف على جلية الأمر كعامل الحرمين (٥) وعبد الله بن فيصل ، كما أن بعضهم رد معلنا التصديق وأرسل الهدايا كسلطان وداي محمد يوسف بن السلطان محمد شريف ، والسلطان حياتو بن سعيد بن محمد ، سلطان سوكونو إلا أننا لم نجد فيما بين أيدينا من مراجع ما يدل على أن أحد السلطانين زاد على ما فعل .

يمكننا أن نقول مما تقدم أن العالم العربي والإسلامي انقسم قسمين في موقفه من المهديّة — قسم عاداه عداً صريحاً منذ الزهرة الأولى وعمل على خنقها في

١ — المصدر نفسه ١٠٢٣ - ١٠٢٤

٢ — و ٣ المصدر السابق ١٠٢٧ - ١٠٢٩

٤ — المصدر السابق ١٠٢٧

٥ — تاريخ السودان ، نعم شقير ، بيروت ١٠٢٣

مهددا إلا أنه عجز ، وفشلت خططه فشلا ذريعا ، ويشمل هذا القسم تركيا
ومصر ، واسباب العداء واضحة وقد تعرضنا لها من قبل ، ولا شك أن العداء قد
تمكن بعد محاولة الخليفة عبد الله غزو مصر في سنة ١٨٨٩ . وقسم استخف بها
فلم يكثرث لشيء مما جاء في رسائلها ويشمل الحجاز والمغرب وبعض البلدان
الاسلامية في القارة الافريقية ، ونخلص من كل هذا إلى أن المهدي لم تجد في العالم
العربي والاسلامي المكان الذي ارادته اليه وسعت إليه ، فقد ارادت قبول دعوتها
والدخول فيها والجهاد من أجلها ، إلا أنها لقيت عداء واستخفافا واهمالا .

الشعراء والمعارك التي حدثت في هذه الفترة :

خاض المهدي بجيوشه معارك عديدة ضد جيوش الحكومة المصرية التركية ،
وكان بعض تلك المعارك حاسما كمعركة الجزيرة ابا التي كشفت للحكومة مدى
تمسك المهدي بفكرته ، ومدى اخلاص اتباعه له ، وكان بعضها حاسما وضاربا
كمعركة شيكان التي انتهت مقاومة الحكومة وسالت فيها دماء كثيرة ، وكان بعضها
حاسما وضاربا وطويلا كمعركة الخرطوم اذ ثبتت بعدها اركان المهدي ، وقتل
فيها الحاكم العام غردون باشا البريطاني الذي كان يمثل سلطة الخديوي في السودان
كما قتل فيها كثيرون من الاهلين ، وسبق كل هذا حصار طويل عاني فيه سكانها
ما عانوا من جوع وخوف ، وعاني فيه جنود المهدي ما عانوا من متاعب نفسية
وجسدية ، وقد سبق كل معركة من هذه المعارك احداث معينة مهدت لها أو أدت
اليها ، فقبل ان ينشب القتال من معركة ابا جاء رسل الحكومة على ظهر باخرة
خاصة إلى الجزيرة ليتحدثوا إلى المهدي في امر خروجه على السلطة ، وتمت
مقابلة ودار حديث بين الرسل والمهدي عاد بعده الوفد المرسل وجاءت فرقة من
الجيش ثم دار القتال في ليل بهيم وفوق ارض ممطورة كساها وحل كثيف وكان
قتالا فريدا في نوعه ونتيجته اذ واجه فيه السلاح الابيض الاسلحة النارية وتغلب عليها
بعد هذا الغلب شاعت الفرحة في الانصار وقويت عزائمهم وذاع خبر النصر
واخذ الناس يفدون إلى ابا مبايعين متأهين للجهاد . كذلك سبق معركة شيكان
احداث لا تقل عما سبق معركة ابا وان اختلفت عنها ، فقد بث المهدي عيونه حتى
علم بنشأ تحرك جيش هكس ، ثم رسم خططه وارسل سراياه في جهات عدة ، بغضها

لاحتلال مواقع المياه قبل ان يحتلها جيش هكس ، وبعضها المناوشة في الطريق وهكذا إلى أن حصره في « واد مفتوح شائك وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة » (١) ثم انقض عليه ودارت المعركة بالتمحام الجيشين في قتال مرير قصير انتهى بآبادة جيش هكس كله. وبهذا النصر الباهر كسب المهدي مكاسب مادية وأدبية أفاد منها فوائد جمة في نضاله العسكري والسياسي . كذلك حفلت معركة الخرطوم بأحداث مشيرة سبقتها أثناء الحصار الطويل ، وأحداث أخرى وقعت والقتال مستمر كالهجوم على القصر - مقر الحاكم العام - ومصرع الحاكم العام البريطاني غردون باشا ثم خاتم الأحداث الحدث الكبير وهو تغلب جيش المهدي واستيلائه على مدينة الخرطوم .

ان كل هذا الذي ذكرناه عن المعارك الثلاث يكون - في رأينا - مجالا خصيبا لخيال الشعراء ، ومادة غزيرة حية للموهبة الشعرية ، فهل استغل شعراء المهدي ذلك المجال الخصيب ، وهل صاغوا شيئا من تلك المادة الغزيرة الحية ؟ لقد نظم شعراء المهدي شعرا في معارك خاضها المهدي بجيوشه ، ولتناول الآن ذلك القدر الذي نخصوا به تلك المعارك لنجيب على السؤال الذي قدمناه ، فالشيخ الحسين الزهراء تعرض إلى بعض معارك المهدي في اثنتين من قصائده ولم يسم معركة بعينها من معارك الشهيرة ، قال في همزيته المعروفة :

والله دهر من طغى وأباده	حتى تولى قتله الضعفاء (٢)
ولقد تبدد جسمه برماحهم	فكأنه من خلقه أشلاء
صالوا به وذويه بين حصونهم	في خندق غرت به الأذواء
شادوه بالحصن القوي وأيدوا	بأنار من في النار فهي جناء
في كل مزغال شرارة بنساق	رام طوى من في يديه نجواء
وكروهم كالرعد بين صواعق	للمسلمين وكل ذاك عدااء
الله أكبر أن يرد وجوهم	عن شأنه أو تمنع إليأساء
وبلحوه عمدا باختيار صادق	ولهم يد في فتكة خرقاء
وفت بدمه أحمد ومحمد	بمهديهم وجنوده شهداء

١ - تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ٧٢٣

٢ - شعراء السودان ١١ ، لعله يشير في الأبيات الثلاثة الأولى إلى واقعة معينة .

في جسد كل صريع منهم أثر ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، أو اصابه رصاصة حتى غصت القبور بجثث الموتى . وفي المجموعة الثانية وهي سبعة أبيات من قصيدة « رفعها إلى المهدي » يشيد الشاعر بالمقاتلين وشجاعتهم وبنفوسهم في سبيل ما حملوا السلاح من أجله ، ثم يتحدث عن اسلحتهم البيضاء - بيض رفاق وقنا سمر يحملها أولئك الجنود الذين يخطون يوم الوغى وكأنهم الآساد ليشتوا على عدوهم حربا تزلزل الأطواد الشاغرة ، وهم لا يخاربون وحدهم إنما تحارب معهم ملائكة السماء وجنود من الجن لا حصر لهم . انه يمتدح شجاعة الجنود المقاتلين ومقدريتهم الفائقة في الحرب ، في يوم الوغى لا في معركة خاصة ، إنما هم كذلك في كل معركة يخوضونها .

تعرض الشيخ محمد عمر البنا في بعض قصائده لحروب المهدي فقال في نائيته المشهورة :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في شأن الإله حياه (١)

وقال فيها

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم	شم الجيال والضعيف حماة (٢)
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم	شهدت به يوم اللقاء الغارات
وخلوفهم صدى الدروع لحزمهم	قتل الاعادي عندهم عادات
في السلم تلقاهم ركوعا سجدا	اثر السجود عليهم وسمات
وتخاطبهم يوم الجلال ضراغما	اسدا واسل رماحهم غايات
ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى	رزق النسر ولحمهم اقبات
والخيل ترقص بالكماة كأنها	تمثال في ميدانها فتيات
فأثرون تقع الموت في عرصاتها	وأغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رعفت دما وجلأؤها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات
ظنوا جباههم المنية تقيـة	وتوهموا ان الصعود نجاسة ..

يا أيها الانتصار ان صنيعكم
اعليتم دين الاله وما بكم
وشرحتم صدر الرسول محمد
ورهبتم العليج الكفور بسيفكم
وسقيتم الاعداء كأس منية
شكر الاله له وتلك هيئات
الا الثبات تزينه الوثبات
بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
والدين تصلح شأنه الرهبات
عبراتها ما مثلها عسبرات

وقال في قصيدة أخرى :

فسيوفهم مسلوله ورماحهم
ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
واميرهم عثمان اهلك ملة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
أوجال في الميدان تحسب انه
أو جرد السيف المهند مؤمنا
مسنونة وعديدهم مرهوب (أ)
أو خولبوا فعادوهم مغلوب
عدم النصير صريحها المكروب
فرق الهلاك واللسان لعوب
اسد بفرس والرجال ثوب
لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ان الشيخ البنا خص معارك المهدي بستة عشر بيتا في تائيته ، وفي هذا القدر اليسير
بدأ بمدح الجنود فاشاد بقوتهم وصمودهم في الميدان أثناء القتال ، وإثنى على
بأسهم الذي تشهد به « الغارات يوم اللقاء » ثم وصفهم بالحزم وباعتياد قتل الاعداء
وبالتعبد والاكتثار من الصلاة في وقت السلم ، وعندما يدخل هؤلاء الجنود ساحة
المعركة ماذا يفعلون ، وما الذي يحدث ، ونحن نعلم ان الجنود عصب المعركة
ولا معركة بلا جنود . انهم يمتطون صهوات الجياد ، ويتقدم بهم جيادهم ورماحهم
مشرعة ، وينهالون على عدوهم فيردون جنوده قتلى وتنتشر جثثهم كثيرة ، وتسيل
دماؤهم غزيرة . لتكون فيما بعد طعاما شهيا للطيور الكاسرة ، وتذهب الخيل
وتجىء وترتفع السيوف وتنزل ملطخة بالدماء ، والغبار يعلو ، والرؤوس تتناثر
تتناثر في الارض .

هذا ما كان يفعله جنود المهدي في المعارك كما حدثنا الشاعر البنا في تلك

أقرر الشكر - اعلوا دين الاله - مشد صدر

واخافوا العلاج الكفور ، وسقوا اعداءهم - اعداء الله - كأس المنية .

اما في البائية التي بدأها بقوله :

ما بال طرفي للدموع سكوب شوقا وقلبي للملاح طروب (١)

فقد تناول المعارك بايات ستة فقط ، وقد اوردناها من قبل ، وفيها يمتدح الجنود ويخص « اميرهم عثمان » ويتبع ذلك بوصف المعركة التي يخوضها ذلك الامير أو الميدان الذي يحارب فيه ، واذا دخل الميدان « تحجم القربان » خوفا من الموت لانه اعتاد ان يلعب استه فيغمدها في الاجساد ، ويجرد سيوفه فتساقط الرؤس فهو وجنوده مظفرون في معاركهم بشجاعتهم وقوتهم وأسلحتهم الفتاكة ، فالسيوف المسلوطة والرماح المسنونة في ايديهم أثناء المعركة وهم اسد تكفل النصر ، وتحقق لهم الغلبة والتفوق ، فمن يلاقيهم في معركة ميت لا محالة ، ومن ينوي لقاءهم يحجم خوفا .

ان الشاعر البنا لم يسم معركة معينة لا في ايات النائية ، ولا في ايات البائية الستة بل وصف المعارك من حيث هي معارك خاضها جنود شجعان مستبسلون كثيرون ، يحملون اسلحة كثيرة فتاكة ويجسئون استعمالها ، وهم فوق هذا وذاك اتقياء يؤمنون بالله وبالغرض الذي يقاتلون من اجله ولذلك انتصروا وقتلوا اعداءهم تقتيلا ..

ثمة شاعر ثالث تعرض لمعارك المهدي في شعره ذلكم هو محمد الطاهر المجذوب حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا	كيف ارتكبنا للمصاعب (٢)
وهشيم تشهد عزمنا	كيف ادرعنا للمصائب
يا طالما ضلنا بها	صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه	كالرعد اذ ما المزن صائب
وسواكن تدرى بنا	انا لدى الهيجا نضارب

نلاحظ ان الشاعر سمي ثلاثة أماكن - هندوب وهشيم وسواكن (١) -
 واتخذ كل واحد منها شاهدا على احداث معينة - ففي هندوب لاقوا مصاعب بل
 تعمدوا لقاءها وصبروا عليه ، وفي هشيم عزموا ولبسوا دروعهم استعدادا للملاقاة
 ما كانوا يتوقعون من مصائب ، وكانوا جيشا كثيفا قضى على الاعداء وجنبدل
 ابطالهم . وفي سواكن خاضوا الهيجاء وضاربوا واصابت سيوفهم اعداءهم في
 المقاتل وانقضت عليهم الضربات انقضاض الصواعق ، اما هم فكانوا يتحركون
 في ارجاء المكان كالليوث الظافرة ، وكلما برزت لهم مجموعة من عساكر العدو
 وكتائبه انقضوا عليها ورموها « رمى الثواقب » واعملوا فيها سيوفهم . من كل
 ذلك ذاع صيتهم ووصلت أنباء معاركهم مصر وكتبت عنها احدى الصحف .

ان الشاعر في ابياته تلك يصف ما دار في تلك البقاع من عراك في شيء
 من التفصيل فهو يبين نوع الضرب ، ويحدد نوع السلاح وصوته وحرركته ، ولا
 يغفل حركة الجنود وحركة الخيول ، انه يفعل كل ذلك في فخر واعتداد نلمسهما
 في الايات الثلاثة الاولى ، ونلمحها ايضا في البيت السابع والثامن ، وانا لنحس
 فخر الشاعر واعتداده أيضا في اربعة أبيات أخرى من هذه القصيدة هي :

حتى انت اخبارنا	من مصر تكتبها الجوائب
وأقر ويلك بفضلنا	الاعداء في كل المكاتب
وتحققوا ألا نبنا	لى بالمشقة والمتاعب
نحبي لدين الله بل	في شأنه نلقى المعاطب

نعود بعد هذا إلى ما نظم هؤلاء الشعراء الثلاثة - الحسين بن الزهراء ومحمد عمر
 البنا ومحمد الطاهر المجذوب - في معارك المهدي فنلاحظ انه لا يتناسب من حيث
 الكثرة مع المعارك العديدة الهامة التي خاضها المهدي وانتصر فيها ، فكله لا يزيد
 عن ثمانية واربعين بيتا ، وقد جاءت ابيات كل من الشعارين الاولين في أكثر من
 قصيدة أما الثالث فجاء بها في قصيدة واحدة ، كما ان الشعارين الاولين لم يخصا

١ - هندوب مدينة في شرق السودان كانت آنذاك مقر عثمان دقنة ، هشيم ، مكان غرب هندوب
 كانت به حرب هائلة بين جند المهدي والجيوش الانجليزية المصرية ، وقد أبل انصار المهدي
 فيها بلاء حسنا - نفثات اليراع ٩٣ .

رام بهم ولهم بذلك سخاء
بيض بكت آثارها بيبضاء

فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم
وسموا خراطيم الشقا بحوازم

وقال فيها أيضا :

ورماحهم في الكافرين رواء (١)
ان الديار من الدمار هباء
ان القبور ببعضها شهداء (٢)
ماذا الرغام وفي النفوس اباء
مح المهدي لما نهاه شقاء
عشب لعمرى ان ذاك بلاء
تجوى بهم وجسومهم سوداء

فسل الطلول هناك عن اسيافهم
وامرر بهم وعلى الديار فحيها
واغش القبور بمنحة وهدية
واستجوب الاطواد صرعى بينها
وتخط خط النار تعرف خط من
والنار ترعى في الجسوم كأنها
ما النار شأن النار اعجب ما أرى

وقال في أخرى :

فكأنها بنشيدها اعواد (٣)
بخطوبه تخطو بها الآساد
والحق ابلج والورى اشهاد
بحلومها تراقص العباد
بشتاتها تترلزل الاطواد
في جيش مهدي الورى اجناد
سوى الذين وما لهم اعداد

مهج تقعقع في شتات جسومها
وكأنها يوم الوغى في كربها
وعيونها مغضوضة بعيونها
بين الرقاق البيض والسمر القنا
حرب بمحراب المهدي من بأسه
لم لا واملاك السموات العلا
والجن والانس الذين عهدتهم

هذا هو ما وصلنا من شعر الشيخ الحسين في وقائع المهدي الحربية ، ابيات لا تبلغ
الثلاثين عدا في قصيدتين مختلفتين ، ففي المجموعة الاولى واياتها ثمانية عشر لا يسمى
الشاعر معركة بعينها ، انما يصف قتالا ابلج فيه جنود المهدي بلاء حسنا لأنهم
صالوا واقتحموا وحطموا الدور ، واعملوا سلاحهم في عدوهم ، وقذفوا
برصاص بنادقهم فلم تطش منه واحدة حتى تساقط جند الاعداء قتلى والنار مشتعلة

١ - المصدر السابق ١٢

٢ - شعراء السودان ١٢

٣ - المصدر نفسه ١٣ - ١٤

بوصفهما معارك أو معركة معينة بل ارسلاه مسبقا أو متبوعا بالثناء على الانتصار
المقاتلين ثناء يثير الحماس ويوضح دور الانتصار في الجهاد من أجل المهديّة . غير
ان محمد الطاهر المجذوب سمي ثلاث مواقع - هندوب وخصها بيت واحد هو
مطلع قصيدته ، وهشيم وخصها بالآيات الثلاثة بعد المطلع ، ثم سواكن وخصها
بثمانية أبيات . اما الباقي فكله فخر واعتداد . فلاحظ ايضا ان الوصف في كل
الحالات وعند كل شاعر يكاد يكون متشابهة بصفة عامة ، فكل منهم ذكر الجيش
الكثيف والسلاح الكثير المتنوع واشاد بالشجاعة والاقدام والاستبسال ثم المقدرة على
الفنك بجنود العدو .

اننا نعتقد ان هذا الوصف الذي جاء فيما نظمه اولئك الشعراء الثلاثة وصف
حسى - وصف لعملية القتل والتفجير التي تتم في ارض المعركة ، وليس تسجيلا
فنيا لحوادث دامية هامة ذات أثر سياسي وديني واجتماعي ، بل هو ايضا وصف
سطحي ، اننا نقول ذلك لاننا لم نجد فيه اثرا واضحا قويا لشعور عميق داخل
الشاعر ، ولو حدث ذلك لوجدنا في الايات وصفا لما حل بالانفس من سرور
أو ضيق أو أسى ، ولو تم ذلك لوجدنا في شعر كل منهم صورة لما في نفسه خاصة ،
ولبعض ما في المجتمع من صدى ، ولقالوا كلهم أو لقال واحد منهم كما قال
ابو تمام في تصوير الفرح بانتصار الخليفة المعتصم على جيوش الروم في وقعة
عمورية المشهورة :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت	منك المنى حفلا معسولة الحلب (١)
ما ريع مية بعمورا يظيف به	غيلان ابى ربا من ربيعها الحرب
ولا الحدود وقد ادمين من خجل	اشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيون بها	عن كل حسن بدا أو منظر عجب

اننا نقول ذلك لاننا لم نجد في شعر أى منهم شيئا وأو يسيرا من الصور الحية تكشف
عن انفعال قوى وشاعرية ناضجة ، وتدل على سعة الخيال ، تلك الصور التي
نجدها في بعض قصائد أبي الطيب المتنبي التي وصف بها معارك الامير سيف الدولة
الحمداني وذلك مثل قوله في احد قواد الروم القارين من قتال ذلك الامير العربي .

١ - ديوان ابى تمام - عبده عزام - ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧

مضى بعد ما التفت الرماحان ساعة كما يلتقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولي وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الخنبا
ونحلي العذارى والبطاريق والقرى وشعث النصارى والقرايين والصلبا

أو مثل قوله في القائد الرومي نفسه لما هرب وترك ابنه :

نجوت باحدى مهجتك جريحة وخلفت احدى مهجتك تسيل
أتسلم للخطية ابنك هاربا ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل

انهم لم يأتوا بشيء من هذا ، أو شيء قريب منه ، يبدو أنهم كانوا بعيدين من المعارك بعدا حسيا اذ لم ، نجد في ما بين ايدينا من كتب ان أيا منهم صاحب المهدي في جهاده كله من ابا إلى الخراطوم أو في بعض ذلك الجهاد ، وكانوا بعيدين عنها بعدا معنويا لانهم لم يستطيعوا تسجيلها بالشعر تسجيلا فنيا يوضح اجواءها واحداثها ويبرز ما ظهر فيها من بطولات وأعمال حربية . ويكشف كذلك عما اكتنفها من صراع فكري ونفسي ، انهم لم يستطيعوا ايضا تصوير ما كان يعقب تلك المعارك في اوساط الجنود وفي المجتمع السوداني بصفة عامة . لقد كان في تلك المعارك وما أحاط بها وحدث فيها وأعقبها موضوعات شعرية حية يتسع المجال فيها للنظم والاجادة .

قد قلنا من قبل أن الشعر الذي نظم في معارك المهدي قليل ، ويمكننا ان نضيف الآن انه ليس بالجوذة المرجوة ، كما أن ذاك الشعر سكت عن معارك كثيرة خاضتها جيوش المهدي بعد وفاة المهدي أي في عهد الخليفة عبيد الله ، فقد « كتب عليه ألا يساير الابطال في حرب الحبشة كما ينبغي وألا يشيد بانتصارهم الذي دوت به الآفاق .. ثم هو لم يواكب الانتصار في مصادمة الجيش الفاتح بل تحلى عنهم وهم في اشد المعارك اثارة للشاعرية واستدعاء الشعر » (١).

المستوى الأدبي للشعر في هذه الفترة من ناحيتي الشكل والمضمون :

ان اول ما نلاحظه في شعر المهدي انه أكثر مما نظم في العهد التركي ، بل

بل انه أكثر مما نظم في عهد الفونج والعهد التركي ، وعلة هذه الكثرة قيام الثورة
المهدية ، فقد اطلقت تلك الثورة الشعر من عقاله ، فانطلق الشعراء ينظمون القصائد
الطوال والقصار في موضوعات مختلفة ..

من شعراء المهديّة الشيخ الحسين بن الزهراء ، ومن قصائده همزية طويلة
رفعها للمهدي وقال فيها :

✓ برح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانباء (١)
فالامر جد والقلوب مريضة والداء داء والدواء داء

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدي ، قال فيها :

الامر جد والخطوب جداد وجنود مهدي الوري امجاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر فبدت لهم من حاجر ازواد

ورفع قصيدة ثالثة للمهدي قال فيها :

أهاجك وصل بالاباطح يلمع لها فيه ما شاء السراب الملمع
أم البرق في شطر العقيق ولعلع فهاجبك يا هذا العقيق ولعلع
أم الواقع المبتول بين اجساد عليه بها طير المنية وقسع

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

بنفسي فتى بالشمس راد الضحى أزرى ونورا يفوق النور من كان والبدر
تبدى لنا من ذيل آفاق غيبه إلى ان تراءى في العلا بيننا جهرا
ومن شعراء المهديّة كذلك الشيخ محمد عمر البنا ، ومن شعره النائية الطويلة
المشهورة التي قال فيها :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت في بشأن الاله حياة (٢)
الجن عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها العزيمات

وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنة بقوله :

١ - شعراء السودان ، ٧ ،

٢ - شعراء السودان ٢٧٥

ما بال طرفي للدموع سكوب شوقاً وقلبي للملاح طروب (١)
ولقد فنتت وما ظفرت وربما فتن المشوق وفاته المطلوب
انا في هوى الغيد الحسان معذب وسواي ينعم باله ويطيب

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح بها الامير الزاكي بأبيات الغزل الآتية :

ابدا يؤرقني عبير شذالك ويزيدني قلقاً دوام جفالك (٢)
ويردني من حالة العقلا إلى حال الخيال تذلي وابالك

كما بدأ قصيدة اخرى بقوله :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد واخلوني اميل إلى الوساد (٣)
الا يا حنادي عيسهم رويدا سلمت من الملمات العواد

كان من شعراء المهديّة الشيخ ابراهيم شريف الدولابي ، وقد رثي المهدي بالقصيدة الآتية :

كيف التام فؤادي المقطور ورقوء دمع مجاجري المفجور (٤)
ام كيف ينغلك الضنا عن مهجة احشاؤها تصلي على تنور

ومنهم أيضاً الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الذي وصف قبة المهدي بقوله :

سمت قبة المهدي مجدا وسؤدا ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا (٥)
وصيغ من الاكليل تاج لها مها وسال بها نهر المجرة مزبدا

أما الشيخ عمر الازهري (٦) فقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالقصيدة التي جاء فيها :—

١ — شعراء السودان ٢٧٨

٢ — شعراء السودان ٢٨١

٣ — شعراء السودان ٢٨١

٤ — نقبى المصدر ٢٧

٥ — شعراء السودان ٤١

٦ — شاعر وعالم سوداني ولد ١٢٧٠ هـ درس القرآن ومبادئ الفقه واللغة العربية على شيوخ سودانيين ثم سافر إلى الأزهر وانقطع للدراسة فيه واشتغل بالتدريس بعد عودته . توفي ١٢٣٣ هـ . شعراء السودان ٢٤٩

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني (١)
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم يختلف فى ذلك اثنان

ومن مدائح فى النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

باد هواه وزائد خفته—انه صب تفرق بالنوى اخذانه (٢)

فجرت بوادر مقلتيه لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنبابه

ولهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب » المصرية لأنها نالت جائزة تلك المجلة ، يقول فيها :

سلوا عن فؤادى مسيلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب (٣)

فلا سلمت نفس من الحب قد خلت ولا كان جفن دمه غير ساكب

من الذين عرفوا ينظم الشعر فى هذه الفترة المصوى عبد الرحمن (٤) ، فقد نظم قصيدة يشي بها على الزبير باشا ، قال فيها :

أوميض برق أم سنا مصباح أم ضوء فجر صادق الاصبح

ام بدر تم فى الدياجى ناشر بيض الملاء على ربي وبطاح

ومن شعراء المهديّة كذلك محمد الطاهر المجذوب الذى رثى المهدي بقوله :

دهتنا دواه يضرس القلب نابها ويوقد فى الاحشاء نارا متابها (٥)

غداة نعى الناعون مهدينا الذى به ملة الاسلام جل مصابها

ومن شعر هذا الشاعر قصيدته التى وصف فيها بعض المعارك التى خاضتها جيوش المهديّة بقيادة عثمان دقنة ، حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب (٦)

١ - المصدر نفسه ٢٥٠

٢ - شعراء السودان ٢٥٢

٣ - شعراء السودان ٣٥٨

٤ - ولد فى قرية العيلفون ، بدأ تعليمه فى السودان ثم هاجر إلى مصر ودخل الأزهر ولما عاد بدأ يعلم الناس فى كركيج ثم لحق بالمهدي وتحببه مدة من الزمن ، وبعد وفاته عاد إلى مصر وفيها لقى الزبير باشا نقشات اليراع ٩٧ .

٥ - شعراء السودان ٣١١

٦ - نقشات اليراع ٩٣٠

وهشيم تشهد عزمنا كيف اذرعنا للمصائب

ومنهم ايضا عبد الغنى السلاوى ، وقد رفع قصيدة المهدي جاء فيها قوله :

راق الصبوح ورقّت الصهباء مذ كان فيها للعليل شفاء (١)

رؤية نبوية مسكية مهديّة روحية وسماء

هناك شاعران نظم كل منهما قصيدة فى اواخر العهد التركى الا ان القصيدتين قريبتان من شعر المهديّة - احدهما تشبه شعر المهديّة من الناحية الفنية ، والثانية قيلت فى المهدي ودعوته لما جهر بها وظهر امره. الاولى من نظم «احمد مدني» (٢) فى رثاء السيد عبد العال بن السيد احمد بن ادريس المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ ، وقد قال فيها :

مالى أرى رونق البلدان قد ذهباً والنور اضحى عن الاكوان منسلباً

والناس مشغولة الافكار حائرة يا صاح ماذا بهم هل تعرف السبباً

— أما القصيدة الثانية فمن نظم الشيخ محمد شريف (٣) ، قيلت فى انكار دعوة المهدي والتقليل من شأنها وشأن صاحبها ، وقد جاء فيها :

لقد جاءني فى عام « زع » لموضع على جبل السلطان فى شاطئ البحر (٤)

بروم الصراط المستقيم على يدي فبايعته عهداً على النهي والامر

سمعت نلكم هى نماذج اخترناها من شعر المهديّة ، وهى نماذج يسيرة وسيجد القارئ الكريم النصوص كاملة فى آخر الكتاب . ان اول ما نلاحظه فى تلك النماذج هو ان اولئك الشعراء لم يخرجوا عن موضوعات الشعر القديمة المعروفة ، ونعنى بها الاغراض التى نظم فيها شعراء العرب الاقدمون وهى - المدح والرثاء والحماسة والوصف والهجاء والغزل ، الا أنهم قصروا نظمهم على بعض تلك الاغراض وهى المدح والرثاء والحماسة والوصف ، ولم يفرّدوا للغزل قصائد بعينها ،

١ - نفثات اليراع ٨١ .

٢ - أحمد مدني - ولد فى شتى سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) تعلم على كبار العلماء ، وصار اماماً خاصاً لمدير دفتلا ايان العهد التركى . نفثات اليراع ٩٦ .

٣ - حفيد الشيخ الطيب صاحب الطريقة السمانية ، تعلم عليه المهدي وصحبه مدة طويلة الا انها اختلفا واقرقا .

٤ - تاريخ السودان نعوم شقير ، بيروت ، ١٩٤٠ .

كما ان شعرهم الذي وصل الينا خلا من الهجاء تماما الا قصيدة واحدة نظمت في
اواخر العهد التركي واولئل ايام المهدي ، ولتناول الآن ما قالوه في كل غرض
من تلك الاغراض بالنقد .

المدح :-

أقبل الشعراء على المهدي يخلصونه بمدحاتهم ، وفيها يشنون على شخصه كقول
الحسين بن الزهراء :

فهل دون مأواك الحصيب فناؤه	لحاج ذوى الحاجات يا عيش مربع (١)
أنادى فلم يذهب ندائي لمذهب	شقائي ولم يجمع شتائي مجمع
وأتنى لعل الصوت يبلغ احمدا	فيعلم ما بي او يعيه فيسمع

وكقوله ايضا في قصيدة أخرى :

بنفس فتى بالشمس رآد الضحى ازرى ونورا يفوق النور من كان والبدر
وكقول الشيخ محمد عمر البنا في تائيته المشهورة :

حاشا جنابكم المبرأ ان ارى ضيما ولى فى حبكم سكرات

وكقول الشيخ عبد الغنى السلاوى :

اضحى به روض المعالى يانعاً	وعلا لرواد الضلال رداء (٢)
امست به آثار طه نورها	يعلو ولا يعلو عليه سبنا
فالمجد فيه مؤئل والفضل منه	مؤمل والناس فيه سواء

وفىها كانوا يمجدون نسيه تأكيداً وتأيداً لمهديته ، وذلك كقول الحسين بن الزهراء
في المهمزية المشهورة :

السابق ابن السابقين إلى الهدى	من معشر نتجت بهم زهراء
وبهم تبلج كل غضن مشر	بجلايه تزهو روضة خضراء

كما انهم ضمنوا تلك المدحات تأييدهم دعوة المهدي ، وكثيرا ما كانوا يسوقون
ذلك التأيد في قوالب المدح ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء :

بالآية الكبرى التي بظهورها
مهدي رب العرش منتظر الوري

كمل الرضا وانجابت الاسواء
وللى الولي والاكرمون وراء

و كقوله في قصيدة أخرى :

عماد المهدي أس الجدي معلم العدا
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد
امام المهدي الهادي لكل مرشد
بهايته التاج النفيس المرصع

بدا واليه الناس في الارض تجمع
لها الحصن الحصين الممنع
بهايته التاج النفيس المرصع

و كقول عبد الغني السلاوي في قصيدته الحمزية :

ان كنت من انصار مهديا لنا
ما هديه غير الكتاب وسنة
ومع مدحهم المهدي وتأيدهم دعوته في
المقاتلين والقواد ، ومن ذلك ما جاء في تائية البنا من اشادة بجنود المهدي حيث قال :

مهدي الوري من فاض عنه هداه
والنازكون لذاك هم كفراء

ان كنت من انصار مهديا لنا
ما هديه غير الكتاب وسنة

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
وخلوفهم صدا الدروع لحزمهم
في السلم تلقاهم ركوعا سجدا

شم الجبال وللضعيف حماة
شهدت به يوم اللقاء الغارات
قتل الاعادي عندهم عادات
أثر السجود عليهم وسجات

وقد قال الشاعر نفسه في مدح عثمان دقنة بعد ان اشاد بجنوده الذين قادهم
لنصرة الدعوة المهدية في شرق السودان ، قال :

واميرهم عثمان اهلك ملة
ان صال فالفرسان تحجم دونه

عدم النصير صريحها المكروب
فرق الحلالك والسينان لعسوب

ومدح البناء كذلك اميرا آخر من امراء المهدية هو الامير الزاكي (١) وقد تعرض
معظم هؤلاء الشعراء إلى فكرة المهدية في مدائحهم . فقد قال الحسين بن الزهراء
في احدي قصائده :

به اخبرت من قبل وقت ظهوره
صحاح رواها هبرزي موضع

و كقولہ فی الهمزية :

انعم بامر كان من جد القضا جاز وقد حكمت به الاسماء
وله الاشارة من ألت بربكم طوعا له وليسع العلماء

كما تعرضوا لبعض ما عرف بين الناس في ذلك الزمن من كرامات المهدي ولما أورده
المهدي في منشوراته كاشتعال (١) النار في جسم العدو عند ما تصيبه ضربة أو طعنة
من جنود المهدي ، وقد ذكر ذلك الحسين بن الزهراء في همزيته التي عرضنا آياتا
منها في الصفحات السابقة حيث قال :

والنار ترعى في الجسوم كأنها عشب لعمرى ان ذاك بلاء
ما النار شأن النار اعجب ما ارى تجري بهم وجسومهم سوداء

وكاشراك جنود من الجن (٢) ومن الملائكة مع جنود المهدي في القتال ، وقد
ذكر هذا الحسين بن الزهراء في داليتة التي رفعها للمهدي ، وذلك حيث قال :

لم لا واملاك السموات العلا في جيش مهدي الورى اجناد
والجن والانس الذين عهدتهم سوى الذين وما لهم اعداد

كما ذكر البنا في قصيدته التي مدح بها عثمان دقنه اذ قال :

وامدهم جيش الملائك ناشرا رايات نصر للبلاد تجوب

كذلك مدح بعضهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالشيخ عمر الازهرى الذى
نظم قصائد عدة في مدحه صلوات الله وسلامه عليه ، ويقال فى واحدة منها :

محمد صفوة الباري وخيرته المختار من رسله للانس والجان
ذو المعجزات التى قد اعجزت عددا من رام عدا بالقى الف ديوان

وقال فى أخرى :

هذا الذى اعجز الفصحاء والبلغاء عجزا ظاهرا قرآنة
نطق الذراع له وحن الجذع وانسكب السحاب اذا اشار بتانه

-
- ١ - كتاب المهدي إلى يوسف الشلالى ، منشورات المهديّة - أبو سليم ٣١٢
 - ٢ - خطاب المهدي إلى محمد ود البصير ، منشورات المهديّة ، أبو سليم ١٨ و منشور الدعوة ، المصدر نفسه ٢٤ و منشور الحضرة ، المصدر نفسه ١١١ .

جمعت نخصال المرسلين له كما
متواضع والزهد فيه سجية
جمع الذي في كتبهم فرقانه
يطوى ويصعب والاوان اوانه

وقال في الثالثة :

محمد المحمود في الارض سيرة
اذا ذكر اسم الله يقرن باسمه
فوق الطباق السبع الملاء الاعلى
لتعظيمه في كتب ات تتلى
نبي ابي الخلق بالحق داعيسا
فمن لم يجب بالنار يصلي وان صلي

من الشعراء الذين نظموا قصائد في مدح الرسول الشيخ أبو القاسم (١) أحمد هاشم
والشيخ الطيب (٢) أحمد هاشم والشيخ ابراهيم (٣) أحمد هاشم الا اننا نكتفي بماوردنا
من شعر الشيخ عمر الازهرى امثلة للمدائح النبوية ، لأن الشعر الذي يعيننا في هذا
المقام هو الشعر المتصل بالمهدى ودعوته ، لكننا نرى الا بد من ذكر بعض ابيات
من قصيدة الشيخ المصوى (٤) عبد الرحمن التي نظمها في مدح الزبير باشا لان
شعراء ذلك العهد لم يتجهوا بعديهم للافراد العاديين — قال المصوى :

ام مبيض برق ام سنا مصباح
ام بدر تم في الدياجي ناشر
ام صؤ فجر صادق الاصباح (٥)
بيض الملاء على ربا وبطاح

واذا تأملنا هذه القصائد نجد ان الشاعر في كل واحدة منها يعدد فضائل الممدوح
بل يسردها واحدة تلو الاخرى في شكل تقريرى ظاهر ، وتتساوى في ذلك مدحات
النبي ومدحات المهدي ومدحات الافراد العاديين ، فعمر الازهرى قال مادحا
النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد صفوة الباري وخسيرته المختار من رسله للانس والجان

- ١ - عالم سوداني عمل كاتباً في المهدي وقاضياً في عهد الحكم الثنائي. ثم اختير شيخاً معلماً ولد
ولد في برى ١٢٧٨ هـ شعراء السودان ٣١
- ٢ - ولد في بربر ١٢٧٣ هـ عالم سوداني ، عرف في المهدي بعلمه وتقواه ، وكان قريباً كبار
رجالها . تولى القضاء والآفتاء في عهد الحكم الثنائي ، المصدر نفسه ٤٣
- ٣ - ولد في بربر ١٢٨٩ هـ وعمل في دور المحاكم الشرعية ابان الحكم الثاني .
- ٤ - ولد ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) تتلمذ على علماء كثيرين ، اتضل بالمهدي وصار داعية له في الخرطوم
هرب إلى مصر بعد وفاته ، نفثات البراع ، ٩٧ .
- ٥ - المصدر نفسه ٩٧ .

ذو المعجزات التي قد أعجزت عددا من رام عددا باثقي ألف ديوان

ان الشاعر في أبياته تلك - بل لعله في قصائده كلها - يقدم لنا بيانا بالصفات الحميدة الفريدة النبيلة التي تحلى بها سيدنا محمد ، فهو يقول انه صفوة الباري ، وخيرته المختار ، وانه صاحب المعجزات المعجزة ، وانه ييز الفصحاء والبلغاء بقرآنه ، وانه قد فاق المرسلين بما حوى من صفاتهم كلها ، وان كتابه قد فاق كتب المرسلين الذين سبقوه لانه احتوى ما جاء فيها وارثي ، وفوق هذا وذاك فهو محمود في الارض وفي السموات السبع . اذا رجعنا إلى قصائد المدح التي قبلت في المهدي نجد الشعراء يسردون صفاته سردا ويقررونها تقريرا كقول الحسين ابن الزهراء في العينية التي عرضنا أياتاً منها فيما تقدم ، قال :

عماد الهدى اس الجدى معدم العدا بدا واليه الناس في الارض نجح
ملاك اساطين الخلافة كفوها المعد لها الحصن الحصين الممنع
امام الهدى الهادي لكل مرشد بهامته الناج النفيس المرصع

وكقوله في قصيدة أخرى :

للحق جاء وللمناكر فاتك وعلى الفعال من المقال مزاد

او كما قال البنا في مدح عثمان دقنة :

واميرهم عثمان اهلك ملة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
.....
فالحلم فيه سجية مغروسة
.....
اما لدى حرم الاله غضوب
.....
عدم التنصير صريحها المكروب
فرق الهلاك واللسان لعبوب

وكقول المصوى في مدح الزبير باشا :

ضخم الدسيعة ما خلعت ابوابه
من قاصيد به في مساء وصباح
من دوحة العباس عم المصطفى
اكرم به من سيد جمجم جاح

فتنحن اذا تأملنا هذه الأبيات نرى انها تعد الصفات عدا ، فالهدي عماد الهدى ثم اس الجدى ثم معدم العدا ، وهو يعد ذلك ملاك اساطين الخلافة وهو كفوها ،

وعثمان دقة أهللك أعداءه ، فهو فارس سباهه الفرسان ، وهو فوق كل هذا حليم
 غيور ، والزبير باشا ضخيم الدسيسة ، ابوابه تزدحم فيها الناس ونسبه ينتهي إلى
 العباس عم النبي . هكذا كان الشعراء يمدحون — يقدم الواحد منهم سلسلة من
 الصفات وكأنه يقدم « كشفاً » منظوماً أو مجموعة عبارات جافة لا أثر للشعور فيها
 ولا حظ لها من خيال ، وشخصية الممدوح لا تكاد تبين أو تتحدد بين تلك
 الصفات المسروقة **الرياء :**

لما انتقل المهدي إلى الرفيق الأعلى رثاه بعض الشعراء وقد حفظت لنا المراجع
 أسماء وقصائد ثلاثة منهم هم إبراهيم شريف الدولابي ومحمد بن الطاهر المجذوب
 واسماعيل عبد القادر الكردفاني ، ولم نجد فيما بين أيدينا من مراجع رثاء للمهدي
 من نظم الحسين بن الزهراء أو من نظم محمد عمر البنا مع أنهما أيدهما بالقصائد
 الطوال وإشادا بشخصه وبرسالته وبانصاره المقاتلين — ولم نجد كذلك رثاء في تلك
 المراجع لغير المهدي وبعض من قواده مثل « حمدان أبو عنجة » فقد رثاه محمد بن
 الطاهر المجذوب ويبدو لنا من هذا أن الرثاء كان مقصوراً على فئة خاصة ، ولم
 يخرج عن دائرة تلك الفئة ليشمل ذوي القربى أو أهل المودة وعيون المجتمع من
 غير الحكام .

ابتدأ إبراهيم شريف الدولابي مراثيه بتصوير فداحة الخطب بالتعبير عن مدى
 حزنه لوفاة المهدي فقال :

كيف التام فؤادي المفطور	ورقوء دمع محاجري المفجور (١)
أم كيف ينفلك الضني عن مهجة	احشاؤها تصلي على تنور
اسف على المهدي من مهد الصبا	قد كان معصوماً عن المحذور

لقد وفق الشاعر في هذه البداية لأنه أعلن فيها عما أصابه ، ولا يمكن أن
 يصيب أحداً لموت آخر أكثر وأعظم من انقطاع الفؤاد وانفجار الدمع وإضناء المهجة
 ثم أتراكم الإساءة ، وإدخال في نفس القارئ أن الذي أصابه لا يزول ، ونستفيد

هذا من ذاك الاستفهام الذى يدل على النفي ، ولعله من تمام التوفيق ان ينتقل الشاعر بعد اعلان ما اصابه واعلان استحالة برئه منه إلى الاشادة بالمهدى وبيان بعض ما تحلى به ويذكر فى غضون ذلك المشهد الذى نصب فيه مهديا ، ثم يشيد بدعوته ويجهاده وبفضل تابعيه المهتدين بهديه وذلك حيث يقول :

فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا بالسيف والاذار والنبشـير
فتح الفتوح ودمر الكفار فى كل البلاد بجيشه المنصور
ومن انتمى لسواه اصبح حائرا ضل الطريق بليلة ديجور

ولا نملك ان نثل هذه الاشادة المفصلة الشاملة مما يزيد فى تصوير فداحة الخطب وعظم الفقد ، وبعدها ينتقل الشاعر إلى مكانة المهدى الدينية مشيدا بزهده وتقواه وكرمه فيقول :

طلق المحيا خاشعا متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور
وتفيض بالحدود الكثير يمينه ابدا بلا من ولا تكدير
ويبيت طاولى الكشح جوعا وهو قد اعطى الكتوز يجمعها الموفور
لا يبتغى جاها ولا مالا ولا عسر الملوك ولا ارتفاع الدور

هنا ايضا جاءت الاشادة مفصلة شاملة فقد تطرق الشاعر إلى علم المهدى بالشرعية والحقيقة وجعله مجرا فى كليتهما ، ثم تعرض إلى « صوفية » المهدى أو « تصوفه » فقال انه « سر الوجود » و « ترجمان الحضرة العليا » وهو « مظهر الغيب » . بعد ذلك ذكر بعض ما خصه الله به - « والله اكرمه بطيب تحية » ومن هذا التفصيل الذى شمل عبادة المهدى وكرمه وعطفه على الفقير والمكسور ، وشمل أيضا زهده وتواضعه انتقل الشاعر إلى رسالة المهدى وتحقيقها فقال :

ما همه الا اجتذاب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعبور
لما ابان لنا السيل ولم يسدع ايضاح منهى ولا مأمور
والدين عز واهله بلغوا المنى وتقلبوا فى نعمة وحبور
ناقت إلى الذات العلية روحه وبعثت لمقصده صديقها المنخور
فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا الحشا ببلابل وسعير

في هذه الأبيات يعلن الشاعر أهداف رسالة المهدي ويحصرها في - اجتذاب الخلق جميعهم مما اتحدوا اليه من شقاء وايضاح السبيل ليعترف الناس ما يأمر به الله وما ينهى عنه ، واعزاز الدين واهله حتى يتقبلوا في « نعمة وحبور » ويعلن انه قد بلغ تلك الاهداف ، وبعد بلوغها انتقل إلى جوارربه تاركاً في كل قلب حسرة وفي كل جوف ناراً مستعرة . لم يقل الشاعر « مات » أو « قضى نحبه » او مثل ذلك مما يقال عادة لكنه قال « تآقت إلى المذات العلية روحه » و « سعت لمقصد صدقها » ، قال ذلك تمييزاً للمهدي عن غيره وتقديراً لمكانته الدينية ورسالته التي جاهد في سبيلها إلى أن حققها ، فالشاعر يؤمن به ويعتقد صحة دعواه ، ليس هو المقاتل فيه في نفس القصيدة :

ومن اهتدى بهداه أصبح ذا دخلا	سور الرضى اعظم به من سور
ومن انتمى لسواه امسى حائرا	ضل الطريق بليلة ديجور
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا	تاخذك لومة لائم مدحور
ما اطنبت مداحه الا وهم	عن وصف بعض حلاه في تقصير

من هذه الأبيات ومن بعض ما قدمناه قبلها نرى ان هذه المراثية حوت تأييداً للمهدي في دعوته وفي جهاده وتأكيذاً لمهديته ويكفيها دليلاً على ذلك الابيات :

لا زال في كنف العناية يغتدى	بدقائق التبصير والتنوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذي	عنه النهى في حيرة وقصور
واقامه المختار عنه خليفة	خلعت عليه ملابس من نور
ورقى إلى كرسىه متسماً	في مشهد بالاوليا معمور

في ختام هذه المراثية أخذ الشاعر يعدد مواطن البكاء او ينسب البكاء والانتحاب إلى امكنة كان يغشاها المهدي ، وهي اليق به واشبهه ، كما اثني على الارض التي

حوت جسمه فتناق طيبتها مما حوت ما يفوح من المسك والكافور ، قال :

تبكي المساجد والمحارب فقده	ومواطن الازكار والتذكير
يا طيب ارض ضم جسمك تربها	تررى بعرف المسك والكافور

وبعد التعداد شرع في العزاء فقال :

يا آل بيت المصطفى ضيرا وان
فلکم تجمع في مصيبة جدمکم
جل المصاب وغز عن تصبير
خير الانام الحى والمقبور

انه يعزى آل المهدي ويسميهـم « آل بيت المصطفى » مريدا بذلك نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا يكشف الشاعر عن ايمانه بالمهدي والمهدية لان المهدي حسب رأى الشيعة لا يكون الا من آل البيت ، ولعله اراد ان جدمهم رجل اصطفاه الله وفضله على الاحياء والاموات من الانام ، وفي هذا ايضا ايمان به وتأيد لدعوته . يقرر بعد كل ذلك انه شمس توارت ، واذا ما توارت في الثرى تلك الشمس التي يهتدى بضياؤها السائرون ، وينتفع باشعتها كل كائن حى فالعزاء والعوض في بدر نوره عظيم ذلكم هو الخليفة عبد الله بن محمد ، ثم يأخذ بعد ذلك في مدحه وامتداح سيرته ، ويتقل من بعد إلى بقية الخلفاء مشيدا بموقفهم وافعالهم ، ويعلن أنهم « قوام الدين بعد امامه » وهم ايضا « تمام ظهوره » ، وانذا لنحس في كل ما قال عنهم تأييدا للمهدي وتأكيدا لصحة دعواه ، ويكفى دليلا على ذلك انه يسمي احدهم « خليفة القاروق » ويسمى الثاني « خليفة الكرار » كما سماه المهدي ، ثم يقول عنهم كلهم أنهم « قوام الدين » بعد موت المهدي « امامه » كما يقول أنهم « تمام ظهوره » ، وفي البيت الاخير دعاء بالصلاة على المصريح الذي ضم رفاة المهدي ، صلاة طيبة تتردد كل صباح وتكرر كل مساء .

أما محمد بن الطاهر المجذوب فقد سلك نفس النهج تقريبا بدأ بتصوير فداحة الخطب فقال :

دهتنا دواه يضر بن القلب نابها
غسداة نعي الناعون مهدينا الذي
ويوقد في الاحشاء نارا منابها (١)
به ملة الاسلام جل مضابها

انه يمثل النعي والحزن الذي اعقبه جمع من الدواهي لها ناب او أنياب انغرست في القلب فأحدثت ألما ممضا أنتقل إلى الأحشاء وانتشر فيها نارا حامية وبعد هذا التمثيل يعلن الشاعر ان المصاب جلل وانه فقد للاسلام والمسلمين ، ثم يشرع في

تعداد محامده ليؤكده فداخه الخطب وليدلل على ان المصيبة حلت بالمجتمع الاسلامي كله ، وذلك بقوله :

إلى الله مفتاح النجاة وبابها	إمام المهدي المهدى افضل من دعا
وضاقت بنا الارض الواسع رحابها	ألا قد احبنا اذ عدونا حبيبنا
ابان هداها حين تم خرابها	ليبك له الدين الخفيف وملة
فقدناك يا شمس دهاننا بخيابها	فقدناك يا هديا يتمنا بفقد

في هذه الايات الاربعة يقرر الشاعر ان الفقيد « امام المهدي » وانه « افضل من دعا إلى الله » وانه « مفتاح النجاة وبابها » فكيف لا يكون فقده عظيما والمصاب فيه جلالا ، وكيف لا يحزن لفقده المجتمع الاسلامي كله وقد هداها إلى السبيل السوي واعاد إلى الدين هيئته بعد « خراب » ، وقد كان لهم « هديا » كما كان « شمس » ان الشاعر بقوله هذا لا يصور عظم الرزء بموت المهدي فحسب ، انما يؤيده ويؤكد مهاديته .

يأخذ الشاعر بعد ذلك في مراجعة نفسه وتذكيرها بربها وحكمه فيقول :

إلى الله انا راجعون هو الذي	اليه نفوس العالمين اياها
هو الفاعل المختار باق وانما	نفوس الوري جمعا اليه انقلابها

ويتطرق إلى ما كان يتوقعه من لقاء المهدي ويأسى لان ما كان يتوقعه لم يتم ، ويدعو لقبره بالسقيا ، وذلك في قوله :

وكنا نرى انا نفوز بوصله	بذي الدار حتى صاح فينا غرابها
فلم يبق فيها الآن ما يتغنى له	بقاها فقد اضحى سرايا شرابها
سقى الله ارضا ضمته بقاعها	به فاقت العرش العظيم قبابها

ويختتم مرثيته بالعزاء يقدمه إلى خلفاء المهدي وإلى اهله ، ويخص كل خليفة كما يخص اهل الفقيد بشيء من الثناء في الايات التالية :

عزاء إلى الصديق نائبه الذي	به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه	لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها

عزاء إلى الكرار ذي الناصر الذي لديه يرباب الباترات ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام أولى التقى على الله هاتيك الرزايا احتسابها
وفي الختام يسأل الله أن يلحقه بالمهدي في جنة العلا ، ويبعث إليه تحيات
زبانية في البيتين :

والحقنا المهدي في جنة العلا ليذهب عن هذي القلوب إكتئابها
الا ابلغوا عنا ضريح ابي المهدي تحايا إلى الله الكريم انتسابها
مرة أخرى نلمح تأييد الشاعر المهدية في الثناء الذي يخص به الخلفاء ويقدم اليهم
مع العزاء ، ونلمحه ايضا في الرغبة التي يعلنها في آخر المراثية حيث يطلب إلى الله
أن يلحقه بالمهدي في الجنة لتذهب عن قلبه تلك الكآبة التي اصابته لانه لم يفز بقاء
المهدي كما كان يأمل ، كما اصابته بموت المهدي .

ان المراثية الثالثة من شعر الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني ، وقد جمع
فيها بين الرثاء ووصف فيه المهدي ، وستناول الآن جانب الرثاء وترك الوصف
إلى حين . بدأ الرثاء بتعداد محامد المهدي وسرد افضاله فقال :

خلاصة صفو المجد من آل هاشم وافضل من في الخير راج او اغتدى
امام له في كل مجد وسؤدد مآثر فضل ما أجل وامجدا
محمد المهدي بشري محمد شفيع الوري في الخبر من طاب محتدا
ببشراه غنى بلبل السعد مطربا وقام على غصن المدرات منشدا

انه يرجع نسبه إلى بني هاشم آل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقرر
انه افضل من « راج واغتدى » ، وهذا يعني انه افضل البشر ، بل افضل من سعي
للخير وجاهد في سبيله ، ثم يقرر ايضا انه « بشري محمد » ، ولعله يريد بذلك
تأكيد ما يعتقد من صلة بين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ما جاء
به المهدي ثم ينتقل إلى رسالة المهدي وجهاده في سبيلها فيقول :

به الله احيانا واظهر دينه واولاه افضالا ونصرا مؤيدا
وقد أحرز الدين الحنيفي بالظبي ودمر جبارا طغى وتمسردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا

وهنا يعلن ان الله احياهم به ، واطهر به الدين الاسلامي ، وهذا اقرار بانهم كانوا « امواتا » قبله ، واعتراف بان الدين خفيت معالمه وخفت ضؤوه رندحا من الزمن إلى ان جاء المهدي وآتاه الله افضالا وأيده بنصر منه - ومن هنا يدخل الشاعر في مجال جهاد المهدي فيقول :

وقد احرز الدين الحنيفي بالظبي ودمر جبارا طغي وتمردا
وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فسل جيش المعتدين وشردا

وفي هذا القول اشادة بجهاد المهدي او « كفاحه المسلح » في سبيل اعلاء كلمة الله وتشريد خصوم الاسلام والمسلمين . اما وفاة المهدي فيقول الشاعر انها كانت استجابة لدعوة من الله عز وجل إلى المهدي إلى دار الفوز العظيم الخالد :

ولما دعاه الحق جل جلاله لدار بها الفوز العظيم محلدا
اجاب النداء فالقلب بعد فراقه يذوب اسي والصبر عز وابعدا

لم يقل الشاعر انه مات او ان أجله انقضى ، بل قرر ان الله دعاه إلى دار الخلود ، وهذه الدعوة تحمل في طياتها معنى القرب من رب العرش العظيم ، ولا يتأتى الا لمن اوتي مكانة خاصة واحرز فضلا عظيما ودرجة كبرى . ثم ان المهدي أجاب حبا في دار « الفوز العظيم المخلد » ورغبة في القرب من ربه الذي دعاه ، وزهدا في الدنيا الفانية فذهب وخلف بعده اسي ، وصار الصبر على فقده وبعده عزيزا لا يكاد يناله او يبلغه احد . ان الشاعر بقوله هذا يكشف لنا عن تأييده المهدي وايمانه بدعوته والا لما قرر ان موت المهدي خلل اصواب الوجود ، وان الله « جبر الوجود » بخليفته وذلك في آياته الآتية :

وقد جبر الله الود بأمره واعلى منار الدين حقاً وشيدا
بهدي الذي قد قام فينا مقامه خليفته هادي الوري قانع العدا
فقام بامر الدين حق قيامه واعمل في اهل الضلال المهندا

ان هذا الذي جاء في هذه الايات هو بداية مدح الخليفة والاشادة بمواقفة في السير بالدعوة والدفاع عنها وقد استرسل في ذلك قائلا :

قلوب الزرى تغرب جميعا لهديه
امام اجل الله فى الكون قدومه
فلا تشنى الا وعنها انجلى الصبدا
وتوجه تاج القلوب وأبدا
مآثره فى الدين يعسر حصرها
فغاية ما عندى القصور وقد بدا

يثبت الشاعر هنا ان قلوب العالمين تسترشد بهديه وتخضع له وهو يزىل ما علق بها فتعود نقية صافية خالصة لانه الامام الذى منحه الله جلال القدر وأيده والقى اليه محبة الناس ، اما مآثره فى الدين فلا حصر لها ، وان اراد احد ذلك فالامر عسير والشاعر نفسه عاجز عن ذلك فلا يستطيع . ان الشاعر بهذا المدح الذى يقرره تقريراً يثبت تأييده المهدي وولائه للحاكم الجديد الذى خلف المهدي بعد وفاته . ينتقل بعد ذلك إلى بناء القبة ذاكرة ان الخليفة هو الذى أمر ببنائها وخاطب الانصار وحثهم على تشييدها ابتغاء الثواب ، ثم اشرف على البناء إلى ان اكتمل وبرزت القبة شاعرة عظيمة . كل ذلك فى الأبيات التالية :

ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبة
له وهو بدر فى سماء العلا بدا
حوت كل مجد لا يعد وسؤدا
فى ختام القصيدة خاطب الشاعر زوار القبة اللائذين بفضل المهدي المتوسلين به ، وبشرهم ببلوغ المقاصد والظفر بالحسنى ثم ارخ للقبة فى البيت الاخير ، قال :

فيا زائرا تلك البنية لائدا
توسل ببشرى المصطفى متأدبا
بقبر حوى الفضل بالحسيم المؤبدا
لظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضعا وارج القبول مؤرخا
بقبة مهدي الانام تزي هدى
لما مات القائد حمدان أبو عنجة رثاه محمد بن الطاهر المجذوب بقصيدة لم نعر منها الا على الابيات التالية :

حمدان إنك طالما سمت العدا
ما وجهت رايات نصرك وجهة
ذلا وذكرك فى المجافل يرفع (١)
الا وبالظفر المؤكد ترجع
فلك الهنا بقاء ربك شاهرا
سيف الجهاد وكل قرم تقمع
فسحائب الرضوان تغشى تربة
ضممتك ما نجم يغيب ويطلع

واننا لنجد في هذه الابيات على قلتها بعض السمات التي وجدنا في المراثيات الاخرى فالشاعر يعبد محمدا المتوفى ، وهو اذ لاله العدو وسير ذكره في المحافل ثم انتصاره في كل معركة يتجه اليها ثم يدعو له بالهناء في جوار ربه بعد ان شهر سيف الجهاد وارذى به « كل قرم » ، ويدعو له بالرضوان ما طلع نجم وغاب . كذلك نجد بعض السمات في قصيدة احمد مدني التي رثي بها السيد عبد العال ابن السيد احمد بن ادريس ، فقد بدأها بتصوير الفاجعة في الابيات الاربعة الاولى وفيها قال ان « رونق البلدان قد ذهب » و « النور انسلب عن الاكوان » ثم « انشغلت افكار الناس وحارت » وتساءل بعد ذلك عن السبب ثم رد بان وفاة « الاستاذ مصيبة نزلت فاشعلت في القلوب الحز .. » واسهرت العيون وابكتها دمعاً « يفوق البحر والسحبا » بعد ذلك انتقل الى بيان الافصال وتعداد المحامد ، وبعد ان سرد مجموعة منها حث على زيارة قبره للفوز « بنيل المرام » و « ازالة الهم والنصب » ثم اختتمها بالدعاء لنفسه وتاريخ عام الوفاة .

يمكننا الآن ان نقول ان شعراء المهديية اتجهوا بمراثيهم الى طبقة الحكام ، ولم نجد فيما وصل الينا من شعر أبياتاً لأى منهم ييكى فيها قريباً او حميماً او جاراً ، او شخصاً من عامة الناس تربطه به صلة شخصية او عاطفة انسانية لذلك جاءت قصائدهم خالية من حرقة المكلوم ولوعة التاكل لكنها اكتظت بمحامد المتوفى مسرودة سرداً ، وتتابع هذه المحامد وتعددت فرسمت للمراثي صورة اوضح من صور المدح ، هذا وقد تضمنت تلك المراثي التي قيلت في المهدي تأييداً واضحا للمهدي وایماناً بفكرتها .

الوصف :

لم يخرج شعراء المهديية عن بيئتهم في شعرهم الوصفى ، فقد وصف بعضهم معارك المهدي ، وسنعرض لهذا الوصف عندما نتحدث عن شعر الحماسة . ووصف احدهم قبة المهدي وهو الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الكردقاني بالآيات الآتية (وقد رثي المهدي في باقى أبيات القصيدة) قال :

سمت قبة المهدي مجداً وسودداً ونيطت بها الجوزاء عقداً منضداً
وصيغ من الاكليل تاج لأمها وسال بها نهر المجره مزبداً

يتحدث الشاعر ههنا عن مظهر البناية التي يرقدها المهدي فيقول أنها سامية ،
سمت بالمجد والسؤدد ، وتحلت بالكواكب عقداً منظوماً ، وشعت منها أنوار
الهداية وانتشرت في الكون . يقول بعد ذلك أنها بنية مجد - بناها الحلم والبتى ،
وفي هذا مدح للخليفة عبد الله الذي أمر ببنائها وللانصار الذين بنوها ، والرجل
الذي يرقده أسفلها ، وهو افضل من ورث النبي صلى الله عليه وسلم ، والا فلم
تكن كما قال سامية بالمجد والسؤدد متحلية بالكواكب والنجوم ، ومهما يكن من
شيء فإن هذا الوصف في جملة وصف لمظهر القبة ، ومعظمه مستوحى من شخصية
الرجل الذي بنيت له ودفن فيها ، ومن شخصية الرجل الذي أمر ببنائها واشرف
عليه ، اما البناية نفسها ، وما توحى به او تثيره في النفس فلم تكن مما يحفل به
الشاعر او يستهوي خياله وشاعريته من قريب او من بعيد .

الغزل :

لم يكن لهم شعر غزل بالمعنى المفهوم من هذا التعبير لكنهم صدروا مدائحهم
بمقدمات غزلية ، فقد قال الشيخ محمد عمر البنا في صدر إحدى قصائده التي مدح
بها « عثمان دقنة »

ما بال طرفي للدموع سكوب	شوقا وقلبي للملاح طروب
ولقد فتنت وما ظفرت وربما	فتن المشوق وفاته المطلبوب
انا في هوى الغيد الحسان معذب	وسواي ينعم باله ويعطيب
عثمان دقنه من رقي اوج العلا

وابتداً إحدى مدحاته في الأمير الزاكي بقوله :

ابدا بورقني عبير شذالك	ويزيدني قلقا دوام جنالك
ويردني من حالة العقل إلى	حال الخبال تذلي وابالك
ويزيدني طربا وحسن مسرة	برق تألق من ضياء سنالك
وقال في مطلع مدحة أخرى :	
دعوني اجتنى ثمر الرقاد	وخلوني اميل إلى الوسساد
إلا يا حادي عيسهم رويدا	سلمت من الملمات العسوادي

ويا دار الأحبة خبريني سقتك هوامع السحب الغواذى
كأن ضياء النجمه علينا أبادى الشهم عثمان الجواد

ومثل هذه المقدمات الغزلية جاءت فى معظم المدائح النبوية التى نظمها شعراء هذا العهد ، فالشيخ غمر الأزهرى قال فى أحداها :

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم تختلف فى ذلك اثنان
فان اشار بطرف العين هم حملوا او البنان فقد بانوا عن البنان

وقال فى ثانية :

باد هواه وزائد خفقانه صب تفرق بالنوى اخبذانه
فجرت بوادى مثليته لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنانه
قد خافه حسن التصبر بعدما بانوا ووفت بالبكاء اجفانه
لم يدرك قبل البين ان فؤاده رهن لمن وطيفهن رهانه

وقال فى ثالثة :

فؤاد عن التبريح والوجد ما كلا على م يقول العاشقون له كلا
وعين نجيع الدمع خدد خبدها ففى اى شرع صاح تأنيها حلا
عبوني عبوني والدموع مدامعى فما لعذولي ان بكيت دعاء مهلا
قفوا خبروني آل ودى عن الهوى وكيف يكون الحب حسبي به جهلا
لئن كنت فى دعوى التصابي مقصرا فقد فاق حبي للذي ختم الرسلا

انهم ينظمون هذه الايات من الغزل فى مقدمة قصائد المدح لانهم عشاق متيمون بالحسنات انما هم يتبعون نهجا سار عليه الشعراء فى قديم الزمان اذ كان يصدر عن قصائدهم بمقدمات غزلية ، فغزل هؤلاء الشعراء — شعراء المهدي — اتباع لسنة قديمة لا تعبر عن اصحاب بالجمال او وصف له ، ومهما يكن الحال فان غزلهم هذا تضمن شكوى الشوق والفراق ، وتباريح الوجد ، كما حكى عما يلاقه الواحد منهم من ارق وقلق يسببهما الحفاء ، وما يجده من عذاب الصد ومرارة الحب ، وقد يعرض بعضهم إلى ما ينجم عن كل ذلك من بكاء متصل ودموع تمارجها

قطرات الدم ، تسيل فتحدث في الحدود آثارا واضحة ، إلى غير ذلك من كحفتان القلب وذهاب الصبر ، كما أن بعضهم تحدث عن عفته في حبه ، وعن ترفعه وبعده عن الريب ، اما المحبوب ففي كل هذه الحالات عازف لاه ، لا يكاد يستجيب ، ولا تكاد نحس له اثرا ، كل ما هنالك هو هيام شديد الا أنه « فارغ » لا تجربة فيه ، فقد كان كل اولئك الشعراء فقهاء . نشأوا في اول حياتهم نشأة دينية ثم تثقفوا ثقافة دينية مازجها شيء من التصوف ، وصاروا فيما بعد رجال الدين والقضاء والشرع ، ورجال العلم في البلاد ، فلم يكن من الممكن ان يزدهر او يظهر شعر غزل من انتاجهم مثل ذلك الذي عرفناه في عصور الادب المختلفة ولم يكن من الممكن ان يصدر عن سواهم لان التعليم كان محصورا فيهم ، وكان تعليمنا دينيا ذا مسحة صوفية .

بعد هذا الاغراق في وصف الهيام و « التهالك على المحبوب » (١) يتخلص الشاعر إلى موضع القصيدة في براعة ظاهرة كما يتضح من النماذج التي سيقى .

شعر الحماسة :

لقد اثار ظهور المهدي المجتمع السوداني وحرك في أفراد شعوره الوطني وعاطفتهم الدينية لان المهدي كان تقيا وورعا يدعو للإصلاح ، ولانه كان قوى الشخصية شجاعا ، وقد تجلى ذلك في صموده امام حملات الحكومة العسكرية كالفرقة التي ارسلتها اليه في ابا ، وحملاتها الدعائية كالمشورات التي اصدرتها ضده وكالرسائل التي حررها العلماء يكذبونه فيها ، وبالإضافة إلى كل ذلك لم تكن الامة السودانية راضية عن الاتراك وحكمهم ، وجاء المهدي بشخصيته وتقواه وورعه وصموده ثم اعلن الجهاد لذلك انقلب الشعب السوداني إلى « مجتمع محارب وتحول الشعراء إلى قوى تعبىء الشعور العام ، وانطلق الشعراء يصفون جروب المهدي ، ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء في همزته :

والله دمر من طغى وأباده حتى تولى قتله الضعفاء (٢)
ولقد تبدد جسمه برماحهم فكأنه من خلقه اشلاء

١ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢٨٩

٢ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٣١٥

صالوا به وذويه بين حصونهم
ومنه ايضا قول البنا في تائيته :

قوم اذا حصى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
وخلوفهم صده الدروع لحزمهم
فأثرون نفع الموت في عرصاتهم
وذباب اسياف المتية فوقها
والارض سالت بالدماء وما بها

شم الجبال وللضعيف حماة (١)
شهدت به يوم اللقاء الغارات
قتل الاعادى عندهم عادات
واغررن صباحا اذ علت أصوات
رعقت دما وجلاؤها الهامات
غير الحماسم والشعور نبات

ومنه ماجاء في قصيدته التي امتدح بها عثمان دقنة :

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
واميرهم عثمان أهلك ملّة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
او جال في الميدان تحسب انه
او جرد السيف المهند مؤمنا
لاولى القساوة فالرؤوس تحسب

او غولبوا فعدوهم مغلوب (٢)
عدم النصير صريحها المكروب
فرق الهلاك واللسان لعبوب
اسد تفرس والرجال تشوب
لاولى القساوة فالرؤوس تحسب

ومنه ايضا قصيدة محمد بن الطاهر المجذوب التي يقول فيها :

هندوب تعرف صبرنا
وهشيم تشهد عزمنا
يا طالما صعدنا بها
جيشا يرن سلاحه

كيف ارتكبننا للمضاعب
كيف ادرعنا للمصائب
صيد الغصنفر للثعالب
كالرعد اذا ما المزن صائب

ومنه كذلك ماجاء في احدى قصائد الحسين بن الزهراء :

الامر جد والخطوب جداد
مهج تتقعق في شتات جسومها
قضيب يحرك معبد اوتارها

وجنود مهدي الوري امجاد
فكانها بنشيدها اعوام
يزهى به الانشاء والانشاء

١ - شعراء السردان ٢٧٥

٢ - نغنيات الراعي ٩٣

نلاحظ ان بعض شعر الحماسة هذا يحوى وصفا للقتال ، اى انه يصور لنا بعض ما حدث فى منازلة بين جنود المهدي واعدائهم وذلك كالذى جاء فى همزية الحسين بن الزهراء — الابيات التى اوردناها فيما مضى ، كما ان بعضه يصف قوة الجند ، ويصور حماسهم ويشيد ببلاتهم فى ميادين القتال كالذى جاء فى ثائية البنا ودالية الحسين بن الزهراء ، وهذا كله نجده فى قصيدة محمد الطاهر المجذوب — « هندوب تعرف صبرنا » ففيها اشادة بالجند لانهم صابرون ذور عزائم قوية ، وفيها ايضا وصف لمعاركهم وبلاتهم فيها ، وفى القصيدة كذلك اعتزاز بمواقف معينة ، واعتداد واضح بقوة العزيمة والبراعة الحربية .

لم ينظم شعراء هذا العهد قصائد فى الهجاء ، لكن حفظت لنا المراجع قصيدة واحدة نظمها الشيخ محمد شريف يهجو فيها المهدي ويكذب ما جاء به ، وقد اوردناها فى ملاحق هذا البحث . بين الشاعر فى اول قصيدته هذى بدء الصلة بينه وبين المهدي وقال ان المهدي جاءه « يروم الصراط المستقيم » ثم حدثنا بعد ذلك عن حياة المهدي وسيرته فى الفترة التى قضاها معه متلمذا عليه ، ومنها انتقل إلى دعوة المهدي فقال عنها :

بصحبته شيطان من الجن آيس	وشيطان انس وافقاه على الضر (١)
ولا تنس داعي الاحتياج فثالث	وكم ساقط فى الشر من ألم الفقر
فقال انا المهدي قلت له استقم	وهذا مقام فى الطريق لمن يدرى
وخادعنى بالقول كالمهد ابنكم	ومحسوبكم فى الحب فى عالم الذر

هنا يعلن الشاعر رأيه فى الدعوة فيقول انها من وسوسة شيطان من الجن وآخر من الانس ، ويقول كذلك ان الحاجة بالاضافة إلى الشياطين — دفعت المهدي لادعاء المهدية — يأخذ الشاعر بعد ذلك فى وصف ما دار بينهما من حوار فى شأن هذه الدعوة وما انتهى اليه ذلك الحوار ، يقول :

فقلت له دع ما نويت فانه	وتالله شر قد يجر إلى الخسر
وقال له الشيطان بشر ولا تحف	فانك منصوصور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهي	ومال إلى حب الرئاسة والجبر

ان هذه القصيدة في جملتها تفنيد منظوم لما كان يبشر به المهدي ، وفيها
ذم لشخصه ، وهي نموذج للمعارضة التي واجهت المهدي من العلماء بايعاز من
الحكومة ، وقد اطلال الناظم اذ اخذ يعدد بعض ما قال به المهدي واصفا اياه بانه
« كاذب ابداه .. » (١) وفي ختامها حكم على المهدي « بالجهل المركب » (٢) ..

نعود بعد الذي قدمنا عن موضوعات شعر المهدي موضوعا موضوعا ،
لنتناول ذلك الشعر وننظر في مضمونه ككل فنقول انه دار حول الدين والسياسة
وان معانيه هي نفس المعاني القديمة التي عبر عنها الشعراء الاقدمون ، فشاعر كالشيخ
محمد عيسى البنا مثلا لما اراد ان يثير حماس الجنود للقتال قال فيما قال :
والصبر عند البأس مكرمة ومقدام الرجال تهابه الوقعات

حاثا اياهم على الصبر عند الشدائد لان ذلك مما يحمد ، وحثهم ايضا على الاقدام
لان الجريء المقدام يخشاه عدوه ، وترهب ملاقاته في ساحات القتال ، وكل هذا
مما جاء في شعر الاقدمين ، كذلك لما اراد وصف قوتهم او امتداح ثباتهم قال في
نفس القصيدة :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماة

وهذا الوصف او هذه الصفات التي يخلعها عليهم مما تعاوره شعراء العرب الاقدمون
وهو يفعل ذلك بالطريقة التقريرية ولا يغوص في المعنى ليجعل له ظلالا او يولد
منه معاني أخرى ، ومثل هذا كثير ، لا في شعر محمد عيسى البنا وحده بل في
شعرهم كلهم ، فابراهيم شريف الدولابي مدح الخلفاء في القصيدة التي رثي بها
المهدي بقوله :

هو ذاك عبد الله نجمل محمد	وسع الورى بالحلم والتدبير
وخليفة الفاروق نجم ثاقب	بضياته يجلو ظلام الزور
وخليفة الكرار سيف منتضى	بالحق يقطع هام كل كفور

فالمعاني الواردة ههنا هي ايضا مما شاع في شعر شعراء العصور المتقدمة ، وفيها
ايضا مبالغة بعضهم ، فالخليفة عبد الله في اول الابيات يأخذ شيئا من صفات الله

سبحانه وتعالى ، وليست هذه المبالغة بغريبة على شعراء المهديّة فقد بلغوا بالمهديّ نفسه درجة التقديس ، من ذلك قول البنا في تأنيته :

يا سيّدا وسع الانام بحلمه واستمطرتهم بالهدي بركات

وقد تلوّنت معاني شعر المهديّة بلون ثقافة شعرائها وكانت اسلامية عربية ، ففراهم احيانا يأخذون من القرآن الكريم كقول الحسين بن الزهراء :

وله الاشارة من «ألست بربكم» (١) طوعا له وليس مع العلماء

وهو يعنى بهذا ان فكرة المهديّة قديمة ازلية — من يوم (اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) (٢) كما يبدو اثر القرآن واضحا جليا في أبيات محمد عمر البنا الآتية :

والعمر في الدنيا له اجل متى يقضى فليس تزيده خشيات (٣)
ان الجهاد فضيلة مرضية شهدت بمحكم اجرها الآيات

وفي قوله من نفس القصيدة :

الفخر كل الفخر بيع النفس لله العلى واجرها الجنات

وقوله :

والحور تنتظر اللقاء فرحا بهم وتزينت لقدمهم جنات

وقوله :

فأثرون نفع الموت في عرصاتهم واغرّن صبحا اذ علت اصوات

وفي قوله :

وزجرت للبكرات دامية الخطا قد مسها نحو الحبيب لغوب

ونراهم كذلك يذكرون الرحيل وتقويض الحيام في بعض قصائدهم ، كما يذكرون لعب ايدي النوى وطى الفلا — كمثل قول الشيخ عمر الازهرى في احدى قصائده التى يمدح فيها النبى :

٢٠١ يشير إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف

٢ — شعراء السودان ٢٧٥-٢٧٨

عجبا لربيع باللسوى لعبت به ايدي النوى ففتقرت سكاته
نادوا الرحيل وقوضوا لحيامهم والصبح قد صدع الدجى سرحانه
يا ظاعنا يطوى الفلا رفقا فان الركب ضل من السرى وحدانه

وكل تلك المعاني مما ورد في الشعر العربي القديم ، ونلاحظ كذلك ان بعض شعراء المهديّة اخذ من الحديث الشريف لبعض قصائده كالشيخ ابي القاسم احمد هاشم في احدى مدحاته حيث قال :

ان يرد الوصل منها ليزيل حرارات الجفا في كل حين
مثلما الجنة حفت بالمكاره لكن بها حور وعسرين

كما انه كان للفقه اثر واضح في شعر بعضهم ، كقول الشيخ عبد الغنى السلاوي في قصيدته التي مدح بها المهدي :

هلا رأيتم موجبات الصديق فيما يدعى أو ليس فيه خفاء

ومنه ايضا قول الشاعر الشيخ الحسين بن الزهراء :

اجملت فيها لا أرى اجماله حقا ولكن للامور مضاء
ومواضع التفصيل دوني شأوها لعبت بها من دوني الاهواء

ومن الحديث قول الشيخ عمر الازهرى :

ومن جنده في الحرب ريح الصبا مع الملائك غير الهاشمي قل القصصا
وقد صح ان المصطفى قال في غد ستفتح حقا ثم صدقه المولى
واذا عدنا إلى قصيدة البنا التائية وانعمنا النظر في بعض آياتها نجد انه تأثر ببائية ابي تمام في فتح عمورية :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يقول البنا :

السيف اصدق ناصح في حقهم والفتك فيه حسنة أساة

ويقول ابو تمام :

فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض في اثوابها القشب

ويقول البنا :

فتحت لكم فتحا مبينا واضحا سرت به الارضون والسموات

ويقول ابو تمام :

سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا او منظر عجب

ويقول البنا :

فنكاية الاعداء احلى من عنا ق خريدة لعبت بها نشوات

وقد تعرضوا لبعض الافكار الصوفية لكنهم مسا رفيقا ، ولم يقصروها على قصائد بعينها ولذلك وجدناها في مدح المهدي ، وها هو ذا الشيخ الحسين بن الزهراء يذكر « الفيض الالهي » في ابيات من احدي قصائده في مدح المهدي - يقول :

بنفسى فتى بالشمس رآد الضحى ازرى	ونورا يفوق النور من كان والبدرا
تبدي لنا من ذيل آفاق غيبه	إلى ان تراءى في العلا بيننا جهرا
وما كان ذاك الغيب من فرط صوته	لذلك السنا من قلبه يظهر السرا
ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا	جدير باعطاء المنى العبد والحر
وهيهات كتم الغيب اشراق ضبوئه	واسفار وحى في الدجى يشرح الصدر
ولما تبدى لى وفاض شعاعه	تذكرت من نور الهداية لى ذكرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر
وارقب من فيض الرحيم مراحما	ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا

ويقول الشاعر فى نفس هذه القصيدة معبرا عن تغلقه بالانتقال إلى « العالم العلوى » :

اظل بذات الضال فى جرع رامة	اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا
ارى مغرب الاغيار اعم ظلمة	فهيهات هيهات انتقالى ولا بدرا
اراقب نور الشمس من كوة الحمى	طوال الليالى علتى ان ارى الفجرا
اردد فى تلك الطلول على الربا	تردد ذى حاج ليدركها شهرا
وان هى لم تفتح مغلق بابها	عكفت بذاك الباب اطلبيها عشرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر

ووجدناها ايضا فى مثل هذا الابتغال الذى نظمه محمد بن الطاهر المجذوب

متضرعا مظهرا ضعفه ازاء قوة ممدوحه :

نور بدا من قبل نشأة آدم	منه الوجود جميعه متخلق (١)
فأبو الحقيقة احمد ان رمته	وابو المجاز آدم قد حققوا
سبق الوجود جميعه فى الفضل بل	فى الحشر ايضا قد يسود ويسبق
وهو المنير اذا القيامة اظلمت	وهو الشفيع اذا الرؤوس تطرق
وهو الشجاع اذا العدا قد اقبلت	وهو الجواد اذا الورى ينضيق
يا سيدى انى مدحتك قاصدا	من فيض جاهلك اننى قد اعتق

وهناك ما يدل على تأثيرهم بفلسفة الاقدمين كاشارة الشيخ الحسين بن الزهراء إلى ما قاله ابن سينا عن النفس ، وذلك قى همزيتة الشهيرة بقوله :

عاش ابن سينا جهده اوصافها	بشفائه فاذا هى العنقاء
دقت ورقته وارتقت فى سكرة	بلمنى شفاء دونه الضهباء
كيف التوصل والقوى نبت السرى	اذ مسها من ضعفها الاعياء
فتنزلت حاجاتها فى سوح من	بحمولهم تنزل الضعفاء
وتركتها وكفى لقائى مرة	اذ لايسدوم مع الزمان لقاء
تلك التى جهد الزمان لوصلها	وله بذلك غلوة ومساء
حتى بالطاف المهيم مكنى	اغراضه منها يد ييضاه

وسواء اكان مراد الشاعر من ابيائه هذى ان «يربط ما قاله ابن سينا بفكرة المهدية» (٢) أو «ان يقول ان النفس كانت حائرة ضالة عزّ فهمها على ابن سينا وغيره من الفلاسفة . وانها ما تزال تجاهد والقوى المادية تحول بينها وبين غاياتها الروحية السامية حتى لطف الله فوصلها بالمهدى فبلغها ما تريد» (٣) فان الابيات تشهد لنا باثر الاقدمين وثقافتهم فى معاني شعراء المهدية ، وغير هذه الابيات كثير مما يثبت هذا ، ومما يدل على انهم اغترفوا من تلك البحار الزاخرة ، الا اننا نقول ان معانيهم مع انها قديمة ، فانها ليست «معاني مستعملة قد فقدت لمعانيها» لاننا نجد فيها ما كان

١ - تاريخ الثقافة العربية - عابدين ١٩٥

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بوى ٢٨٢

٣ - الشعر السوداني فى المعارك السياسية مم على ١٨٢

عليه اولئك الشعراء من علم ، ومن حماس لا فكارهم وغيره على دينهم ، واحيانا يدل بعض تلك المعاني على ما كان يخالج الانفس كبعض قصائد الشيخ الحسين بن الزهراء بايائها الغامضة ، وبعض ابيات البنا في الثانية التي عبر بها عن استيائه مما في الخرطوم ، وعلى ايه حال فاننا نرى بل نعتقد ان القارئ المتخصص أو المثقف لا يمل قراءتها لانها وان كانت متأثرة القديم الا انها لا تخلو من لمحات تكشف عن الشعراء وعن البيئة السودانية في ذلك العهد وتدل على خلق اصيل في اهل السودان الا وهو التعلق بالتراث والاعتزاز به ، ومنها نعرف ان البيئة السودانية بصفة عامة كانت بيئة متدينة ، للتصوف فيها سلطان قوى ، وقد وضع اثر الدين والتصوف في الشعر لان الشعراء كانوا من رجال الدين ، بل كانوا فقهاء ، اساس ثقافتهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، وقد اضافوا إلى ذلك ما درسوه من الفقه وفروع الدراسات الدينية الاخرى . وقف هؤلاء الشعراء بجانب المهدي يؤيدون دعوته ويدللون على صحة مهاديته في قصائد المدح وقصائد الرثاء والوصف وبما ان هذه الدعوة دينية وصاحبها زاهد متقى ورع فقد زاد هذا من الاثر المديني في معاني اولئك الشعراء كما رأينا في الامثلة المتقدمة . وقد صيغ هذا التأييد المعاني أو القصائد بصفة عامة مدحاً كانت أو رثاء أو غير ذلك بالصيغة السياسية لانهم كانوا يذمون خصوم المهدي ويعيرون على الترك أساليب حكمهم ، كقول الحسين بن الزهراء :

والله دمر من طغى واباده حتى تولى قتله الضعفاء

وكقول الشيخ محمد عمر البنا :

ورهيتم الخلع الكفور بسيفكم	والدين تصلح شأنه الرهبات
.....
فانهض إلى الخرطوم أن بسوجه	اهل الغواية والمفاسد باتوا
بطروا وراءوا ثم صدوا معشر	في الله لم تعرف لهم رغبات
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا	والله اكبر والسيوف عسادة

وكما كان للمهدي شعراء يواجهون خصومه كذلك كان للحكومة شعراء واجهوا المهدي بالهجاء والتكذيب ، ويكفي من ذلك ما جاء في قصيدة الشيخ

لقد جاءني في عام « زع » لموضع على جبل السلطان في شاطئ البحر (١) والعجيب ان هذه القصيدة التي نظمت للتقليل من شأن المهدي وتكذيب دعوته بايعاز من الحكومة حوت وصفا مفصلا لمظالم الاتراك التي رفض الناس من أجلها حكمهم ، وهذا هو الوصف :

وما أبت السودان حكم حكومة
فكالثالث والثلاثين للمير وحده
بضرب شديد ثم كتف مؤلم
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم
إلى ان أتى ضعف المطالب من مصر
والشيخ والنظار اضعافه فادر
ومن بعده اللقاء في الشمس والحر
واشنع من ذا كله عمل الهـ

ان ما قلناه عن معاني شعر المهدي يمكن ان يحدد ولو بصفة عامة نوع اخيلة ذلك الشعر ، فالمعاني كما بينا قديمة أو سائرة في نهج القديم فالشجاعة تقرر دائما وابدا بالاسد ، والثبات يمثل في كثير من الحالات بالجبال الشماء ، والفصاحة والبيان يقاسان بمقياس اهل العصور الماضية ، وثقافة العصر وعلمه يشدان شاعر المهدي اليهما شدا ويحكمان وثاقه فلا يستطيع ان ينطلق ويجوس في رحاب البيئة السودانية ليبتكر أو يحدد تلك المعاني القديمة التي يتعلق بها ويشغف باصحابها . فهل يمكن مع هذا ان تكون اخيلة شعراء المهدي من النوع المجدد ، انهم لم تكن كذلك ، كان الخيال في شعر كل منهم خيالا مقلدا ، ولم يكن الخيال ليتسع أو يعمق ليصور لنا بعض التجارب الشخصية ، فحياة شاعر كالشيخ الحسين بن الزهراء الذي نشأ في إحدى قرى ارض الجزيرة ببلد الزراعة والاختصار ويجرى النيل الأزرق العاتي لم تبرز لنا ، بل لم يلح لنا من بعيد شيء عنها . اننا نعلم ان هذا الشاعر هاجر إلى مصر وعاش فيها فترة من الزمن ، لكن شعره لم يسجل أى حدث من الاحداث ، مع ان الرحلة في ذلك الزمن وبذلك الوسائل رحلة شاقة لان الطريق طويل ، ومثيرة لتعدد البقاع أو الاماكن التي يجتازها المسافر . ثم اقامته في مصر مغربا عن أهله ، ومصر بما فيها تكون مجتمعا فريدا اذا قيس بالبلدان التي عرفها الشاعر أو رآها او عاش فيها ، لقد اكتنف تلك الإقامة جو اجتماعي خاص كما

أنها تمت في جو طبيعي مختلف عن جو موطن الشاعر ، الا ان ذلك كله لم يترك أثرا ولو سيرا فيما وصل اليها من شعر الشيخ الحسن . ألم يلفت نظر الشاعر أو لم يثر اهتمامه اى شيء من كل الذى ذكرنا ، ألم يقع له اى حادث طريف ؟ وشاعر مثل الشيخ محمد عمر البنا ولد في مدينة رفاعة الواقعة على ضفة النيل الازرق الشرقية وهي مدينة زراعية تحيط بها اراض خصبة شاسعة يملكها الاهلون ويشغلون بزراعتها بعد هطول الامطار في فصل الصيف ، وموسم الزراعة المطرية فترة محبة لسكان تلك المدينة لان الحركة تنتشر في مجتمع المدينة ، الباعة يحضرون البذور الجيدة والحدادون يحضرون آلات الحفر والجرف والتنظيف والنساء والحدم في داخل المنازل يعدون اواني المياه والطعام ، والرجال يجندون العمال الزراعيين من اولادهم واقاربهم وأهلهم أو من الاجراء ويشرفون على تزويدهم بالآلات ونقلهم إلى مناطق الزراعة واعادتهم . وهكذا تفيض رفاعة حركة وحيوية إلى ان تحيط بها الخضرة - خضرة سيقان الذرة ثم يأتي الحصاد لينشغل الناس أكثر وأكثر ، ولقد ظلت هذه المدينة هكذا منذ فجر تاريخها ، تعنى بالزراعة المطرية وتحتفل بها كما تعنى بزراعة الشواطى بعد ان يغمرها نهر النيل في زمن الفيضان وينحسر عنها . هذه البيئة الزراعية هي مسقط رأس الشاعر محمد عمر البنا لكننا نبحث عنها في شعره فلا نجدها ، ولا نجد تجربة من تجاربه أو تجارب غيره فيما بين ايدينا من شعر . سافر الشاعر أيضا إلى مصر واقام هناك لكن شعره لم يرو لنا عن رحلته إلى مصر أو عن اقامته أو علاقاته الاجتماعية فيها .

ان كل الذى ذكرنا حافل بالصور الحية ، ويمكن ان يكون كله أو بعضه مثيرا للخيال ، محركا للشاعرية ، كما يمكن أو يحوى كله أو بعضه كثيرا من التجارب الشخصية والاحداث العامة او الفردية ، لكن خيال هذين الشاعرين لم يكن من النوع الذى يمتد او يغوص ليتكبر ، لم يكن كما قلنا من قبل من النوع المجدد بل كان مقلدا . وما قلناه عن هذين الشاعرين يصدق على شعراء المهديّة الآخرين ، فكل منهم عاش في بيئة ذات سمات اجتماعية وطبيعية خاصة ، وكل منهم خاض تجارب شخصية وشهد حدثا فرديا واحداثا جماعية معينة لكنهم لم يتركوا لنا صورةا لشيء من ذلك في شعرهم ومهما يك من شيء فاننا نجد من الصور

الشعرية عامة قدرا يسيرا يشمل في قول الحسين بن الزهراء حين اعلن في مطلع
همزته عن الابتهاج بظهور المهدي حث قال :

والشمس في اوج العلا من مغرب	بهرت عليها هية وبهاء
والبدر قابلهما فسم كماله	وتقادت بعقودها الجوزاء
ودرار افلاك العلا درات على	اقطابها فزهت بها العلياء
وتكاملت في كل مجد ابجد	لما استقام زمانها الاشياء
ما ان ترى الا جميلا زاهرا	بهرت في حلل اليها زهراء

وهذه الصور كلها مفردة اعتمد الشاعر في تركيبها على الاستعارة وبعضها غامض
لا يتضح للقارىء وان تمهل وانعم النظر ، وفي قوله من نفس القصيدة :

وسموا خراطيم الشقا بمحوازم	بيض بكت آثارها بيضاء (١)
نوح الحمام (٢) تنوح غير موسد	بعد الوساد وعينها وساء
تنشاق بعد عبير عنبر مسكها	رمم الانام وذا التراب وطاء
وبنات آرام ترامت من ذرى	اوج العلا ما عندهن غطاء

نرى في هذه الابيات الاربعة صورا مفردة قوامها الاستعارة ، وفي بعضها ايضا
غموض يضيق به القارىء أو يحار فيه ، ونجد كذلك شيئا من هذه الصور المفردة التي
تعتمد على الاستعارة والتشبيه في تائية محمد عمر البنا ، وذلك كقوله : (٣) (٤)

والخيل ترقص بالكماء كأنها	تختال في ميدانها فتبيات
فأثرن نقع الموت في عرصاتهم	وأغرن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رغفت دما وجلالوها الهامات
والأرض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات

ومن الصور المفردة التي تقوم على الاستعارة قول البنا في بائته التي مدح
بها عثمان دقنة :

والدين اصبح ضاحكا في ثغرهم والشرك حل بربعه التخريب

١ - شعراء السودان ١١ - ١٢

٢ - لعله يريد « فواح »

يعتث لهم همم الجهاد ملابس
فلطالما عين الشريعة اسهرت
النصر العزيز يزيده التصويب
ذلا وذرف دمعها المصبوب
.....
يتفجر العرفان من اسراره
للرائدين ومن اليه يسؤوب

ومنها ايضا ماجاء في مرثية الشيخ ابراهيم شريف الدولابي :

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا
وتفيض بالحدود الكثير يمينه
سور الرضى اعظم به من سور
ابدا بلا من ولا تكدير
واذا توارت في الثرى شمس المهدي
فهناك بدر هدى عظيم النور

احيانا نجد في شعر المهديّة صورا مفردة قوامها التشبيّة ، ويتمثل هذا في قول الشيخ
ابراهيم شريف الدولابي في مرثيته :

طلق المحيا خاشعا متواضعا
كهف الفقير وجابر المكسور

وخليفة الفاروق نجم ناقسب
وخليفة الكرار سيف منتضى
بضياته يحلو ظلام الزور
بالحق يقطع هام كل كفوز

ويتمثل ايضا في احدي قصائد الشيخ عمر الازهرى التي مدح بها النبي صلى الله
عليه وسلم ، حيث قال :

بحر الصفا ذاك المصطفى من مصاص شية الحمد غدا جثمانه

وكذلك في قصيدة أخرى من قصائده :

اذا ضل عقلي في ظلام شعوره
وحبي له لم يخف في الكون امره
هداني محيا منه مصباح راغب
كعجب العلا مصباح افق الجوائب

ونجد امثلة أخرى للصور المفردة القائمة على التشبيه في شعر الشيخ محمد عمر البنا
ومن ذلك :

متواصل الاحزان ألجأ للبكاء
أن توزلوا كانوا الليوث معاركا
سهر الجفون كائنني يعقوب
او غولبوا فعدوهم مغلوب

ما ضرب عثمان الفرير اخا التقى من بعدما اسداه قط عصب

وكقوله ايضا في احدى مدحاته :

كان ضياء انجمه علينا اياى الشهم عثمان الجواد

ومن الامثلة ايضا قول الشيخ الحسين بن الزهراء :

عماد الهدى اس الجدى معدم العدا بدا واليه الناس فى الارض نجع
ملك اساطين الخلافة كفوها المعد لها الحصن الحصين المجمع

ادرت سراج الفكر فى افق خاطرى فلم الق من فيه الكمال مجمع

وفى احدى قصائد محمد الطاهر المجذوب نجد امثلة للصور المفردة التى رستمها
الشاعر بالتشبيه ، قال :

يا ظلما صيدنا بها صيد الغصنفر للثعالب
جيشا يرون سلاحه كالرعد اذ ما المزن صائب

بالمشرفى كأنه وقع الصواعق فى المضارب

ونشر فى ارجائها كالليث اذ نشب المذالب

فتجاذبتهم خيلنا ترمى بهم رمى الثواقسب

ان الامثلة على هذا الذى ذكرنا من الصور المفردة التى تعتمد على الاستعارة والتشبيه
كثيرة فى شعر المهدي لا تكاد تخلو منها قصيدة لاسيما صور الاستعارة ، لكننا على
اية حال نرى ان شعراء المهديه خطوا بالشعر العربى الفصيح خطوات فاق بها ما قبل
فى العهدين السابقين — عهد القويج والعهد التركى ، فاذا انعمنا النظر فى معاني
محمد عمر البنا والحسين بن الزهراء ومحمد الطاهر المجذوب . و « قسناها بما نظم »
فى ذيلك العهدين فاننا نجد « فيها ما » ^{ما محمد صديقه راجع} « (١) » ، ومصادق ذلك نجده فيمل

قاله البنا عن مغارك الانصار وجهادهم في تائيته ، وما قاله الحسين عن « النفس »
 والمهدية في همزيتها . وفيما تكشف عنه بائية محمد الطاهر المجذوب (هندوب
 تعرف صبرنا) من اعتداد وحماس واعتزاز ، كما اننا نحس شيئا من حرارة
 العاطفة في بعض مرثي المهدي ، ولا نجد تلك الحرارة أو نحس شيئا مثلها في مرثي
 دينكم العهدين . الا ان هؤلاء الشعراء ، مع انهم خطوا بالشعر خطوات فاق بها
 ما نظمه الشعراء الذين سبقوهم ، قصروا في حق مجتبعهم اذ لم تحظ بيئاتهم الخاصة
 أو العامة بتسجيل شيء من ظواهرها أو حوادثها في شعرهم ، ولم تجد الصلات
 الشخصية أو العلاقات الانسانية مجالا فيما نظموا من شعر ، لذا تحلا شعرهم من
 « ملامح الشعب هذه الملامح الحقيقية التي كان يجب ان تتضح وتظهر (١) » ولم
 الميزان يتعدى ذلك الشعر لآلآم وآمال المجتمع السوداني .

ان شعراء المهدية جميعهم عنوا باوزان قصائدهم عناية فائقة فيما يبدو اذ
 جاءت تلك القصائد في مجموعها سليمة الوزن مطابقة للقواعد العروضية المعروفة
 كما جاءت سليمة القافية . ولحرصهم الشديد على صحة الوزن والقافية اضطر بعضهم
 احيانا إلى الحشو لاقامة الوزن كقول الشيخ الحسين ابن الزهراء :
 اظل بذات الضال في جرع رامة أصلى بذات الضال لي الظهرو العصورا

فليس هنالك ما يدعو للجار والمجور « لي » لان الفعل « أصلى » يتعدى مباشرة
 فيقال « أصلى بذات الضال الظهر والعصرا » والمعنى يستقيم تماما ، الا ان الوزن
 لا يستقيم بغير الجار والمجور ولذا اضطر الشاعر لاقحامه ولعل مرد ذلك إلى سلطان
 اللغة العامية السودانية ، اذ كثيرا ما نستعمل في حديثنا الجار والمجور « لي » بعد
 الفعل المسند المتكلم أو المخاطب . في شعر محمد بن الطاهر المجذوب شيء قريب
 من هذا فهو يعدى الفعل بحرف الجر والمعنى لا يقتضى حرف الجر لانه يستقيم بغيره
 غير ان الوزن يضطر الشاعر للاثيان باللام وذلك في قوله :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكسبنا للمضاعب

يا طالما صدنا بهذا صيد الغضنفر للثعالب

نَحْيِي ... دِينُ اللَّهِ بَلْ فِي شَأْنِهِ نَلْقَى الْمُصَاعِبَ

حيث استعمل لام الجر بعد متعدٍ ثلاث مرات. اذ قال « اتركبنا للمصاعب » والفعل هنا يتعدى مباشرة فيقال « اتركبنا المصاعب » ، وقال ايضا « صيد الغنصفر الثعالب » والمصدر ههنا يتعدى كفعله فيقال « صاد الغنصفر الثعالب » او في حالة استعمال استعمال المصدر « صيد الغنصفر الثعالب » ، كذلك الفعل « نحى » اذ يقال « نحى دين الله » دون حاجة إلى لام الجر لكن الشاعر يعرف ان الوزن سيختل اذا عدى الفعل مباشرة لذلك جاء باللام بعده ليسلم له الوزن كما سلم له في البيتين السابقين ، وقد فعل مثل هذا عمر الازهرى في قوله :

نادوا الزحيل وقوضوا لحيامهم والصبح قد صدع الدجى سرحانه

فعدى قوض « باللام » وقوله : و

واذا وعى لكتابه يلقي غدا معه كتاب منك فيه امانه

حيث عدى الفعل « وعى » باللام ، ولاستقامة الوزن لا بد من ضم الدال في « نادوا » مع أن الفعل معتل بالالف .

اننا نجد شيئا من ذلك في قصيدة عبد الغنى السلاوى الحمزية التي رفعها للمهدي — قال :

✓ الله أكبر لا ارتياب لديه والجاحدون له اذن اعداء

فجاء بالجار بعد انتم فاعل ينصب المفعول مباشرة كفعله ، فقال « الجاحدون له » بدلا عن « الجاحدوه » وقد اضطر لذلك لاقامة الوزن ، كما اقحم الشاعر الجار والمجرور « لى » في بيت من ابيات القصيدة نفسها حيث قال :

ان الزمان هو المحاول صرعتى ويدي لدفع اذاه لى شلاء

والمعنى لا يحتاج اليهما ، بل انه ليستقيم اذا قيل « ويدي لدفع اذاه شلاء » بالاستغناء عنهما تماما ، وهذا يعنى انهما حشو أو زيادة اريد بها اقامة الوزن ليس غير ، ولعل الشاعر كزميله الحسين ابن الزهراء لم يستطيع التخلص من سلطان اللغة العامية

السودانية التي يكثر فيها استعمال «لى» بمعنى «نيابة عنى» أو «من اجلى» بعد الفعل المسند إلى المخاطب ، ومهما يك من شىء فان هذا الاستعمال فى أية صورة من صورته ، أو ايه حالة من حالاته يكشف ضعفا فى النظم لكن النحاة استثنوا حالات تأتى فيها اللام بعد المتعدى كقوله تعالى : «الذين لربهم يرهبون» ويسمونها لام التقوية . ومن الوزن غير السليم قول عمر الازهرى :

وليس له وقت ولا آخر يرتجى ولا أول حتى تظن الهوى سهلا

ان الشيخ الحسين بن الزهراء - رغما عن علمه ومقدرته - وقع فى خطأ ، نحوى ظاهر لا يغتفر مثله ولا يفسر الا بحرص الشاعر على قافيته ، وقد جاء هذا الخطأ فى قوله :

وهبى وجاد على الانام بما ترى من غيثة الهامى عميم سماء

حيث تقضى قواعد النحو بان تكون كلمة «سماء» مجرورة بالاضافة بالكسرة الظاهرة ونحن نعلم ان قافية هذه القصيدة مضمومة :

برح الخفا ما الحق فيه خفاء وتوالت الآيات والانباء(١)

ولذلك اضطر الشاعر إلى ان يرفع المجرور كما يضطر القارىء ، ليستقيم القافية والا كان اقواء

من الاخطاء النحوية ايضا ما وجدناه فى احدى قصائد الشاعر محمد عمر البنا حيث قال فى البائية :

قد سلمته يد النوائب فأنثت جذلانة بوداده وتطيسب

اذ ربط الجملة الحالية (تطيب) وهى مبدؤة بمضارع مثبت . ربطها بالواو وهذا يخالف قواعد النحو ، اما «جذلانة» فعلها تصح فى لغة بعضهم غير أن القياس «جذلى» وفى قوله منها :

4 لا شك ان الله اكرم ذا الفتى واقامه للدين نعم رقيب

يرفع مخصوص نعم «رقيب» وهو اسم نكرة ، وقواعد النحو تقضى بان يحىء منصوبا فى هذه الحالة فنقول «رقيبا» ولم نحل قصائد الشيخ عمر الازهرى من

بعض الأخطاء النحوية فزراه يقول في أحداها :

وبعد ذا مسألته حكمة وكذا علما وسرا خفيا كان رباني (١)

رافعا « رباني » ومن حقها ان تكون منصوبة خبرا لكان ، ولا يمكن ان نزن ان الشاعر اعتبر كان في هذا التركيب تامة ، يقول الشاعر نفسه في قصيدة أخرى :

والظبية اشتكت الوثاق فحلها واتى البعير له يحرج جرائه

ولام معبد آية رحلت بها من كل حي يا فتى فتیانه (٢)

والقصيدة التي أخذنا منها هذين البيتين مضمومة القافية ، لكن « جرائه » مفعول به منصوب بالفتحة ، ولا يمكن ان تكون مرفوعة الا اذا تعسفنا وبنينا الفعل قبلها للمجهول ، اما « فتیانه » فهي مجرورة بالاضافة ، ولا نسبيل إلى ضم آخرها الا اذا اقوينا . وفي قصيدة الشيخ عبد الغنى السلاوي نجد هذا الخطأ النحوي في البيت :

آياته نسجت بحكم ناسج ولواؤه بالنصر نعم لعواء (٣)

حيث جاء بمخصوص نعم مرفوعا وهو نكرة :

في بعض قصائد المهديّة اخطاء لغوية منها ما نجده في قصيدة عبد الغنى السلاوي سابقة الذكر فقد جمع « كافر » على كفراء في البيت :

ما هديه غير الكسباب وسنة والتاركون لذلک هم كفراء

واستعمل في القصيدة نفسها كلمة « اعواء » ، ولنا نعرف من هذه الاما لا عوى - يعوى - عواء ، والبيت الذي وردت فيه هذه الكلمة هو :

بل مقصدي نظر بعين رضائه عني وان لي في الهواء اعواء

والبيت مع هذا مكسور مما يحملنا على الاعتقاد بأن خطأ مطبعيا قد وقع فيه ، وانه يجب ان يقرأ هكذا :

عني وان لي في الهواء عواء

ليستقيم الوزن ويزول الخطأ اللغوي :

١ - شعراء السودان ٢٥٦

٢ - شعراء السودان ٢٥٤

٣ - فثات البراع ٨١ .

من أخطاء اللغة أيضاً اللجوء إلى الالتفات العامة كما فعل الشيخ الحسين بن الزهراء عندما قال في رائيته :

وعانيت فيه كل صعب وساهل فما شرحت تلك المعاناة لي صديقاً

فكلمة « ساهل » أي وزن فاعل من « سهل » كلمة لا تعرفها اللغة الفصحى ، إنما هي عامة ليس غير ، ورودها في شعر فصيح خطأ لغوي لا شك فيه ، وربما يكون من الخطأ اللغوي أيضاً استعمال كلمات لا يتضح المراد منها وتتعدى معرفتها مثل ذلك كلمة « امات » في قول محمد عمر البنا في التائية الشهيرة :

قوموا لهم وتأهبوا للقائم ولتقصدهم في الديار أمات

ومثله أيضاً الفعل « اردد » في بيت من إحدى قصائد الحسين ابن الزهراء وهو :

اردد في تلك الطلول على الربني تردد ذي حاج ليدر كنها شهرا

ان سياق المعنى واللفظ يقتضي ان يكون الفعل « اتردد » لكن كيف اباح الشاعر لنفسه ان يحذف التاء ولا يوجد ههنا ما يبيح هذا الحذف وعليه فيكون هذا الذي وقع فيه الشاعر خطأ لغوياً لان سياق المعنى واللفظ لا يقبل غير « اتردد » اما اردد أو اردد فلا تفسدان الوزن ولكنهما لا تنسجمان مع المعنى العام إلى حد ما .

هناك ظاهرة أخرى اتسم بها شكل الشعر في المهدية ، وهي ظاهرة قصر الممدود . وهي وان كانت من الضرورات المباحة في الشعر إلا ان كثرتها لا تحمد ، وكثرة اللجوء إلى آية ضرورة من الضرورات تدل على الضعف ، وها هي ذي بعض امثلة . في شعر الشيخ الحسين نجد قصر الممدود في الحمزية :

برح الحفا ما الحق فيه خفاء

فغداها يختال في حلال البها

رسم ترقرق بالسناء فله الهنا

وسموا خراطيم الشقا

على القلوب ذوى الذكا

اهل الولاية والصفاء الامراء

انعم بامر كان من جد القضا

وسمت له رثب الولاء على السما
 يضل بها الحرير عن ساحة الزهرا
 واسمعت خطوط الليالي ذا الندى لبني الغبرا
 من الدل يا بن العز يعزى إلى زهرا

أما الشاعر محمد عمر البنا فقد جاء في شعره من قصر الممدود :

شهدت به يوم اللقا الغارات
 والخور تنتظر اللقا فرحا بهم
 وتعمرت بشناكم الايات

.....
 متواصل الاحزان الجأ للبكا
 ويردني من حالة العقلا إلى

والشيخ عبد الغنى السلاوى قصر في المواضع الآتية :

وسمت به فوق السما علياء (١)
 لآعين النظرا له اضواء

وقد كان مد القصور قليلا جدا ، ولم نجد له الا مثالين فقط واحد في شعر الحسين
 ابن الزهراء وفي المهرية على وجه التحديد وهو :
 ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء

والآخر في قصيدة عبد الغنى السلاوى وهو :
 مهدي الورى من فاض عنه هداء

ومما اتسم به شعر المهدي الزخرف اللفظي - أى المحسنات البديعية ، فالشيخ الحسين
 ابن الزهراء استعمل الجناس بنوعيه الناقص والتام ، وجاء منه في همزيته :
 ولها عليه من المثناء سناء
 رسم ترقرق بالسنا قلنا الهنا

طارحتها تحف الكلام فتوعت تحف الملام وهاجها ادلاء

واذا نسيمات الصبا دغت الصبا

دقت ورقته وارتقت في سكره

تخط خط النار تعرف خط من

هم كالنجوم يهذى وفي الحدودى ندى

ما حاتم ما بالهم لم يسمعوا

ما ان ترى الا جميلا زاهرا بهرته في حلال البها زهراء

وقد جاء منه في الدالية ايضا :

يزهى به الانشاء والانشاد

بخطوبه تخطو بهسا الاساد

وعيونها مغضوذة بعيونها

يوما ولا يوما يراد سهاد

وفي العينية :

ومال وآمال وخير منوع

لحسن واحسان له اتضرع

شقاقي ولم يجمع شبتائي مجمع

قصور وحور والحبور ونعمة

وما لذ في عيني وقلبي وقالبى

انادى فلم يذهب نديا في لذهب

وفي الرائية :

افى الحشر بعد النشرا انت منازل

خذلوا من من التبريح ذاب مفارقا

نهاية اعقال العقول معاقل

سالم يخل شعر الشيخ الحسين من المجسبات المعنوية فقد رأيناها يطابق في الهمزية ويقول :

يعطى ويمنع من يرى ويشاء

فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم رام بهم ولهم بذلك سبحانه

من يحفظ التنزيل من يدري الذي فيه ومن لم يدرك ذلك سواء

ويرى القبيح بداية ونهاية

وطورا شدة ورخاء

ويطابق ايضا في الرائية فيقول :

ايادي عرف لا يرى بعدها نكرا

من الذل يابن العز يعزى إلى زهرا

وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى

احيانا يعيل الشيخ الحسين إلى تكرار بعض الفاظ بعينها ، كما تتكرر بعض الحروف في ابيات متفرقة من قصائده ، وهو بهذا التكرار إشباع في قصائده تلك الموسيقى (١) اللفظية التي تقوم على تكرار اللفظة . فمن تكراره الالفاظ قوله في الحمزية :

والداء داء . والدواء دواء

والارض ارض والسماء سماء

ويرد اشكال الامور اشكالها

علماء امة احمد ناشدتكم ردوا جوابي انكم علماء

ارضى وترضون الفضال بعدما ظهر الهدى وانجاب عنه قنداء

أكون دون الدون من بين الورى-

انا عبد استعبد بدمتى

هم والذى برأ الورى هم لاسوى

خفض عليك فليخطوب ترسل

وفي الدالية :

نزلوا بحرجاء الحمى من حاجر فبست لهم من حاجر ازواد

ما بعد طيف خيال ظل خيالها

فأخبر بنفسك خلل اخبار الورى

انقى انقى ما عليه سواد

وفي العينية :

ام البرق في شطر العقيق ولعلع فهاجبك يا هذا العقيق ولعلع

وكل بطل ذي هموم موجه

وفي الرائية :

ونورا يفوق النور من كان والبدر

اصلى بظل الضال لي الظهر والعصر	اظل بذات الضال في جدرع رامة
فهيها هيهات انتقالي ولا بدرا
رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر	وامكث ان لم ألق من جانب الحمى
لنا بعد ذاك السير من اجد خبرا	سبرنا بها بحر المعاني فلم نجد
.....	ألا ليت ذاك السير ما كان حاصلا
من الامر لا ترفع بامر ترى امرا	فعش هكذا ما هكذا غير ماتري
فما رمت امرا قط لي يسر الامرا	وسيرت نهج السير مع كل شاحب
.....	ودوني ودون الملتقى كل شاقق

ومن تكراره الحروف قوله في الايات الآتية من دالته حيث ترد الجيم في البيت الاول اربع مرات والدال خمس مرات ، وفي البيت الثاني ترد الجيم ثلاث مرات وفي الاخير مرتين :

وجنود مهدي النوري اجماد	الامر جد والخطوب جسداد
فهدت لهم من حاجر ازواد	نزأوا بجرعاء الحمى من حاجر
فكأنها بنشيدنا اعود	مهج تققع في شتات جسومها

كما تكررت القاف خمس مرات في البيت :

اقضى المقالة فيه حق كله انقى تقى ما عليه سواد

وثلاث مرات في البيت :

الحق جاء وللمناكر قاتل وعلى القبال من المقال مزاد

وفي عينيته تكررت الكاف ثلاث مرات في شطر من بيت :

كذا فليكن من شاء اعلى مكانته

وفي الرائية كرر الضاد ثلاث مرات في شطر من بيت ايضا :

ولكن فيض الفضل من تفتح الرضا

أما الشيخ عمر الأزهري فقد حفلت قصائده التي وقفنا عليها بالجناس ،
ولعله أكثرهم استعمالا لهذا الضرب من التحسين اللفظي . ومن ذلك قوله :

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم أشجاني
فان اثار بطرف العين هم حملوا او البنان فقد بانوا عن البنان

هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
وبعد ذا قيل اموا بالخرع ثم ولا علم ولا علم عن حبه ثم ثاني
فصرت أحير من ضب واذهل من صب عدمت الذي في الحب يا حاني

مستفتيا جئت فتيانا فنتت بهم فما فتى فات بي عنهن افتتاني
وحسن ظني بسكان العذيب فمد وردت ماء العذيب العذب اظماني

وكم اظلت وقوفي بالمضارب وكم سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
غاضت فغاضت جميع القاصي والداني
وهو الذي جازت الخوزا مراتبه

غدا القصور قصارى كل انسان

ومنه ايضا ما جاء في قصيدة أخرى من قصائده :

عجبا لربع باللاوى لعبت به ايدى النوى ففترقت سـكـانه
..... الا وحيد تحده هـتانه

..... افتى فستاك بذلك او شيطانه

لولا ما كان الوجود ولم يكن ملك ولا ملك ولا اعوانه
ونجسا نجى الطور موسى باسم
.....

..... قد ساسه في فرسه ناساته

وقصاري قبصر انه قد قصرت

ومجي سراقه لاسراق السم

نخضعت لعزته الطغاة فاصبحوا لم يغن كلا منهم طغيانه

كما جاء في قصيدة ثالثة قدر غير يسير من الجناس في الابيات :

فؤاد عن التبريح والوجد ما كلا علام يقول العاذلون له كلا

عيوني عيوني والدموع مدايعي

فقالوا الخدي او هي من الوهم يافتى

محمد المحمود في الارض سيرة

فمن لم يجب بالنار يصلي وان صلى

حمته حمامات الحمى بمغارة وحاك تحاكيها العناكب جانقلا

وناهيك شق البدر حتى رآه من بمكة او من كان بالحل قد جلا

..... وقد زاد طغيانا ابو مجهل جهلا

نظير نصير في الشقاء قريظة ويا بدر بدرا ما رأوا مثلها مثلا

بخفي حنين باء جيش حنين

..... ليوم الفصل صل سبي وصل

ولم تخل من المجانسة تلك القصيدة التي نظمها الشيخ عمر وحاز بها جائزة مجلة الجوائب فقد بدأها بقوله :

سلوا عن فؤادي مسيلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
وجانس في ابيات أخرى منها حيث قال :

أما وعيون العين لأشياء في الدنيا

هذا وقد طابق الشيخ عمر مرات قليلة في أبيات متفرقة نذكر منها :

غاضت فغاضت جميع القاصي والداني

فان شئت عزاً لا يزال مجسداً لدى أهل هذا الفن مت ذلاً

ان الشعراء الآخرين ، وهم الشيخ محمد عمر البنا ومحمد الطاهر المجذوب و ابراهيم شريف الدولابي واسماعيل عبد القادر المفتي الكردياني وعبد الغني السلاوي لم يلجأوا إلى التحسين اللفظي الا في القليل النادر ، ولعلمهم لم يلجأوا اليه بل جاء وليد الطبع أو الفطرة البسيطة ، ولذا جاء قليلاً نادراً ، وجاء بسيطاً في نفس الوقت تقبله النفس ولا ينفر منه الذوق لانه فيما نرى ينسجم في التركيب اللفظي العام ويقوى المعنى وها هي ذى بعض امثلة نختارها من شعرهم ونبدأ بابراهيم شريف الدولابي في مراثيه وابياتها تسعة وثلاثون . فنجد فيها اربع مجانسات ، قال :

اسف على المهدي من مهد الصبا قد كان معصوماً عن المحظور

فتح الفتوح ودمر الكفار في كل البلاد بجيشه المنصور

ومن اهتدى بهداه اصبح ذا خلا سور الرضا اعظم به من سور

فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا الحشا بلبل وسعير

فالمجانسة في البيت الاول بين « المهدي ومهد » ، وفي الثاني بين « فتح والفتوح » . وفي الثالث بين « اهتدى وهداه » ثم في الأخير بين « حشا والحشا » بسيطة في التركيب لا نجد منها حروفاً ثقيلة النطق ، ولا نحس مشقة أو افتعلاً في الضياغة كما ان كل واحدة منها تكاد تكون ضرورية لتقوية المعنى الذي يريد الشاعر التعبير عنه . ثم ننقل إلى اسماعيل عبد القادر المفتي الكردياني إلى قصيدته التي وصف فيها قبة المهدي ورثاء بها أيضاً . ان أبيات هذه القصيدة تبلغ الثلاثين . ولم يجانس الشاعر الا في بيتين منها وهما :

بهدي الذي قد قام فينا مقامه خليفته هادي الوري قانع العدا
امام اجل الله في الكون قدره وتوجه تاج القلوب وايدا

وهنا ايضا لا نجد ما نأخذه على هذه المجانسات من حيث الكم او الكيف ، بل
اننا نرى انها تزيد المعنى وضوحا وتؤكد كده . اما اذا انتقلنا إلى محمد الطاهر المجذوب
فاننا نجده يجانس في بعض ابيات مرثيته وهي من سبعة عشر بيتا فيقول :

دهتنا دواه يضرم القلب نايها ويوقد في الاحشاء نارا منايها
غداة نعي الناعون مهدينا الذي به ملة الاسلام جلي مصايها
امام الهدى المهدي افضل من دعا إلى الله مفتاح النجاة وبايها

انه يجانس مرتين في البيت الاول - دهتنا ، دواه ، ونايها ، منايها ، ومرة واحدة
في الثاني - نعي ، الناعون وكذلك في الثالث حيث يجانس بين الهدى والمهدي ،
كما ان قصيدته الحماسية - « هندوب تعرف صبرنا » وهي من عشرين بيتا .
تجوى جناسا في بيتين فقط ، وهما :

يا طالما صدنا بها صيد الغضنفر للثعالب
فتجادبتهم خيلنا نرمي بهم رمي الثواقب

حيث جانس « صدنا وصيد » في البيت الاول ، و « نرمي ورمي » في الثاني ،
وهذه المجانسات جميعها وان كثرت في بعض الايات ونعني بذلك بيت المرثية
الاول :

دهتنا دواه يضرب القلب نايها ويوقد في الاحشاء نارا منايها
الا انها - فيما نرى - بعيدة عن التكلف والافتعال مكملة للمعنى ، ومجال الرثاء
والفخر يحسن فيه المعاني القوية الكاملة ، وكلما كان المعنى قويا كاملا امتلك نفس
القارئ او السامع امتلاكا .

نجد في قصيدة عبد الغنى السلاوي التي يبلغ طولها اثنين وثلاثين بيتا ، جناسا
في اربعة ابيات هي :

معصومة عما يحرم كأسها فاشربه ثم ادر هناك هنياء

ان كنت من انصار مهدينا لنا مهدي الوري من فاض عنه هذا

فالمجد فيه مؤثّل والفضل منه مؤمل والناس فيه سواء

امسيت فيه حليف ود لا ارو م به بديلا ان بدلت بسدلاء

فقد جانس بين « هناك وهناء » ثم « مهدي ومهدي » و « مؤثّل ومؤمل » واخيرا بين « بديل » « بدت وبدلاء » غير ان مجانسة البيت الاول « هناك . هناء » لا تجدى المعنى شيئا ، ومجانسة البيت الاخير — بديل ، بدت ، بدلاء — متكلفة ولا تضيف إلى مراد الشاعر ما يوضحه أو يزينه .

بقي شاعر واحد من هذه المجموعة التي نتحدث عن الجناس في شعرها وهو محمد عمر البنا ، وقد وجدنا في شعره الذي حفظته لنا المراجع قدرا يسيرا من الجناس في ابيات قليلة وهي :

وتخالهم يوم الجلال ضراغما اسد واسل رماحهم غنايات

ولقد فنتت وما ظفرت وربما فتن المشوق وفاته المطلوب

فسوفهم مبلولة ورماحهم مسنونة وعبدوهم مرعوب

واقاد ثغر سواكن امنا واماينا ويمنا ليس فيه عزوب

نلاحظ في هذه الابيات ان البنا لم يخرج في مجانساته عما اتسمت به مجانسات مجموعته من حيث القلة والبساطة وتقوية المعنى وخير دليل على ما نقول مجانسة البيت الاخير (أمن — ايمان — يمن) فلما نجد في وضع الحروف أو الكلمات ما يعتبر تنافرا أو ما يسبب عسرا أو صعوبة في النطق بل ان اختلاف الحركات وحركة الحرف الاول في كل منها من الفتح إلى الكسر إلى الضم ثم إلى سكون بعد كل من هذه الحركات يشيع في التركيب شيئا من الموسيقى ، والفرق بين كل كلمة والاخرى في المدلول يوضح مراد الشاعر ويؤكد كده .

ابقي بعض شعراء المهديّة على شيء من تقاليد النظم التي كانت سائدة في العصر التركي ومن امثلة ذلك ما التزمه الشيخ الحسين بن الزهراء من اختتام معظم قصائده التي وقفنا عليها بالصلاة على النبي كما كرر الشطر الاول من المطلع في

واحدة منها وهي الهمزية ، وها هو ذا ختامها :

وعلى النبي وآله صلى الذي وصل انصلا فطائما العظماء
وكذلك سلم ذو العلاما انشدت برح الخفا ما الحق فيه خفاء

كما زاد في احداها - وهي الدالية - الصلاة على المهدي حيث قال :

وعلى النبي محمد خير الوري جعل الصلاة كذا السلام يزاد
ولآله والقائم المهدي ما فتحت باسياف الرشاد بسلا

والصلاة على المهدي امر جديد استحدثه بعض شعراء المهديّة ، وقد ختم به هذا
الشاعر - الحسين بن الزهراء - قصيدة أخرى من قصائده قائلا :

عليه صلاة دون كيف وعدة واسنى سلام مائلا لا يلمع

وصلى ابراهيم شريف الدولابي في ختام مراثيته المهدي على ضريح المهدي قائلا :

صلى الاله على ضريح ضمه ازكى صلاة في المسا وبكور

كذلك التزم الشيخ عمر الازهرى اختتام قصائده بالصلاة على النبي كما كان يدعو
قبل الصلاة لنفسه واهله وغيرهم ويذكر اسمه ، ومن امثلة ذلك قوله :

الازهرى بن عبد الله ذا عمر	الصاردي فعامله باحسان
فاشفع له في غدا يا ابن العواتك	واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
واشمل بفضلك اهلي والبنين مع	الزوجات ثم ذوى القربى واخوالي
صلى عليك الالهى يا ابن مدركة	والآل والصحب ما كر الجديدان
يارب واختم بخير في الممات لنا	والمسلمين كذا واختم بايمان

وقوله في قصيدة أخرى :

الازهرى الصاردي عمر الذي	زانت بمدحك في الوري اوزانه
يرجو النجاة بفضل جاء محمد	مما جناه قلبه وليسانيه
صلى عليك الله يا نور المهدي	والآل ما برقي اضلا لمعانه
وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا	ل يوم معركة فهم شجعانه
والتابعين وتابعيهم كلما	قد سح قطر أو اتي ابائنه
واختم بخير ربنا لعمومنا	واغفر لنا ما يرجي غفرانه

وقوله في قصيدة ثالثة :

وصلى عليك الله يا خير خلقه ويا رحمة عمت صيبا كذا كهلا
وآلک والأصحاب والتابعين في طريق الهدى والتابعين لهم فعلا
صلاة بها ترضى عن الأزهرى فتى الصوارد في الأخرى وترضى العلا الأعلى

هذا وقد بدأ قصائده هذى - وهى مدحات نبوية - بالغزل اما محمد عمر البنا فلم
يختم ما وصل البنا من قصائده بالصلاة على النبى ، بل ختم الثأية بالدعاء للمهدى
ولنفسه وذكر اسمه قبل الختام فقال :

قد قلتها وانا الفقير محمد ارجو الاقالة ان بدت عثرات
ان لم اكن سلمان بيتكم الذى سبرت خطاه بحبكم مرضاة
فانا الذى خسرت تجارتي التى ابغى واسوأ حال الحشرات
حاشا جنابكم المبرأ ان ارى ضيما ولى فى حبكم سكرات
دمى ودام ثنائكم متابعيا ما هب ربح النصر والنسمات

كما ذكر اسمه فى ختام البائية التى امتدح بها عثمان ولم يدع ولم يصل ، قال :

جاءت تخبر عن غرام محمد فيكم وتشهد ان ذاك عجيب

وقد لاحظنا ان البنا بدأ بعضا من قصائده التى وقفنا عليها بابيات من الغزل فقال
فى مطلع مدحة رفعها للامير الزاكي :

ابدا يورقنى عير شذاك ويزيدنى قلقا دوام جفالك
ويردنى من حالة العقلا إلى حال الخيال تذلى واباك
ويزيدنى طربا وحسن مسرة برق تألق من ضياء سسناك
.....

وثانية ، وهى ايضا مدحة . بدأها بقوله :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد وخملوني اميل إلى الوساد
ألا يا حادى عيسهم رويدا سلمت من الملمات العوادي
ويا دار الاحبة خبريني سقتك هوامع السحب الغوادي

كما لاحظنا ان محمد الطاهر المجذوب اختتم مراثيته المهدى بتعزية الخلفاء وآل المهدى

وفى البيتين الأخيرين من الخاتمة دعاء ثم حبي الضريح وها هي ذى آيات الختام :

عزاء إلى الصديق نائبه الذى	به الملة الغراء شد انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه	لدى نعم الدنيا الغرور اجتنابها
عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذى	لديه يهاب الباترات ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام أولى التقى	ليذهب عن هذى القلوب اكتسابها
الأم ابلغوا عنا ضريح أبي الهدى	تحايا إلى الله الكريم انتسابها

والشاعر اسماعيل عبد القادر المفتى الكردفاني انتهى قصيدته التى وصف بها قبة المهدي مخاطباً من يأتي لزيارة القبر وفى البيت الأخير أرخ للقبه ، وها هو ذا قوله :

فيا زائراً تلك البنية لائذا	بقبر حوى الفضل الجسيم المؤبدا
توسل بشري المصطفى متأدبا	لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضعا وارج القبول مؤر	خا بقبة مهدي الانام ترى هدى

بعد هذا يمكننا القول بان شعراء المهدي لم يلتزموا نهجا واحدا فى بدء قصائدهم اذ كان بعضهم يبدأ بالغزل احيانا و احيانا أخرى يبدأ بالحكمة كالشاعر محمد عمر البنا ، كما كان بعضهم يدخل فى الموضوع مباشرة دون تقديم فى بعض القصائد كالحسين بن الزهراء ، وكان بعض آخر يلتزم البدء بالغزل كعمر الازهرى فى ما وصل اليه من شعره ، كما كان فيهم من بدأ بمقدمة خيرية وهو عبد الغنى السلاوى اذ قال :

راق الصبوح ورقى الصنهباء	مد كان فيها للليل شفاء
ريّة نبوية ملكية	مهديّة روحية وسما
شمسية قمرية ما فض	عنها ختمها فى دنيا ورقاء

كذلك لم يتبع أولئك الشعراء نهجا معينا فى اختتام قصائدهم ، فعمر الازهرى التزم الختام بالصلاة على النبى ، وقد سبق صلاته أو يلحقها أو يتخللها دعاء لشخصه واسرته أو دعاء لعامة الناس ، وكان يفعل ذلك فى قصائده التى مدح بها النبى ، اما اذا مدح فردا عاديا فانه يدعو لذلك الممدوح كما فى قصيدته التى مدح بها أحمد فارس الشدياق ، وكان يلتزم ذكر اسمه فى آيات الخاتمة . ومحمد عمر البنا لم

يحرص في قصائده على ختام معين بل كان أحياناً يدعو لممدوحه أو يدعو لنفسه
ويذكر اسمه وأحياناً لا يفعل شيئاً من ذلك ، وقد كان من هؤلاء الشعراء من
يختتم بالصلاة على النبي وعلى المهدي فيكرر الشطر الأول من المطلع كالحسين بن
الزهراء ، كما كان منهم من يختتم بالصلاة على ضريح المهدي ، أو من يضمن
بيت الختام كلمات توافق أرقامها الأبجدية تاريخ تأليف القصيدة ، وكان منهم
كذلك من يتخير خاتمة تناسب موضوع القصيدة لمحمد بن الطاهر المجذوب لما
عزى خلفاء المهدي وأهله في الأبيات التي اختتم بها مراثية المهدي .

يجوز لنا أن نقول الآن بعد كل هذا الذي لاحظناه من عدم التزام شعراء
المهدية نهجاً واحداً معيناً محددًا في بدء قصائدهم وفي ختامها ، وما تبين لنا كذلك
من التزام ذكر الاسم وعدم التزامه ، وما تبين من غير ذلك يجوز لنا أن نقول أن
الشعر السوداني القصيحي بدأ يتخلص في عهد المهديّة من بعض تقاليد النظم التي
ورثها من العهود السابقة .

الفصل الثالث شعراء الحكم الثنائي

الحكم الثنائي قدم للموقف عنصرا جديدا غير اسلامي :

انجلبت معركة كرري التي دارت رحاها في الثاني من سبتمبر سنة ١٨٩٨ عن اندحار جيش الانصار في وجه القوات الغازية المتفوقة اعدادا وعددا . بعد هذا الاندحار التجأ الخليفة عبد الله ، « رأس الدولة السودانية إلى بعض المناطق الغربية النائية وتبعته ثلة من جنود الغزاة فقضت عليه ، وانفتح الطريق امام اللورد كتشير وجنوده إلى داخل البلاد ، إلى مدينة ام درمان حاضرة حكومة المهديّة » ، الحكومة الوطنية التي اسسها سودانيون مسلمون وساروا بها سنين عددا ، ومنها إلى مدينة الخرطوم عاصمة دولة الترك العثمانيين التي اقامها لهم خديوي مصر فبقيت طاغية مستبدة تحكم الاراضي السودانية باسم خليفة المسلمين السلطان العثماني قرابة سبعين عاما . بقيت هكذا إلى ان قضى عليها الثوار السودانيون بقيادة محمد احمد المهدي . وما ان تم للقوات الغازية النصر العسكري في كل المعارك حتى عمد كتشير واقطاب السياسة البريطانية الى تثبيت دعائم الحكم الجديد باعلان نوعه وابراز مظاهره . تأكيد ذلك في كل فرصة سانحة ، فعقب الانتصار « كان من اللازم لكتشير الخرطوم وتأدية فروض الذكرى لغردون فعقدت صلاة على انقراض السراي واقامت حفلة بسيطة رفع بعدها العلمان المصري والانجليزي على السراي » . « وبعثت تلغرافاتها من كرومر » (١) . ان رفع العلمين اعلان لسيادة بريطانيا ومصر ولاشترأكما في حكم البلاد ، وقد اكّد ذلك اللورد كرومر عندما خاطب الاعيان والزعماء في ام درمان وقال : « ترون امام اعينكم الآن تينك العلمين يرفرفان من اعلى هذا المنزل وفي ذلك دلالة واضحة على انكم ستكونون تحت جلالة ملكة الجائرا وخديوي مصر في المستقبل » (٢) . اما الصلاة على غردون وقد اقامها القائد المنتصر والحاكم الجديد فلها دالتان :

١ - السودان في قرن ، مكي شيككة ، ٢٨٩

٢ - المرجع نفسه ٢٩٩

اولاهما : ان غردون الجندى الانجليزى المسيحى المتعبد الذى كان فى خدمة
تديوى مصر قد اعتبر شهيدا ، وهذا الاعتبار يعنى - فى رأى من
اقاموا الصلاة ورؤسائهم - انه مات مظلوما فى سبيل هدف معين
أو غرض ارادت قوة ما تحقيقه ، وهذا الاعتبار يعنى ايضا استنكارا
لقتله وادانة لمن قتلوه ولمن قتل باسمهم أو فى سبيل نصرتهم ، ومن
قتلوه ثوار سودانيون ، اتباع امام له دعوة معينة يرمى من ورأيها
إلى اعلاء كلمة الدين . هؤلاء الثوار حملوا السلاح بقيادة امامهم
تأييدا للدعوة وتأكيذا لعزمهم على اعلاء كلمة الدين . ان القتل من
رعايا دولة اوربية كبرى ، ولا شك ان هذه الدولة شغلت بما لحق
كرامتها من امتهان لان القتلة سودانيون مسلمون .

ثانيهما : ان لهذا الحكم الجديد سمات مسيحية ، وهذه السمات مظاهر تختلف
عما افه الاهلون من حكامهم فى العهدين السابقين - عهد المهديّة
وعهد الخنكم التركى ، مظاهر لا تتفق مع ما ربوا عليه وغرس فى
نفوسهم وتناقلوه جيلا عن جيل .

بعد الانتصار والقضاء على ما تبقى من جنود المهديّة وانصارها ، وبعد رفع
العلمين اتفقت مصر وبريطانيا على تأسيس الحكم الجديد وادارته وحررت وثيقة
بذلك سميت « اتفاقية سنة ١٨٩٩ » و « مقدمة الاتفاقية تبين بوضوح ان إنجلترا لها
ان تشارك فى ادارة السودان بحق الفتح . وان السيادة تتركز فى إنجلترا ومصر ،
على ذلك فالسيادة التركية قد ازيلت قانونيا بعدما ازيلت فى الواقع بواسطة الثورة
المهديّة (١) » وبذلك زادت الشقة بين السودان ومصدر السلطة الروحية بعداء ، ولم يعد
لنفوذ الخلافة الاسلامية بهما كان قدره وكيفما كان تصوره مجال فى هذه البقاع
التي عرفت السلطان الزمنى مشوبا بالنفوذ الروحى امدا طويلا من الزمن - فى ملك
الفونج وقد عرف عن مملكتهم انها « كانت ذات مسحة اسلامية وظاهرة دينية
على وجه عام والا لما كانت تتمتع بهذا العدد الوغير من الرجال الدينين . والا لما كان
لهؤلاء العلماء والصالحين هذه الخطوة عند سلاطين الفونج حتى ان الواحد منهم
ليتوسط فى الامر الخطير ويتوسل به فى الحادث الجلل فيترل السلطان على رغبته

ويجيبه إلى طلبته مما يدل على ان للدين في نفوس اولئك الملوك سلطانا قويا واثرا
 بينا «(١). كذلك عرفوه في حكومة الترك العثمانيين ورثة السلطة الروحية ، وملكهم
 خليفة المسلمين ، عرفوه في عهد الحكام الاتراك ، رغما عن ان بعض اولئك
 الحكام كانوا قساة يظلمون الناس ويستهيون بهم ، وكانوا فجرة لا يتورعون عن
 ارتكاب الحرام مما انتهى بحكمهم إلى الزوال بقيام ثورة المهدي . مسع شيوع
 الظلم ، ومع ضيق الاهلين وحقنهم ، كان الدعاء لخليفة المسلمين - سلطان تركيا -
 يتردد في المساجد ليثبت الصلة بين الراعي - خليفة المسلمين ورعيته في هذي البقاع
 وليذكر بها حتى تبقى حية في نفوس الرعايا . من بعد هاتين الدولتين جاءت المهديّة
 باسم الدين وحاولت اصلاح ما أخذته على الترك فبعثت الروح الاسلامية . واثارت
 الغيرة الدينية . كان ذلك في شيء من التشدد والعسف الا انه احكم رباط السلطان
 الزماني بالروحي فظلمت الصلة وثيقة محكمة على أن المجتمع السوداني في تلك
 الآونة وقبلها كان مجتمعا متدينا - آمن بالغيبيات وتعلق بالعلماء والفقهاء وذلك
 لانتشار الخلوى والطرق الصوفية مما أدى إلى تغلغل الثقافة الاسلامية في ذاك المجتمع
 مع كل هذا وقف كرومر وقال في احدي خطبه التي درج على القاءها كلماء جاء
 إلى السودان ، قال : « . . . ان وقت السماح للمرسلين بالتبشير بين مسلمي السودان
 لم يزل بعيدا ، ولكن المساعي التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية
 تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة » (٢) . بهذه القولة اعلن كرومر ان
 حكومة السودان الجديدة ومن خلفها بريطانيا تريد حركة التبشير في جنوب السودان
 وانهما تعطفان عليها عطفًا عظيمًا ، وان ذلك العطف سيرجم إلى عون مادي
 وأدبي ، وقد بدأ الادبي بهذا الكلام الذي القاه على مسامع علماء السودان وعمده
 ومشايخه واعيانهم ، وتمثل المادي في الاموال التي اخذت حكومة السودان ترصدها
 للتبشير والمبشرين وتقدمها هبات سخية مقتطعة من اموال مسلمي السودان وهم
 الكثرة الغالبة . ان في هذه القولة تلميحا واضحا ببدء التبشير بين مسلمي السودان
 عندما يحين الوقت ومعنى هذا ان بريطانيا لم تكن لتكتفي بتأييد الدعوة للمسيحية بين
 القبائل الوثنية في الجنوب تأييدا ادبيا وماديا ، بل انها تنوي بدء التبشير في بقية

١ - النهضة السودانية مجلد ١ عدد ٢٠

٢ - الشعر الحديث في السودان ، عبده بدوي ، ٣٦١ (عن نعوم شقير) .

اجزاء السودان الاخرى التي يقطنها مسلمون ، ولا يمنعها من تحقيق النية الا الزمن
إما اذ حان الوقت وواتت الفرصة فانها ستبيحه وتقدم له عونها عن طريق ممثلها
في حكومة السودان .

ان الحكم الجديد كفل حرية العبادة والاعتقاد للناس . فقد « أكد كتشنر
ترك الناس احرارا فيما يعبدون ويعتقدون ، وامر بتشجيع اشادة المساجد العامة في
المدن » وتطرق كرومر إلى اعلان تلك الحرية وتأكيدها في احدى خطبه قائلا :
« ترون ان العهد الذي عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم
الدينية قد روعي كل المراعاة .. » (١) . الا ان الوفاق الذي تم بين مصر وبريطانيا
وتضمنته تلك الوثيقة المشهورة (اتفاقية يناير ١٨٩٩) لم يشر بالتصريح ولا بالتلميح
إلى حرية العبادة والاعتقاد ، ولم يرد فيه شيء يشبه تأكيد كتشنر أو عهد كرومر
الذي ذكر الاهلين به في خطابه ، كذلك لم يرد فيه ما يمنع التبشير أو يبيحه ، ان
« الاتفاقة الثنائية لم تنص على أي قيد » (٢) لهذا اصبحت الادارة الجديدة ، وقد سيطر
عليها ايداد بريطانية ، استقلال في تصريف شئون البلاد وجرية بل حق في انشاء
مؤسسات تمكنهم من الحكم ، وادخال الانظمة التي تعينهم على تسير الاداة الحكومية
وبسط نفوذهم في القطر — ان من اول ما فكروا في ادخاله التعليم المدني بفتح
مدارس تعد موظفين يؤدون اعمال الحكومة الثانوية ، وبهذا تكسب الدولة الجديدة
كسبا ماديا فالموظف الوطني لا يكلفها ما يكلفها الاجنبي من اموال ، وكسبا أدبيا
لانها بفتحها المدارس تلقى في روع الاهلين انها تسعى لنفعهم ، وتعمل على ترقية
مجتمعهم وتنقيته من كل شائبة . كان من « رأى اللورد كرومر انه لا بد من التعجيل
ببعض التعليم والتدريب للسودانيين وكان الهدف يرمى إلى غرضين :

١ — ربط التعليم بالخدمة المدنية بغية تزويد الجهاز الاداري بمستخدمين في الدرجات
الدنيا .

٢ — غرض سياسي المنحى والهدف وينتجه إلى اضعاف الأساس الديني الثقافي
واستبداله باتجاه علماني » (٣) .

١ — تاريخ السودان ، نعوم شقير ، بيروت ، ١٣٣٥

٢ — الحركة الفكرية ، محبوب ، ٢٠

٣ — تقرير لجنة الخدمة ، ٣٣

دخول التعليم المدني السودان ، وقامت مدارس وأخذت تتكاثر ، والتعليم من حيث هو ليس جديدا ولا غريبا على المجتمع السوداني فقد عرفه قبل مقدم الحكم الثنائي بسنين . عرفه في الخلاوى العديدة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها تعلم مبادئ الإسلام وتقرىء القرآن وتعنى بحفظه في الصدور وفوق هذا وذلك تعلم القراءة والكتابة والحساب . ان الخلاوى ، وهى مدارس فريدة فى نوعها ، نشأت وعاشت بجهود الاهلين . فالشيخ وهو الفقيه المدرس يبيتها فى ارضه أو بالقرب من مسكنه بعون تلاميذه وبعض سكان المنطقة ، وقد يشيد بجانبها غرفة أو غرفتين للتلاميذ الوافدين من جهات نائية . وان كان للشيخ الفقيه مال - ارضا كان أو بهائم - فانه يقفه على الخلوة ، وكثيرا ما يعيش الشيخ وتلاميذه على ما ياتيه من آباء التلاميذ وامهاتهم من خداء ، ويقوم هؤلاء التلاميذ بخدمة معلمهم الشيخ ، وتنظيف غرف الخلوة . اما أكثر ما كانوا يقومون به فهو جمع الخطب لابقاد النار التي يدرسون على ضوءها ليلا . ان الشيخ صاحب الخلوة ومنشئها ومديرها ومن يتولى التدريس فيها لا يتلقى اجرا من اخذ او هيئة ، ولا يكلف الآباء او الامهات بدفع اقدار من المال نظير تعليم ابنائهم ، انه يفعل كل ذلك طلبا للثواب من الله ، ورغبة فى اخراج ابناء المسلمين من ظلمات الجهل ، وطمعا فى نشر المعرفة الدينية بين الناشئين ليسبوا على طاعة الله ورسوله فيكونوا بذلك بارين بوالديهم وذوى قرباهم . لم يكن عون الخلاوى منحصر فى مجموعة الوالدين الذين ينشع ابناءؤهم منها بالتعليم فيها انما كان غيرهم من الاهلين يذلون للخلوة وشيوخها من مالهم الكثير . ومن هؤلاء عيون المجتمع وموسرو التجار وزعماء القبائل والسلاطين كلهم اصدقوا على الخلاوى وان لم يكن بين تلاميذها بنوهم ايمانا برسالتها وتقربا إلى الله عز وجل ، ورغبة فى منفعة المسلمين . بفضل ما قدم هؤلاء الشيوخ قامت الخلاوى واستمرت فى اداء رسالتها وظلت تفعل ذلك وهى امانة فى عنق المجتمع يرعاها وينفق عليها عن طواعية واختيار .

اولى الناس فى السودان الخلوة فى تلك الآونة عطفهم وعنايتهم ففيها يتعلم ابناءؤهم وبفضل ما يتلقون من تعليمها يكونون مسلمين تقاة ورعين ، منهم من يسلك سبيل استاذة فيستزید من المعرفة حتى يصير فقيها يشار اليه بالبنان ، ومنهم

من يكتفى بمعرفة ما يجب عليه كمسلم ثم يسلك سبيلا آخر ، وتؤدي به معرفته إلى النجاح فيما سلك . كذلك اولوا شيخها - الفقيه المعلم - احترامهم وثقتهم فقد كان يغسل موتاهم ويصلى على جنازتهم ويعقد زواج بناتهم وبنينهم . كما كان يسأل الله لكل منهم او لهم مجتمعين في اوقات الشدة - يدعوا الله لينزل عليهم الغيث ويرفع عنهم الادياء ويقيهم شرور الدنيا والآخرة ، وكان موضع الثقة يستشار فيشير بما يرضى الله ورسوله ، ومعين الطمأنينة يلجأ اليه الخائف أو المحزون فيجد عنده اى منهما ما يبدد المخاوف ويزيل الاحزان ، لكل هذا كان للخلوة في المجتمع السوداني سلطان ، وكان لكلمة الشيخ الفقيه وزن كبير بين الافراد والجماعات ، ولا شك ان انتشار الثقافة الاسلامية وتغلغلها في المجتمع السوداني ناتج عن نفوذ الخلاوى ومكانتها في ذلك المجتمع .

لما جاء الحكم الثنائي بنظامه التعليمي الجديد كان المجتمع السوداني على هذه الحالة التي وصفنا من سيطرة الخلوة وتمكن الثقافة الاسلامية . الا ان الحكم الثنائي لم يشأ ان يستغل ما وجد عليه البيئة السودانية من مستوى ثقافي في مدارس ، ولعله تعمد ذلك . انما اخذ يغري الناس ببذل العون المادي للتلاميذ عند التحاقهم بالمدرسة الجديدة وبادخالهم في وظائف الحكومة يجعل شهري بعد اكمال الدراسة وبهذا « بدأ التعليم الديني يذبل ، وتحلو المساجد والزوايا والتكايا من طلبتها .. بيد ان اختصار هذا الجانب التقليدي الهام في حياة السودانيين كان بطيئا^(١) وكان انتشار التعليم المدني بترديد المدارس الجديدة اقل منه بطئا فقد ظلت الحاجة إلى الموظفين متزايدة تبعا لاتساع اعمال الحكومة الجديدة عاما بعد عام ، لذلك ارتفعت اعداد السودانيين في تلك المدارس التي « غلبت عليها الثقافة الانجليزية وخاصة في القسم الثانوي والاقسام العليا ولم يكن من محيد عن انتشار آداب اللغة الانجليزية وآداب اللغات الاخرى المترجمة للانجليزية بين جمهرة المتعلمين من شبان هذه البلاد »^(٢) . وعلى هذا يمكننا القول بان معركة كررى لم تكن « هزيمة عسكرية لجيوش الانصار فقط ، بل كانت ايضا اندحار حضاريا لقيم الثقافة السودانية النابعة من الدين

١ - الشعر الحديث ، الشوش ، ٢٩

٢ - الحركة الفكرية - محبوب ، ٢٠ ..

والملتزمة بالمعتقدات الغيبية» (١).

صدي أحداث الثورة في نفوس الشعراء :

لم يرض السودانيون بالحكم الجديد ، ولم يتقبلوا ما جاءهم به الا تقبل المغلوب على امره ، بل ان هنالك بعض احداث تابعت لتدل على ان بعضهم رفضه وقاومه بالسلاح . وقعت تلك الاحداث بين عام ١٩٠٤ وعام ١٩٢١ ، نذكر منها :

١ - ثورة عبد القادر محمد أمام ود حيو به (٢)

٢ - ثورة عجبنا وثورة الفكى على فى جبال النوبة (٣)

٣ - تمرد على دينار مع انه استقل بحكم مديرية دارفور (٤).

لكنه لم يكن مطمئنا للانجليز ، بل اخذ يرسل الخليفة فى تركيا . ويصف الانجليز فى رسائله بالكفر والفسق ومعاداة الاسلام والمسلمين ، كما أخذ « يرسل محملا سنويا للحجاز شأن ملوك المسلمين » (٥).

قامت هذه الثورات ، والانجليز ماضون فى تعزيز موقفهم فى السودان فأخمدوها واستمروا فى تلك السياسة التى بدأوها فى نصوص اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، تلك السياسة الرامية إلى بسط سيطرتهم دون غيرهم واقصاء المصريين من مواضع السلطة ومناصب الحل والعقد ، فقصر ريجنالد ونجت الحاكم العام الذى خلف كتشير وظائف « المديرين والمفتشين على الانجليز » (٦) وكانت نتيجة هذه السياسة ان غضب فريق من المصريين ، وشن الحزب الوطنى المصرى حملة شعواء على الاتفاقية وعلى سياسة الانجليز فى السودان ، ومنهما يكن من شىء فقد كانت مصر بصفة عامة بركانا يغلى ويوشك ان ينفجر لاحتلال الانجليز ارضها ولغلبة نفوذهم فى سياستها الداخلية والخارجية ولتسلطهم على شئونها عن طريق حكام ضعفاء من بينها . فى عام ١٩١٩ انفجر بركان مصر ، وعنف الانجليز فى مقاومته ، وقابل المصريون عنفهم بالاستماتة فاستشهد منهم عدد وشتى بعضهم وسجن آخرون كان لهذه الاحداث جميعها صدى فى « السودان ارتفعت الاصوات داعية للجهاد.

١ - تقرير لجنة الخدمة ٣٢

٢ - إل ه السودان فى قرن ، مكى شبكة ص ٢٣١ : ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

٣ - الشعر الحديث فى السودان ، ع . بدوى ٣٥٥ ، ٣٥٦

هتافات ومظاهرات تحض على الثورة» (١) مع ان الحكومة احتاطت « فعملت من جانبها على عدم تسرب اخبار الثورة » (٢) . لم ينفع الحكومة احتياطها ، وكان السودان مهياً للتجاوب فقد حدث ما يقوم دليلاً على سحق اهله كما اوضحنا من قبل ، فكان ان تكونت من بعض بنيه جمعيتان - جمعية الاتحاد وهي منظمة سرية ، وجمعية اللواء الأبيض وكل منهما مناهضة للانجليز . اتخذ اعضاء هاتين الجمعيتين على عاتقهم اعباء المناهضة ، وطفقوا ينفذونها بطرق مختلفة منها القاء الشعراء منهم القصائد في المناسبات الدينية ، كما اشترك في هذا شعراء من غير الاعضاء ، ونظموا كلهم القصائد الطوال والقوها على مسامع جمهرة المواطنين في الأحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم او في عيد الهجرة . كانت تلك القصائد في الأغلب الاعم تبدأ باعلان الابتهاج ثم تأخذ في التغني بالمجد القديم والثناء لحالة الاسلام والمسلمين في ذلك الوقت ، واستنكار ما هم فيه من ضعف وما اصابهم من تسلط الغرباء ومن استكانة زعمائهم . نظم الشعراء قصائدهم تلك في حماس معتدل احياناً ، وفي حماس عنيف احياناً أخرى الا انهم لم يصرحوا بذكر مصر وثورتها في ما بين ايدينا من شعرهم وقد قيل ان « قصائد الاحتفالات العامة التي قيلت قبل ثورة ١٩٢٤ تعتمد بثورة غامضة ، وهي على غموضها سطحية غير واعية .. » (٣) وإن لنا ان نقف ههنا عند امور ثلاثة - (١) اعتماد القصائد بالثورة (٢) غموض هذه الثورة ثم (٣) سطحيته وقلة وعيها ونقول لماذا ظهرت الثورة في شعر هؤلاء الشعراء ثم جاءت غامضة سطحية غير واعية ؟ اما الامر الاول فطبيعي لان المواطن أو الشخص العادي لا يقبل التسلط والاذلال من بني وطنه وذوي قرياه فكيف يرضاه من أجنبي يدين بغير دينه ويترفع عليه ؟ ثم هو يسمع ان بعض من تربطهم به صلات قوية يعذبون ويقتلون ويسامون الخسف في عقر دارهم ، افلا يتحرك المواطن الشاعر المتعلم لهذا ؟ ان غموض الثورة أو وصفها بالغموض وصف غامض في ذاته فلستنا ندرى المراد منه أو معناه اذ يكفيها فيما نرى انها ظهرت في الشعر لكثيرين من ادباء اليوم ودارسى الادب وانها جذبت اليها اعداداً من المواطنين وإن ما قيل فيها من هذا الشعر اسر اولئك الذين استمعوا اليه فصفقوا للشعراء

١ و ٢ الشعر الحديث في السودان ع . بدوي ٣٨١ ، ٣٨٢

٣ - الشعر الحديث في السودان ، الشوش ٥٥

وتكبدوا ما تكبدوا في سبيل جمع تلك القصاصد واذاعتها . اما « السطحية وقلة الوعي » فمأخذان كبيران لا تستحقهما هذه الثورة التي ظهرت في الشعر لانها أفضت مضاجع الحكم الاجنبى ونشرت شيئا من الوعي الوطنى بين الاهلين وصارت بذلك معلما في طريق الكفاح ومصدر الهام للمناضلين . لقد فعلت ذلك والحكم الاجنبى في بداية عهده وهو معتد بقوته مزهو بانتصاره فاقبلته ايما اقلانق وايقظت الشعور الوطنى في كثرة من المواطنين ، ولو تحطت هذا الذى فعلته إلى سواء لامكنت سلطات الحكم الاجنبى من خنقها فقد كانت كما اوضحنا في اوج قدرتها وسطوتها وقد زادها قوة استمالة فريق من المواطنين إلى جانبها ، ولم يكن لثورة الشعر هذى سند قوى خارج القطر ، فكيف نتوقع منها ان تكون عميقة مدركة ترسم الخطط وتحدد المبادئ والمذاهب وتولد الافكار في تلك القصاصد وتدعو إلى تنظيم الفرق المقاتلة وتجنيد المجموعات المحاربة ؟ يبدو لنا ان صفة « السطحية وقلة الوعي » الصقت بها لانها لم : تفعل ذلك ، لكننا نرى انها لو فعلت لقصت على نواة الحركة الوطنية ، فلم تكن سلطات الحكم الثنائى لتسامح في عمل كهذا ولو قام لبادرت بسحقه والقضاء عليه قضاء تاما . وبذلك يتأخر الحركة الوطنية سنين عددا ، وتبعاً لذلك يتأخر ما تجنيه البلاد منها وهو ما قد جتته بالفعل .

لقد كانت الثورة التي « اعتملت في الشعر » رد فعل لما حدث في السودان ، كما كانت صدى لاحداث الثورة في مصر ، وها نحن اولاء نعرض نماذج من ذلك الشعر الذى عبر به ناظموه عن سخطهم على الحكم الاجنبى واستنكارهم أساليبه مستغلين المناسبات الدينية والدين نفسه . ان هذه القصاصد التي القوها « سلاح امتشقوه حين فقدوا اسلحتهم جميعا ، وهي بحال تبصرة واثارة وعى ناظر .. وقد كان معنى الدين هو معنى الوطن عندهم (١) . » لنبدأ هذه النماذج بقصيدة للشاعر عبد الرحمن شوقي في احتفال نادى الخريجين بعيد ميلاد النبي ، وفي ذلك النادى في ام درمان وقف الشاعر منشدا في يوم من ايام عام ١٩١٩ :

نديمي من سلاف الخمر هات وشفتني بذكرى الماضيات (٢)

١ - الشعر السوداني في المعارك السياسية ، م . م . على ٣١٢ - ٣١٣

٢ - ملامح من المبعج السوداني ، حسن نجيلة ، ٧١ عبد الرحمن شوقي مهتم من شاعر قوفى في يوليو سنة ١٩٦٠ .

أترضى إن أضام وانت حر وتسمح ان تلين لهم قناني
وها هو ذا أحمد محمد صالح يقول مخاطبا جمع الخريجين المحتفل بالعيد في ناديهـ :

عيد أغر محجل والناس في شكر الاله
والخير فيه اجزل مكبر ومهلل

في احتفال بمطلع العام الهجري عام ١٣٤١ هـ وقف الشاعر الشاب المسيحي صالح بطرس قائلا (٢) :

يا من رأى طوق الهلال وقد بدا يهدي لنا عاما اغر مشهرا
اكرم بطلعته وبهجة نبوره اذ بشرتنا ان سنحمد مخبرا

وفي خاتمة ليالى الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وقف الشاعر الشاب مذكر البوشي والقي على المجتمعين هذه القصيدة :

ذات بك عن ذات الحجاب الرواسم فقلبك مقسوم وقلبك قاسم (٣)
مدامع تزينها من البن مثلما همت من حصار المرسلات غمام

من هذه القصائد كذلك قصيدة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن (٤) ، قال :

لسحرت القلب مما تسجعين يا هتوف الدوح ، والسحر فنون
لاعداء مغناك منهل الحيا وتخطت عيون الراصدين

ومنها أيضا التونية المشهورة التي نظمها الشاعر الشيخ عبد الله محمد عمر البنا تحية للعام الهجري ، قال :

✓ يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين حدث فان حديثا منك يشفيني (٥)
حدث عن العصر الاولى لتضحكني فان اخبار هذا العصر تبكينني

في أبريل عام ١٩٢٢ جاء إلى السودان زائرا لورد النبي مندوب بريطانيا السامي

١ - ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ، ٦٨ . أحمد محمد صالح معلم شاعر لمج أسبه في

ميادين الأدب والسياسة ، توفى في مارس ١٩٧٣ .

٢ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٧٥

٣ - المصدر السابق ، ١١٣ .

٤ - من علماء المعلمين وشعرائهم ، توفى ١٩٦٤

٥ - شعراء السودان ، ١٧١ - ١٧٢ .

في مصر فاثارت زيارته الشعراء وجاءت نتيجة الاثارة قصائد من ثلاثة شعراء
توفيق صالح جبريل (١) ، حمزة الملك طمبل (٢) وعبد الله عمر محمد البنا . اما
توفيق فقد نظم ابياته وارسلها إلى مصر لتتشر في إحدى صحفها ، وها هي ذى :
يا أيها القوم لا تجروا الذيولا يأنف الحر ان يعيش ذليلا (٣)
بسمتمونا العذاب ، ضيقتم الا رضى علينا حتى هوينا الرحىلا
ان اردتم اصلاحنا ، قد فعلتم فاعذرونا اذا مللنا الدخىلا
ان جر الذبول للغواني ويكنى به عن الترف والدلال والاناقة ، لعل الشاعر اراد
أن يقول للقوم لا تتيهوا وتعاونوا !!
والشاعر الثاني حمزة الملك طمبل نظم سينية تذكرنا سينية البحري في وصف
ايوان كسرى ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس
وتذكرنا سينية أحمد شوقي التي نظمها في رحلته إلى الاندلس وقال فيها :
اختلاف النهار والليل ينسى اذكرنا لى الصبا وايام انس
وكل واحدة من هاتين السينيتين تصور انفعال شاعرهما عند وقفته امام بعض آثار
عظمة الانسان ، اما سينية حمزة الملك طمبل فمنها :

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس (٤)
واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت إلى دوائى وطرسى
وقال عبد الله محمد عمر البنا :

هى الاخبار آفتها السرواة وصيقلها الثبت والنبات (٥)
وفى الحسدان آلام ، ولكن لنا فى كل حادثة عظام

١ - توفي عام ١٩٦٦

٢ - توفي عام ١٩٦٠

٣ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٥ ،

٤ - ديوان الطبيعة ٥٢ ، ٥٣ ،

٥ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٠ - ٨٢ . عبد الله محمد عمر البنا من شعراء المعلمين

وعلمائهم ولد في مدينة رفاعة عام ١٨٩١ .

فى ليلة من تلك الليالى وقف الشاعر صالح عبد القادر محيا ذكرى ميلاد الرسول
صلى الله عليه وسلم قائلا :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق الدهر خان وحلت البأساء (١)
عظفا على الاسلام ان شعوبه اجتاحت وقد لعبت بها الاهواء
عاشت به ايدى الطغاة فبدلت ازياة فتجاهل العلماء

هؤلاء الشعراء كل منهم غير راض بواقع قومه ، سخط حزين لما آل اليه الحال
فى بلاده ، لذلك يفرغ كل منهم الى الماضى البعيد المجيد يصف روعته ويعدد
مآثره مشيدا برجاله ومدنه الشهيرة . يبنى بذلك استنهاض الهمم التى خارت والعزائم
التي وهت ، كما يبنى تعزية نفسه وادخال الامل الى نفوس اليائسين ، وكلهم
فى غضون ذلك يذمون الحاضر ذما لا يخلو من ألم وايلام ، ويمدحون النبى صلى الله
عليه وسلم مستغيثين به . سلك هؤلاء الشعراء فى التعبير عما خالج ضمائرهم ،
وما أحسوا من سخط وحزن سيئين مختلفتين - اولاهنا سبيل الاعتدال ، والذين
اتبعوها اكتفوا - بغد الاشادة بالماضى - بحث الشيب والشباب ومطالبة الحكومة
بالاصلاح . فالبنا مثلا يصيح فى قومه :

احببى ودعاء الحب مرحمة لا يحزنكم بالنصح تلقينى
ترضون بالدون والعلياء تقسم لا تدين يوما لراضى النفس بالدون

وفى الثانية يتخذ البنا سمت الحكماء فيتحدث حديث الناصح المجرب داعيا إلى
التثبت والثبات « واستخراج العظة مما يحدث رغما عن الآلام . ينتقل من بعد إلى
« تشخيص » ادواء المجتمع السودانى التى تفشت فى شبيه وشبابه فقعدت بهم عما
يرجى منهم . انه يقدم كل هذا فى اسلوب سليم واضح تزينه رقة الأب العطوف ،
وأكثر ما يشعر بهذه الرقة تساؤله :

فما لنفوسهم ذلت فظلت يلد لها من الحيز الفتات
وما للناهضين بها استراحوا وهم فى يوم ازمتها الحماسة

وانها لركة تحمل نقدا وتوبيخا اذ يعرف من يسمع هذه الايات مواضع الضعف التى
يعرضها ويحس توبيخا لانه يعرضها فى قالب الدهشة والخيرة يسؤال محكم الصياغة

كما يحبس التوبيخ لان الشاعر يعرض الداء وسببه ويتبع ذلك بعرض ما يرجى من
ابناء المجتمع السوداني ، ويمثل هذا في قوله :

وهم في يوم زيتتها رجاء وهم في يوم شمسيتها الكرامة

وهم في يوم ظلمتها بدور وهم في نحر حامسها الرماة

فكأنه يقول لهم انتم اهل لكل خير ، وانتم جديرون بكل مكرمة . هبوا واعملوا
لنفع امتكم ففيكم القدرة وبكم مناط الرجاء . يلتفت من بعد إلى لورد النبي مبتدئا
الترحيب به قائلا :

وجاء اللورد يرفل في ثياب تضم بها المنافع والشكاة

انه ترحيب وقور ، لا يحمل في عباراته بهجة ظاهرة ولا آمالا كبيرة مشرقة ،
ولا يبدو فيه ما ينم عن استنكار الزيارة أو الامتناع منها . انما يحاول الشاعر
ان يستغلها لمنفعة بني وطنه فيسطر للزائر بعض ما يحتاجون اليه فيقول له :

« انا نفوس للمعالى جائعات » . وفي مواضع أخرى من القصيدة يفصل حاجات
بني وطنه بعد هذا الاجمال ، ويتساءل عن قضائها كما تسأل عن تقصير مواطنيه
في ابيات سابقة من القصيدة بالاسلوب نفسه والروح ذاتها . لم يفت الشاعر مع
كل هذا ان يغمز لورد اللبني القائد المنتصر ، (اللبني انتزع فلسطين من الاتراك
ودخل القدس تأمها مزهوا ، بعد الانتصار اصبحت فلسطين تابعة لبريطانيا) بهذا
البيت بل بهذا السؤال :

فهل احزرت من عظة نصيبا وخير الواعظين بها رفات

يواصل الشاعر المطالبة بالاصلاح ، ويلجأ على البريطانيين في شخص اللورد الزائر ،
ومطالبته تتسم بالتعقل لانها تقوم على شيء من المنطق وتنأى عن الاستجداء
والاستخذاء وذلك لانه يعتقد انهم قادرون على الاصلاح ، كما يعتقد ان الاصلاح
يحفظ لهم جميلا عند بني وطنه ، ويتجلى هذا في قوله :

وعهدى ان ايديكم جميعا عوامل في الخواث ناصبات

وانك ان عطفت افضت فينا ايدى تستقل بها الهبات

يختم الينا قصيدته بانذار - لقد تحدث إلى مواطنيه مرشدا ناصحا مؤملا فيهم الخير

وتحدث إلى اللورد الزائر حديث الحكيم — حديثاً ملؤه الثقة بالنفس والرغبة في
 الصلاح والاصلاح ، وخطاب البريطانيين . في شخص اللورد خطاب المؤمن بحقه
 فلم يبق بعد كل هذا الا ان ينذرهم ويضرهم بمغبة الاهمال والتجاهل فقال :

وفينا اذ نسام الهون عزم منيع لاتصل له شبات
 وفينا فطنة كملت وطابت وفينا حين تبصرنا أناة

ومن سلكوا هذا السبيل الشاعر أحمد محمد صالح : وها هو ذا يقتصر على الدعاء
 في بعض قصائده التي اوردناها مع النماذج قائلا :

يا خير من عند الشدا ئد والنوائب يسأل
 اشمس بلطفك جمعنا يا رب في من تشمس
 وافض على نادى المدا رس صالحات تهطل
 واجعل بفضلك امله في نعمة لا ترحل

لقد احس الشاعر « الشدايد والنوائب » تحقق بقومه ، وجمعه — تلك الفئة التي
 اعتادت الالتقاء في نادى المدارس ودرجت على الاحتفال بالاعياد الدينية وانشاد
 الشعر واللقاء الخطب تذكراً للمواطنين وشحذاً لهم . ان نادى المدارس يستحق
 هذا الدعاء ، والشاعر يعرف مكانته واثره وقد احس « الشدايد والنوائب » كما
 اسلفنا ولذلك دعا له ، « لقد حقق الله دعاء الاستاذ أحمد فقد هطلت الصالحات
 على هذا الندى فقد انبعثت منه جميع الأعمال الصالحة لخير هذا البلد ، حتى تمت
 حريته (١) .. » وجاءت « النعمة التي لا ترحل » وهي الاستقلال وشملت الجميع
 ولم تقتصر على اهل النادى .

تبع أحمد محمد صالح وعبد الله محمد عمر البنا في هذا السبيل شاعر آخر
 هو حمزة الملك ظمبل . استقبل هذا الشاعر مقدم لورد للنبي بقصيدة اوردنا شيئاً
 منها ضمن النماذج ، وهي في رأينا لا تمثل ترحيباً بالزيارة ولا تحمل ابتهاجاً بها ،
 كما انها لا تحوى استنكاراً صريحاً أو رفضاً لتقدم اللورد القائد المنتصر . قال في
 مطلعها :

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس
واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت الى دوائى وطرسى
اننا نحس فى هذا المطلع اعجابا وتقديرا يعلنهما الشاعر ، ونلاحظ انه اخذ اول
بيتة من نشينة البحرى ، من بيته :

وارانى بعد اكلف بالاختيار من كل صنع وأس

لكننا نحس ايضا شيئا من الاشمزاز أو التحفظ على الاقل يشوب ذلك الاعلان ،
انهما اعجاب بالكمال وتقدير له حيثما وجد وفى اى شخص وجد فى لورد أو فى
رجل عادى ، ومن اى جنس كان وعليه فالشاعر يقول للورد لا تغتر بمدحى أو
بما سأقوله فاننا لست اقصد شخصك أو جنسك وانما اقصد الصفات الانسانية ،
وهى وحدها مثيرة عواطفى ومحركة شاعريتى . ان هذا الاسلوب يدلنا على ان
الشاعر غير راض باللورد الزائر هو فاتح القدس ومزيل سلطان الدولة العثمانية
عن ارض فلسطين باسم الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى ، وفضلا عن ذلك فاهله
البريطانيون يسيطرون على مصر والسودان ويفعلون فيهما ما يشاءون . ان مخاطبته
اللورد فى قصيدته هذى تعيد الى الذاكرة ما قاله امير انشعراء اللورد كرومر فى
القصيدة التى ودعه بها وقال فيها :

ايامكم ام عهد اسماعيل ام انت فرعون يحوب النيل

غير ان الشاعر يحب الكمال ويحسب الرجولة ولذلك جاشت العواطف فى نفسه
ونظم هذه الايات لانه حيا باللورد ولا يكراما لاهله فى شخصه وانما تقديرا
لصفات انسانية واشباعا لنوازع شخصية . انه بهذا يمثل نبل الخصم المهزوم
يتجرع مرارة الهزيمة ويحس ذل الانكسار لكنه لا يملك الا ان يعترف لمنازله
بالنصر فى اعتداد بمليه كرم الاخلاق .

اخذ الشاعر بعد ذلك فى مخاطبة اللورد قائلا :

فاتح القدس قد تغمدك الله	بروح من المهيمن قدسى
لك عزم من القضاء وذكر	مشرق فى الزمان اشراق شمس
جئت تستعرض الصفوف احتفاء	لا للحرب بمدفع او بترس

بأجل القواد في الحرب شرف فوق عشرين من البلاد ورأس

ما زال الشاعر في تحفظه واشمئزازه . فالقائد قد فتح القدس بتوفيق من الله أو
« تغمدته بروح من المهيمن قدسى » وآتاه كذلك « عزما من القضاء » فامكنه ان
يزيل سلطان المسلمين ويمهد للانتداب البريطاني في فلسطين فيكون ذلك سببا في ان
يكون له « ذكر مشرق في الزمان اشراق شمس » ولو لم يتح له ذلك من الله العلي
القدير لما امكنه ان ينتصر ويصل إلى ما وصل اليه ولما تهيأ لهم بانتصاره . فالامر
كله حينئذ قدر ، ولعل الله اراد هذا القدر لحكمة يعلمها هو ، والحمد لله الذي
لا يحمد على مكروه سواه ، ولكن ها هوذا القائد المنتصر يحيى زائرا تحتفى به
جمهرة الاتباع الاوفياء المخلصين ويحتفى هو بمقدمهم له ، ومهما يكن من شيء
فعليه ان يتذكر ان هذه البلاد :

كان تاريخها القديم جليلا مثل فصر ومثل روم وفرس
ثم دار الزمان دورة نحس عكست نجم سعدها شر عكس
فدرجنا على الصعيد حفاة بين غبر من البلياع وشكس

ان هذا الماضي الجليل الذي اشاد به الشاعر واضعا بلاده في مصاف الامم العريقة
تحول إلى حاضر هزيل ، فهل من سبب معروف لهذا التحول ؟ ولماذا يذكر
الشاعر كل ذلك ؟ يفخر بما كان لقومه ويتبعه بما صار اليه حالهم الآن . لم يذكره
في هذه المناسبة ؟ — مناسبة زيارة لورد للنبي . لعل الشاعر يحس ان البريطانيين
— واللورد من كبارهم — باعدوا بين البلاد وما ضيها لما غزوها واسسوا حكمهم
فيها . ان الشاعر ينسب اليهم التقصير في القيام بحاجات البلاد فما زال الجهل
متفشيا وكذلك الخفاء والجوع ثم يطالبهم بالاصلاح ويرشدهم في الايات الأخيرة
إلى سبيل الحكم الصالح لان بلاده لا تستحق ما صارت اليه .

أما السبيل الثانية فهي سبيل الثورة — ثورة الكلمة — فقد سلكها توفيق
صالح جبريل — عبد الرحمن شوقي — مدثر البوشي وصالح عبد القادر . قال توفيق
في زيارة لورد للنبي — وقد اوردنا جمل ابياته مع النماذج — قال مخاطبا البريطانيين :
يا ايها القوم لا تجروا الديولا يأنف الحر ان يعيش ذليلا
سمتمونا العذاب ، ضيقم الا رض علينا حتى هوينا الرحسلا

إن أردتم اصلاحنا قد فعلتم فاعذرونا اذا مللنا الدخيلة

هذه الايات الثلاثة وهي بداية القصيدة تكشف عن ثورة جامحة في صدر الشاعر اشعلها ما أحسه من اذلال ، وما رأته عيناه من تعالي الحكم وخيلائهم ثم العذاب الذي اوردوه الناس حتى تمنى الناس ان يرحلوا عن بلادهم مفضلين المهجرة والاغراب على البقاء في دار يلقون بالعيش فيها ذلا وعذابا مع ان حكماها يزعمون انهم انما جاءوا للاصلاح. ان الشاعر لا يحتمل تسلط الاجنبى ، ولا يقبل ما يجده مواطنوه من عسف ، ولا يصدق دعوى الاصلاح ولا يقبلها وان جاءت مبرأة من كل سوء ولذلك يصرخ في وجه البريطانيين قائلا - « اعذرونا اذا مللنا الدخيلة » مطالبا بالخلع بعد ان بين رأيه في الحكومة . من ثم يأخذ الشاعر في مخاطبة اللورد الزائر ، يقول له مضيفا منساوىء اخرى إلى ما ذكر في الايات الثلاثة الاولى :

أبهدا الزعيم اودى بنا الفقر	فعطفا قد صبرنا طويلا (١)
فقيح ان نرتضى الذل دهرا	وفرى مالنا لكم مبذولا
كل يوم تبدو ثوب جديد	من دهاء فحسبكم تبديلا
عامتنا الايام ما قد جهلنا	ه فلسنا نطيق عبثا ثقبلا
تلك عشرون حجة بعد خمس	قد تقضت وما شفيم غلبلا
فادعيت نشر الحضارة والعرفان	والشعب ما يزال جهولا
ما اكتسبنا الا الشقاء كسانا	سملا باليا وجسما نحيللا

وهنا ايضا يظهر ضيق الشاعر بالاحوال في بلاده ، انه يرى الحكم الاجنبى « عبثا ثقبلا » ويحصى عليهم عدد السنين « تلك عشرون حجة بعد خمس » وفي هذا كله مطالبة بالخلع املاها ما أحسه الشاعر وما وجدته في انظمة الحكم الثنائى واساليبه وفي سياسة البريطانيين بصفة عامة لا سيما ما يمس العلاقة بين مصر والسودان من تلك السياسة . ولعل اصدق ما يدل على ضيق الشاعر وثورته المعتملة في صدره الايات التالية وما فيها من تساؤل ، يقول :

ويح قلبي ماذا يروم السني	يوم وافى يجر سيفا ضقبلا
جمع الجمع ، ارهب القوم حتى	اصبح السيد النبيل ذليلا

اتراه يريد يفصم حبالا بين مصر وبيننا موصولا
ولماذا تراه يمتلي عليهم وتراه ممدونا ماقبلا
جل من ملك الدخيل فجر الذيل واستمطر العذاب الويلا

استطاع الشاعر توفيق ان يوصل قصيدته هذى إلى مصر حيث وجدت طريقها إلى صفحات واحدة من كبريات الصحف المصرية وقد كان لذلك دوى فى السودان وفى مصر . ولنتقل الآن إلى عبد الرحمن شوقى نتأمل بعض ابياته الثائرة التى جاءت فى قصيدة اوردناها فى ملاحق هذا الكتاب ، وهى القصيدة التى انشدها فى الاحتفال بميلاد النبى فى يوم من أيام سنة ١٩١٩ . قال :

أترضى ان اضام وانت حر وتسمح ان تلين لهم قناني
فحدث عن بنى النيل قوما بادني النيل أو اعلى الفرات
بانا نتمى حسبا ومجدا إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا مثالا للشجاعة والثبات
وان لا يبضروا فى النيل قرنا ولا بطبلا يعد من الكمات
يجود بنفسه للموت حبا بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل درهمات لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد ليحيا اهلها بعد الممات

هذه الايات التى اخترناها من تلك القصيدة تحمل استنكارا واضحا للضميم ، وما هو الا تسلط الاجنبى ، والشاعر يرفضه ويرفض ان يلين أو يستكين ، ويذكر قوما « بادني النيل » أو « اعلى الفرات » بان قومه السودانين ينحدرون من اصول لا ترضى لهم ما هم فيه بل تريد لهم وتتوقع منهم ان يكونوا ، مثالا للشجاعة والثبات وان يكون منهم المقاتل المستميت والكمى المقنع ليقدّم حياته طمعا فى « الباقيات الصالحات » ورغبة فى رفعة شأن الوطن حتى يعيش المواطنون فيه عيشا كريما . هذا هو الجود ، ولا جود غيره ، وليس من الجود ان تبذل شيئا من المال لمسكين أو لمشروع انما الجود التضحية فى سبيل الوطن . ان مضمون الايات دعوة صريحة للجهاد فى سبيل الوطن ، وتشجيع للمواطنين لحمل السلاح لطردهم من الاجانب لان الموت افضل لمن يلقاه فى ميدان الجهاد ، فيموته يحيا اهل البلاد حياة عزيزة .

ان مدثر البوشي لم يدع للجهاد دعوة صريحة كعبد الرحمن شوقي الا أنه
 كآل لقومه النقد مريرا جارحا ، وقد بلغ في بعض ذلك النقد درجة الدم المحدد ،
 قال :

ارى زهرة الدنيا وشرخ شبابها - تبذل بؤسا ، بنس تلك المغارم
 ارى ما ارى مذ ساد في الناس واهن - وخارت عن الاقدام منا العزائم
 سلام على الدين الخفيف وفتية - على عهدهم ترعى النهى والمحامم
 تبذل ماضينا ولم تبق سنة - وصار لنا مما نعد المواسم
 اذا شئت يا ذوات الثنايا تشاهدنى - بنيك على مر الأليالي فهاهم
 اغاروا وقد انجذت لما تحولوا - عن العهد واستولى القياد سواهم
 فيينا هم للامر والعرض سالم - اذا بهم يغضون والانف راغم
 يقال رجال لا وربك انهم - جديرون حقا ان يقال الفواطم
 نفوس ابت فعل الحميل لاهلها - وايد إلى الاعداء نعم الله ازم
 فما روع العلياء الا عما تم - تساووم فينا وهى فينا سواهم

الشاعر غاضب «لتبذل الماضى» ولتحول قومه عن العهد، انه غضبان لان هذا أدى
 إلى أن «استولى القيادة سواهم» وصاروا - وهم اصحاب الماضى المشرق والمجد
 التليد - اتباعا . ان غضبة الشاعر ترقى إلى الثورة فيرسى إلى اولئك الرجال الذين
 فرطوا واستكانوا ويسميهم الفواطم ، انهم لا يستحقون الاتصاف بالرجولة في
 رأيه لانهم امتنعوا عن «فعل الحميل» وصاروا عونا للدينجيل على اهلهم وهم لهذا
 أدنى وبهذا لم يهتدوا اهلا لشرف الجهاد والعمل الخير وطنهم فعلى غيرهم من
 الشيب والشباب ان يعتبروا وان ينظروا إلى الماضى :

اجل نظرا فى من مضى من رعيننا - فهم عند باب الثائبات ضراغم
 تخلى لهم عن امره الدهر خاسئا - وسلم دولاب الحياة الاعاجم
 وعندئذ يهبون هبة رجل واحد ويخلصون بلادهم من المتسلطين وينتشلون مواطنهم
 مما تردوا فيه .

سلك صالح عبد القادر نفس السبيل «ولا عجب فصالح يعمل فى الحقل
 الوطنى السرى كبعض هؤلاء الفتية الذين اتخذوا من المناظر فى المناسبات الدينية

سبيلا إلى نشر الوعي وبث كراهية الاستعمار في نفوس الشعب» (١) . قال صالح في إحدى تلك المناسبات وقد كانت ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق	الدهر خان وحلت البأساء
عظفا على الاسلام ان شعوبه	اجتاحت وتجد اعيت بها الاهواء
عانت به ايدي الطغاة فبدلت	ازياءه فتجاهل فاعلم —
.....
لو لم يكن دينا قويا لاندحت	آثاره منذ تخانه الامناء
.....
يا امة هضم الزمان حقوقها	كم نهيتك بوعظاك الحكماء
لعبت بك الايام لعب مغامر	فتنبأت بمصيرك الخسراء
ما نلت من احداث دهرك راحة	ومن الحوادث راحة وعناء
حظ الممالك والشعوب تقدم	لكن حظك شدة وعناء
فبأي حكم قد هويت ولم تزل	فيك الشعور وتنطق الشعراء
ومن العجائب ان تموت بلادنا	جهلا وفيها السادة العلماء
يا قوم قد اعيت بكم اهواؤكم	ولحنفكم قادتكم الاهواء
نم وما نام الزمان وان من	طلب العلا ما لذه الاغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم	والله يفعل ما يرى ويشاء
هل اوهن الاسلام الا اهله	ما ايدوه لانهم جهلاء

يبدو الشاعر في مطلع ابياته اسيان كئيبا لما اصاب الاسلام - فقد « خان الدهر » و « حلت البأساء » ويعزو هذا إلى اسباب هي (١) تسلط الطغاة (٢) لعب الاهواء بشعوب الاسلام (٣) تجاهل علماء المسلمين لكنه يحتل بشيء من الامل لان الاسلام دين قوى بتعاليمه وبصاحب القرآن الذي يحميه . ينقلب اسي الشاعر وكأبته إلى إلى غضب ثم يصب جام غضبه هذا في قومه فيضمنهم بالضعف والجهل والغفلة ويلوم « الدهر » و « الايام » و « الزمان » على ما نالت بلاده من (شدة وعناء) بينما الممالك الاخرى لقيت حظا وافرا من التقدم ، والدهر والايام والزمان براء

فالشاعر يريد الحكم الذى كان قائما آنذاك ، الا تراه يقول :

فبأى حكم قد هويت ولم تزل فيك الشعور وتنطق الشعراء
ومن العجائب ان تموت بلادنا جهلا وفيها السادة العلماء

ما هو الحكم الذى يريده ؟ ومن الذى حكم عليها بما اصابها ؟ تردت. وتخلفت
عن الامم ، وفيها سادة علماء ، لكن الجهل ما زال متفشيا ، ان فيها شعراء
يستنهضون الهمم بشعرهم ويفيضون فى تمجيد الماضى وذم الحاضر ورغم ذلك
ماتت البلاد جهلا وخارت العزائم ومات الشعور . ان ثورة عارمة تعمل فى صدر
الشاعر وتخرج لنا فى هذه الايات ملتهبة يصيب اوارها « الطغاة » كما يصيب
قوم الشاعر .

ظهور اتجاهين وطنيين فى الانتاج الشعرى :

بدأ الخريجون هذه الثورة الأدبية التى تحدثنا عنها فى الفقرة السابقة وتولوا
قيادتها فى ألديتهم . وكانوا يبعون من وراءها « بيت الوعى وخلق الشعور الوطنى
بمثل هذا الشعر الذى تنتهز له المناسبات الدينية » (١) ، فقد تبين هؤلاء الشعراء ان
الحكم الاجنبى لا يريد لامتهم ما يريدون لها ، وثبت لهم انه يسعى لىسط نفوذه
وتقويته وضمان استمراره ، فهاهو ذا يجمع كل هبة وطنية ويبطش بكل من يرفع
راية العصيان أو التمرد بطشا شديدا . انه طفق يفعل ذلك فى السودان ، وفى مصر
يسير سيرته هذى وأكثر ، « وقد كان للأحداث التى مرت بمصر » وفى هذه
الفترة « وقع خصاص فى السودان » (٢) لان كثيرين « من السودانيين كانوا يرون فى
مصر رائدة يرتبط مصيرهم بمصيرها » (٣) ولان جمهوره السودانيين ظلت من قديم
الزمان تكن للمصريين اخاء صادقا . كل ذلك مع ما قامت به قانك الجمعيتان -
الاتحاد والواء الأبيض - نقل الثورة من رحاب الادب ، ومن ساحات المحافظ
الدينية إلى معقل الجندية فتكلمت المدافع والبنادق معلنة ثورة الجنود السودانيين فى
عام ١٩٢٤ . ان قيام هذه الثورة المسلحة لدليل على افلاح الشعراء والادباء السودانيين

١ - ملاح من المجتمع السودانى ، ٧١

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بنوى ٣٧١

٣ - المصدر نفسه ٣٧١

فيما قصدوا اليه ولعلهم افلحوا لان ثورتهم الشعرية التي حركها السخط على الحكام الاجانب والثرم بالاحوال صاحبت بعض وقائع في السودان ومصر ، تلك الوقائع التي بينت للمواطنين السودانيين نوايا البريطانيين واثبتت لهم ان اولئك الحكام لا يتورعون عن فعل اي شيء في سبيل توطيد اركان حكمهم .

ان الثورة الأدبية اثمرت ثورة مسلحة في سنة ١٩٢٤ . بعد ذلك ظهرت مرة أخرى في شكل جمعيات أدبية كونتها اندية الحريجين في كبريات مدن القطر ، وظلت تلك الجمعيات ميدانا للادباء والمفكرين والمصلحين ، يتحدثون ويناقشون ويتناظرون في شئون الادب واحوال المجتمع السوداني سنين عددا إلى ان آتت — بطريق مباشر أو غير مباشر — ثمرات جناها المجتمع السوداني وافاد منها خيرا كثيرا . من هذه الثمرات « مؤتمر الحريجين » تلك الهيئة التي كان قيامها بداية العمل السياسي في احزاب منظمة فمن داخله ظهرت الافكار السياسية وخرجت إلى المجتمع السوداني وكان ان ظهرت الاحزاب السياسية المختلفة ، ظهرت في قسمين كبيرين — قسم يدعو لربط السودان بمصر وعرف هذا القسم بالاحزاب الاتحادية وآخر يعارض هذه الدعوة ويرى ان يستقل السودان ، وعرف هذا القسم بالاحزاب الاستقلالية . تبعا لهذا التقسيم ظهر في الشعر الوطني السوداني اتجاهان — اتجاه اتحادي يقف في مؤازرة الاحزاب الاتحادية يدافع عنها ويدعو لها ، وآخر استقلالي يناصر الاحزاب الاستقلالية بتأييد افكارها ودحض حجج خصومها .

الاتجاه الاتحادي :

من الشعراء الذين نظموا في هذا الاتجاه مؤيدون عن ايمان داعين له وعن رغبة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن الامين . وسنعرض فيما يلي نماذج مما نظم من شعر ، ونتبع ذلك تفصيل الكلام في شكل ذلك الشعر ومضمونه — قال في قصيدة القاها في حفل وداعي :

مصر من السودان والسودان من	مصر — سواد العين والإنسان (١)
شعباهما شعب وخزاناهما	يوم اللقضاء اراهما خزاننا
حتم على الشعراء ان لا يكذبوا	أرأيت حبرا يكذب الاوطانا

١ — ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الامين ، ٣٥ .

ولقد وجدت من العروبة موطننا ربحا ومن أجوائها طيرانا

ثم قال في قصيدة أخرى يعلن حبه لمصر :

لى فى الكنانة من قديم
ابدا يذرقنى هواها
انا صب مصر قبل ان
وثقافتى منها ومنها
واهزها وتمسزني
انا شاعر فى وصفها
الدهر حب غير كاذب (١)
والهوى غاد فغائب
تنشأ وتشتجر المذاهب
ما أحر من غرائب
والسر فى هذا التجاوب
لكنها وحى المذاهب

وقال في وحدة وادى النيل :

ووحدة وادى النيل نحن دعائنا
ونأخذ بالامر الذى هو واقع
فان قيل تعلم وقيل ثقافة
ونكن على الا نكون لها ظلالا (٢)
وذلك حق ما اردت به بطلا
فان من التعليم ما يشبه الجهلا

وقال أيضا في رحيل الجيش المصرى عائدا إلى مصر :

نعم لمصر يعود الجيش هل علموا
وهل تنقل الا فى منسازله
نبعان للنيل فى ارض الجنوب وفي
من قال قطر وقطر فهو فى نظرى
ان الكنانة والسودان صنوان
منازل النيل هل فى الارض نيلان
ارض الشمال لقد فاض المصبان
كمن يقول بان الواحد اثنان

ومما قال في اتفاقية الجلاء :

للنيل فى مصر والسودان من قدم
ما نخلة فى ربا السودان منبتها
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة
عهد تضمنه البردى قرطاسا
وفرعها باسق فى مصر مياسا
فانما انت جنس لست اجناسا

وله أيضا في تأميم القناة :

وارى العروبة كلها رحمتا
وبنو العروبة هم بنو امى

١ - ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الأمين ٣٧ - ٣٨

٢ - ديوان العروبة عبد الله عبد الرحمن الأمين ، ٤٤

أنا من يقول النيل جامعة تليت قضاياها على الضم
واقول ان العرب ملكة والقائمون بها اولو عزم
ولن اتحاد شامل قومي ازجي حديث الشاعر القومي

ومن نظمه لمدينه بورسعيد بعد الاعتداء الثلاثي :

انما مصر والعروبة والسودان ابقي على الزمان عهدا
ما لمستعمر لها من سبيل ما المستعمر له ان يكيدا
لا شمال ولا جنوب ولكن هو شعب موحد توحيدا
باعد الظالمون منا وقالوا ان مشى الجنوب كان وثيدا
يوم كنا ولا تسبل كيف كنا من يقل مصر ارفعوه صعودا
من يقيم الصلاة في عقر داره يلاق الهوان والتشريدا
ان يبين التمايز والنيل حبا ابد الدهر فاقدا مفقودا
ليس بحر الشمال منه ولكن منه بحر الغزال يعوى اسودا
يا سماء القنال صبي علينا من فيوض التحرير لنا جديدا
الحوى والشباب والامل المنشود كل أبى علينا الركودا

ومما حوى به الجمهورية العربية المتحدة قوله :

بنى العروبة حيا الله دولتكــم حياكمو الله من لبي ومن نادى
ردت على العرب الاحرار غربتهم كفى بمفتقد للعز تبعادا
كل امرئ عربى غير ذى عوج همه العرب ان ترقى وترداد
فقل لمن بات خوف الغرب يخذله قضيت حيا ولم تستند الزادا

ثم ها هو ذا يبين مذهبه فى الوحدة العربية :

انا فى الوحدة شيعى وهل تجمال من امام منتظر
ان فى الوحدة توحيد وهل ينكر التوحيد الا من كفر

ويضرب الامثال للصلة بين مصر والسودان بقوله :

للنيل فى مصر والسودان من قدم عهد قديم على بردية كتبنا
لا المغريات ولا الاحزاب تصرفه ولا السياسة اما حركت ذنبا

يا نخلة في ربا السودان منبتها وفرعها باسق في مصر منسكبا

وفي قصيدة سماها « هدية العيد الأكبر » قال :

العرب كل وكل لا تجزئة هذى الدعاية ممن يفتري الكذبا
من المحيط الى شط الخليج ومن ارض الشمال إلى ارض الجنوب جبا

يا وحدة اورثتنا جنة وسعت لا لغر فيها ولا تأثم مرتقبها
انا نحيلك والآمال واسعة والناس بالناس والدنيا لمن غلبا
وقد تؤمم فيك العرب قاطبة والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

وعند عقد اتفاق مياه النيل حثي الشاعر المتفاوضين بقصيدة طويلة تختار منها :

مصر من السودان والسودان اذ يتفاوضان
يتنازعان اعنه الحسنى ولا يتنازعان
وبنعمه الله الكبير وفضله تتجددان

ومما وصف به النيل - النيل الذي يربط السودان بمصر - قوله :

لم النيل مزهوا ترف خمائله وتشدونشاوى ورقة وبلابله (١)
ولم بسمات البشر في كل صنحة طمسن الاسى من بعد ما ران شامله
ولم يهرع الجمهور في كل بقعة او اخره في دهشة واوائله

اما ختام هذه النماذج فهو الايات التالية التي فخر فيها بدوره في الحركة الوطنية :

سل القوم في استعمارهم هل تأودت قناني وهل في واجب اتردد
وهل كان في شعري مهاده وهل دلفت إلى استعمارهم اتودد
واني لاستوحى القوافي حرة وارمى بها في وجه من يتردد
فان تمنعوا ليل وطيب حديثها على ففى كفى اليراع المسدد
عدمت البيان الحران كنت منشدا من الشعر الا ما يقيم ويقعد

يعتبر الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن من علماء اللغة العربية في السودان فقد

١ - الشعر الحديث في السودان ، الشوش ، ٦٨

درسها دراسة تخصص فوق اساس من التعليم الديني تلقاه في أسرته فهو ينتمي إلى بيت دين معروف . بعد التخرج واكمال الدراسة اشتغل بتدريس اللغة العربية وادبها في مدارس الحكومة ، ومعنى هذا انه اضاف إلى الموهبة التخصص ثم التطبيق فهو يقرأ ويفرأ ، ويشرح لتلاميذه ويتحدث اليهم في النحو والصرف والشعر والنثر ، ولا بد ان يسبق كل هذا تأمل وتفكير ومراجعة اذ كان عليه ان يعلم تلاميذه فلا بد له ان يعلم اولا ويتأكد من صحة ما علم حتى ينقله اليهم صحيحا لذلك لا غرابة في ان يحى شعره سليم البنية - خاليا من الاخطاء النحوية ، الفاظه فصيحة ، وتراكيبه لا تخرج بصفة عامة عن قواعد اللغة ولا تنبو عن الذوق ، لكنه يورد في احيان نادرة بعض الكلمات العادية في مثل قوله :

اياك اعنى واحذرى يا جارة الوادى المقابل.

فكلمة «مقابل» بالمعنى المراد ههنا من اللغة العامية ومعناها المكائد في الجدل والهلل ، وكقوله :

قل لمن راح حزينا بينكم لست منها انت عفريت الصور

فالكلمتان الاخيرتان في هذا البيت تعبير عامى معروف .

ان ورود مثل هذه الالفاظ في قلة من ابياته لا يقدح في شعر الشاعر ولا يدل على قصور في قدرته أو عجز عن التعبير فقد ظهرت مقدرته في قصائد أخرى وجاء تعبيره واضحا وافيا . اننا قد نجد له العذر في هذين البيتين فنقول انه اراد التبسط في الاول كما اراد الدعابة في الثاني .

احيانا أخرى يلجأ الشاعر إلى التكرار - تكرار الالفاظ كقوله في الايات :

لم النيل مزهوا ترف خمائله	وتشادو نشاوى ورقه ويلابه
ولم بسمات البشر فى كل صفحة	طمسين الاسى من بعدما ران شامله
ولم يهرع الجمهور فى كل بقعة	واواخره فى دهشة واوائله
ولم ترقص الامواج يسبق بعضها	إلى الشط بعضا تلتقيها سواحله

حيث كرر اداة الاستفهام اربع مرات الا انه تكرر يزيد من جمال الايات لان الشاعر فيما يبدو لنا اراد التعبير عن تعجبه لجمال المناظر وروعة المشاهد المختلفة

التي تحف مجرى النيل أو تبين للعيان فوق سطح مياهه المتدفقة . انه يفتون بها ، معجب بما تبديه لعينه من رواء يثير حيرته فيرتفع صوت بهذه الاسئلة التي تدل على ما تجيش به نفسه . انه تساؤل المأخوذ بما يرى الخائر فيما يبدو لعينه من مفاتن الطبيعة ، عمد الشاعر إلى التكرار في نفس القصيدة فكرر « كأن » أداة التشبيه ثلاث مرات في ابيات متتالية حيث قال :

كأن انعكاس الكهرباء عشية على مائه سيف جلته صياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهه اسارير وضاح الجبين تقابله
كأن فراديس الجنان تنفست بارجائه أو ان شيئا يماثله

وفي بيت من قصيدة أخرى يكرر أكثر من كلمة واحدة في ذلك البيت الواحد واهتز الشعب يساقط ثمرها هزلك النخل فقى الشعب الثمر ثم يكرر الجملة الاسمية « انت حر » في بيت آخر من نفس القصيدة :

ايها الشعب الكريم المنتمى انت حر مستقل انت حر

وواضح ان المعنى يكتمل دون تكرار ، ولا تبدو حاجة للتأكيد بالتكرار لان كلمة « مستقل » تغنى عنه وتزيد عليه الانطلاق والايجابية . يلجأ الشاعر كذلك إلى تكرار بعض ابيات قصائده ، فالبيت يرد في قصيدة ما ثم يرد في أخرى بلفظه ومعناه ، وقد تتغير احدى كلماته ومثال ذلك البيت :

يا نخلة في ربا السودان منبتها وفرعها باسق في مصر مياسا

ان الشاعر يورده في قصيدة أخرى مع تغيير القافية ، فيقول :

يا نخلة في ربا السودان منبتها وفرعها باسق في مصر منسحبا

والبيت :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس للتاريخ ما كتبها

يرد بلفظه ومعناه في قصيدة أخرى :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس للتاريخ ما كتبها

كذلك البيتان :

انا نؤمّم فيك العرب قاطبة والعرب تأميمها يعلو بها رتبها
ولولا جمال ولولا صدق ثورته بنو العروبة امي حبلها اضطربا

يردان في قصيدة أخرى بنفس الفاظهما مع تغيير يسير حدا في اولهما :

وقد نؤمّم فيك العرب قاطبة والعرب تأميمها يعلو بها رتبها
لولا جمال ولولا صدق ثورته بنو العروبة امي حبلها اضطربا

هنالك بيت آخر يورده الشاعر في قصيدتين من قصائده دون اى تغيير أو تقديم أو تأخير في لفظ من الفاظه فهو :

معلقات على الوادى قصائدنا مرابطات ترد الشك والريبا

حيث نجده السابع والعشرين في قصيدته « عيد الدستور » والخامس والستين في قصيدته « هدية العيد الاكبر » . وفي ثلاث قصائد أخرى جاء الشاعر يشطر بيت مرة في كل منها مع تغيير في بعض الالفاظ ، ففي احداها ورد الشطر هكذا :
وقضت على فرق تسد في مهدها

وفي الثانية :

فرق تسد ابطلت باطلها

وفي الثالثة :

وقضى على فرق تسد في عهدهم

اننا لا نستطيع ان نجد عذرا للشاعر في تكرار الابيات أو انصافها في أكثر من قصيدة ، ولا نحسب ايا من تلك القصائد تسوء أو تقل قيمتها الفنية أو الوطنية اذا اسقط منها أى من تلك الابيات أو انصاف الابيات ، ولا نحسب كذلك ان الشاعر اوردها مكررة هكذا دون قصد ، وعليه فالعذر الوحيد الذي يتبادر إلى أذهاننا هو اعجابه بتلك الابيات وتلك الانصاف .

أما من حيث النظم فقد سلبس للشاعر قياد الاوزان ، ولم تقف في أى بيت من ابيات قصائده التي نظرنا فيها على خلل في وزن . كذلك جاءت قوافيه سليمة خالية من القلق أو الاضطراب ، وخلا شعره من الزخرف اللفظي المتعمد لذاته وأكثر ما استعمل من أنواع البيان التشبيه والاستعارة ، وما إلى التشبيه البليغ أكثر

من غيره لما فيه من قوة الدلالة فالمشبه فيه هو عين المشبه به ، وجاءت تشبيهاته كلها بسيطة لا تكلف فيها ولا مبالغة ، وها هي ذى نماذج من البليغ :

هل مصر والسودان الا	في رباه عشيرتان
وربيستان بحجره	وعلى هواه مقيمتان
.....
ان في الوحدة توحيدنا وهل	ينكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انها	جنة المأوى وطيب المستقر
خلت السيوف سيوف الهند اوجهكم	لما اتخذتم من الاوطان اعمادا
.....
وارى العروبة كلها رحما	وبنو العروبة هم بنو امي
.....
انا من يقول النيل جامعة	تليت قضاياها على الضم
.....
مصر من السودان والسودان من	مصر سواد العين والانسانا
.....
اولا تراها كتلة طلعت	شها على الشيطان بالرجم
.....
هل جنة الخلد الا في ديار كمو	لقد نزعتم لها غلا واحقادا
.....
انا في الوحدة شيعي وهي

ومن غيره :

..... وهل	كجمال من امام منتظر
.....
وقوافي النظم والنثر اذا	رمتها جاءت كبيل منهمر
.....
كأن انعكاس الكهرياء عشية	على مائة سيف جلته صياقلة

اسارير وضاج البجين تقابله
بارجائه أو ان شيئا يماثله

قض الرئيس جمال قصة عجبها
قد يافكون فكان الداعي الاربا

كأن تجاعيد النسيم بوجهه
كأن فراديس الجنان تنفست

لواقع عربي غير ذي عسوج
لقى بها كعصا موسى تلقف ما

ومن استعاراته :

إذا يتشاورضــــــــــــــــان
الحسنى ولا يتنازعــــــــان

بهما النوى تتصافحــــــــان

لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبا
والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

وفرعها بأسق في مصر مياسا
فانما انت جنس لست اجناسا

من فيوض التحرير لمحنا جديدا

بياض وجهك والثرائب
المرسلات من الذوائب

منك المنى في موكب ضخم
يبنى ويهدم بالقنا الصمم

اذ لم يكن فيه من يحنى لها راسا

مصر من السودان والسودان
يتنازعــــــــان اعنه

ويداهما مهمما رمت

يا وحدة اورثتنا جنة وسعت
وقد نؤمم فيك العرب قاطبة

يا نخلة في ربا السودان منبتها
ان كان في حوضك الاحزاب قائمة

يا سماء القنال صبي علينا

وعليك من نسج الشمال
وعليك من نسج الجنوب

يا يوم عمورية احتفلت
قد جئت للدنيا بمعصم

ويقبل الشعب دفاعا بموجته

كنانة الله الفت من كنانتها	سهما له اوجس الاعداء ايجاسا
على القنال قريبا من ديارهمو	نارا تراءت من السودان اقباسا
.....
نجت السفينة من اعاصير الجوى	ونجت بربان السفين الماهر
.....
العرب من خلف المحيط إلى	شط الخليج إلى قوى العجم
الفت على الجودى مراسيها	فمشى بها الجودى للسم

اننا عندما نتأمل هذه الاستعارات وهى بالطبع قليل من كثير سقناه على سبيل المثال تبين لنا انها فى جملتها من الطراز القديم المؤلف من شعراء العصور الماضية والمعروفة فى اوساط الأدب والأدباء فالشيخ الشاعر لم يصف جديدا إلى ما الفنا وعرفنا الا فى اثنين من استعاراته ، اما الاخريات فالمعنى المستعار فى كل منها واللفظ الدال عليه هما مما اعتبره الاقدمون مثالا يحتذى ويقاس عليه أو يشبه به لقربه من الكمال ففى قوله « يتنازعان اعنة الحسنى » يشبه الحسنى بالفرس ، وفى قوله « يا وحدة اورثتنا جنة » يشبه البلاد بعد الوحدة بالجنة ، وفى البيتين « وعليك من نسج الشمال ... الخ » يشبه مصر فى ارتباطها بالسودان بالحسنة ذات الوجه الابيض والثرائب البيضاء وقد زان هذا البياض سواد الذوائب . اما يوم تأميم القناة فيشبهه يوم عمورية ويجعل من جمال عبد الناصر معتصما آخر . هكذا سلك الشاعر سبيل زملائه القدماى وانتزع بعض تشبيهاته من بيئة سالفه — (تشبيه يوم التأميم بيوم عمورية) — اننا لا ننتقص من قدر اولئك الشعراء وفنهم ولا نعيب بيئاتهم . فقد انتجوا لنا أدبا حيا رفيعا فى تلك البيئات الفنية المتحضرة لكننا نأخذ على شاعرنا انه يكثر من الاتكاء على الاسلاف .

أما الاستعارتان اللتان استثنينا هما لانه لم يتأثر فيهما بالاقدمين فاولاهما :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها وفرعها باسق فى مصر مياسا

انه يشبه فيها امتداد وادى النيل من وسط أفريقيا إلى حوض البحر الأبيض المتوسط بامتداد النخلة من منبت جذورها إلى فروعها العليا . وهذا التشبيه يصور قوة الصلة بين مصر والسودان ويبين متانة الارتباط ، فالسودان يمثل الجذور والجذع

ومصبر تمثل الفروع الخضراء بسعفها وبلحها ، ولا غنى لاي من هذه الاجزاء عن الآخر . هذه الاستعارة في الاصل مأخوذة من قول سياسي بريطاني اورده في احد كتبه ، وتناقله الناس وانتشر في الاوساط السياسية في مصر والسودان ابان المعركة السياسية التي دارت بين دولتي الحكم الثنائي بسبب وحدة وادي النيل : بنى الشاعر استعارته على هذه القولة ، فقد اعجبته لدلالاتها القوية على مدى الارتباط بين القطرين ، ولا صلة لها بالمقديم . وثانيتها في قوله :

وقد نؤم فيك العرب قاطبة والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

هنا يستعمل الشاعر التأميم بمعنى التوحيد ومعناه المعروف في لغة العصر استيلاء الدولة على املاك الافراد والجماعات تحقيقا وتعميما للمنفعة ، اما جمع الامة العربية بشعوبها واقطارها في كيان واحد او توحيدها في دولة فلم يقل عنه فيما نعلم « تأميم » ، ولم يستعمل واحد من الشعراء أو الساسة فيما نعلم هذه المادة « امم » أو احد مشتقاتها في « وحد » أو احد مشتقاتها . ان الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن ابتكر هذا الاستعمال بتوسعه في معنى التأميم وهنا ايضا لم يتكىء على اسلافه اولئك الشعراء الاقدمين المجيدين ، مع انه اعتمد عليهم في مواضع كثيرة ، وها نحن اولاء نورد منها قوله :

فقل لمن بات خوف الغرب يخذلهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا

وهو من قول الخطيئة :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا

وقوله :

فعلمت ان المستحيل ثلاثة ابقاؤهم والغول والعنقاء

من القول المنسوب لابن الفارض :

وعلمت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والحل الوفي

وقوله :

ومن يغترب بحسب عدوا صديقه جرى مثلا للغرب « دالاس » اقصد

من قول زهير بن ابي سلمى :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وقوله :

كلما انبت الزمان قناة ركبته بورسعيد فيها الحديد

من قول المتنبي :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

وقوله :

يا صاحبي تقصيا نظريكما اذ تنظران

من قول أبي تمام :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

وقوله :

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم بصدق فعال لا يصدق كلام

من قول الشنفرى فى لامية العرب :

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لامليل

وابياته الثلاثة الآتية التى ورد كل منها فى قصيدة مختلفة :

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| نامت على قفز الثعالب | ١ - أين النواطير التى |
| قفز الثعالب فى الزمان الغابر | ٢ - أين النواطير التى نامت على |
| بشمت ثعالبها من الكرم | ٣ - نامت نواطير الامور وقد |

من قول المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشمت فما تفتى العناقيد

وقوله :

ما عاد مستنسرا فينا البغاث ولا عدنا تفكر فيمن جد او لغيا

من قول قديمة هى :

ان البغاث بارضنا يستنسر

وغير هذا كثير ، الا اننا نريد التمثيل لا الحصر .

إذا انعمنا النظر في معاني الشاعر نجد انها على وجه العموم بسيطة لا تعقيد فيها واضحة لا غموض فيها ولا ابهام ، كما انها خالية من العاطفة . انها لا تستعصى على القارئ ، ولا تضطره إلى التوقف أو إعادة القراءة . ان هذه البساطة تقرب معاني الشاعر من الالذهان ، لكن خلوها من العاطفة يبعد بها عن شدة الاسر والعمق ولتأخذ مثالا لذلك هذا المعنى الكبير الذي يتناوله الشاعر في ابياته الآتية :

انما مصر والعروبة والسودان	ابقى على الزمان عهدا
ما لمستعمر لها من سبيل	ما لمستعمر له ان يكيـدا
لا شمال ولا جنوب ولكن	هو شعب موحد قوحيـدا

قرر الشاعر ههنا ان مصر والعروبة والسودان تربطها عهود باقية بقاء الزمن لكنه لم يبين لنا كيف يكون ذلك ، ولماذا يكون ، ولم يشعرنا كذلك بما يراه في هذا القرار أو ماثيره فيه من مشاعر . قرر في البيت الثاني ان للثلاثة قوة تمنع عنها كيد المستعمر وترد عواذي الاستعمار ووقف عند قراره ولم يبين مصدر تلك القوة ومداه ، ولم يكشف لنا عن الشعور الذي تثيره فيه تلك القوة أو في غيره من المواطنين ، ولم يوضح لنا مايتوقعه من تلك القوة أو مايريد لها من وقع على المستعمر وفي البيت الثالث جاء قرار ثالث لا يسبقه انفعال شخصي ولا يحيط به شعور ملتهب . ان هذا المعنى الكبير من صميم عقيدة الشاعر السياسية ، فقد أعلن ذلك في أكثر من قصيدة الا أنه — فيما نرى لم يتعمق في معانيه فجاء بها سطحية .

وجدت ثقافة الشاعر الدينية طريقها إلى شعره فظهرت في عدد من قصائده الا أنها لم تخرج بمعاني الشاعر إلى رحاب العاطفة الفسيحة ومسارح الخيال الواسعة مرة واحدة انما اضفت عليها شيئا من روح الكتاب الكريم وابانت مدى ما يعرفه الشاعر منه ، وها هي ذى ابيات ضمنها الشاعر آيات أو كلمات من القرآن :

وتعالى ظلمات بعضها	فوق بعض — انها اجلنى الكبير
دقت الساعة وانشق القمر	قمر الصنعة لا اغنى القمر
.....
التقى بها كعصا موسى تلقف ما	قد يأفكون فكان الداعى الاربا

ثزاور الشمس عن كهف وفنته	ذات الشمال ترد الروح ان ذهب
.....
وقل اغملوا فيها مناهج برة	يا ايها الانسان انك كادح
.....
انا في الوحدة شيعى وهل	كجمال من امام منتظر
ان في الوحدة توحيدا وهل	ينكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انها	جنة المأوى وطيب المستقر
.....
وكأن الاله قال لنا في الحرب	كونوا حجارة أو حديد
اخرجوا من بلادنا صوت شعب	كان شيطانه عليهم مريد
.....
قد اشربوا امس حب العجل وافتنوا	واليوم قد نكروا الاظلاف والذنب
ثبت يده ابو لهب فلست ارى	كالغرب يحمل فيما بيننا الخطبا
.....
وقرأت في القرآن قيضنا لهم	قرناء قلت فزين للقرناء
انا وجدنا ريح يوسف	قبيلما تتحرك كان
كم راعنى سبع عجاف	تأكل السبع السمان
.....
دع الوشاة ودع ما يهرفون به	قميص يوسف ملوؤا دما كذبا
.....
وقلت لهم يا ايها النمل فادخلوا	مساكنكم لا تحطمنكم يريد
.....
فقلت للجريد بناكرة	تلك اذن كرة خاسرة

ان الخيال في شعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن يتسم بالبساطة ويتعد عن العمق ناهيك بالحموح . وكثيرا ما احسنا ونحن ننظر في بعض القصائد ان الشاعر لا يرعى لخياله العنان حتى ينطلق فيولد المعاني ويتكرر المشاهد ويؤلف منها مشهدا

واحدا مكتملا رائعا . ففي قضيدته القاهرة المتحررة لا يصل خياله إلى أكثر من تشبيه تلك المدينة الكبيرة العريقة بحسنة « بضعة » ثم يأخذ في تعداد ما تمتاز به المدينة شيئا بعد شيء دون أن يغوص إلى اصول ما عدد أو جذور ما استهواه فيها من بهضة - قال :

شجتنا بالحانها القاهرة	وحيت بأوجيها الناضرة
وجوه على النيل وضاءة	ودنيا جمال بها ساخرة
والقت عصاها والقيتها	كلانا بها ساحر ساحرة
وطارحتها عن شهى الحديث	وجالستها بضعة سامرة
وكم من نواد تيممتهما	فالقيتها خلوة النادرة
لئن كنت في حبها شاعرا	لمصر احاسيسها شاعرة
وجوه الحياة بها غضة	وفلك الحياة بها ماخرة
وفى كل واجهة كسم يد	صناع وفى صنعها ماهرة
وفصحى اللغات على نولها	تحاك وانفالها وافرة
وانت من الارض ام ارضك	السماء وانجمها الزاهرة

كان في مكتبة الشاعر ان يخلق بخياله في تاريخ القاهرة المليء أو في ماضى مصر الحافل ففي كليهما مادة ذسمة وأحداث جسام مختلفات . كل ذلك يمكن أن يستغل الخيال المنطلق فيخلق منه المثير الدقيق المعجب ، الا ان الشاعر أثر التعداد - لذلك جاءت الصور - على كثرتها في قصائده - مفردة لا تعدو تشبيه شيء واحد بشيء واحد حتى ان كان المجال متسعا لصورة مركبة تبدو لوحة رائعة مع انها من الفاظ ، ففي الايات الآتية :

كأن انعكاس الكهرباء عشية	على مائه سيف جلته صياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهه	اسارير وضجاج الجبين تقابله
كأن فراديس الجنان تنفست	بارجنائه لو أن شيئا يماثله

يصف الشاعر النيل وقد انعكست انوار المصابيح الكبرائية في صفحة مائه وهب النسيم مجعدا الصفحة ليتشبع بشيء من رطوبة الماء ثم يمر عريلا بليلا كأنه خارج من الجنان وهذه مناظر متعددة يمكن ربطها ببعضها لتكون صورة واحدة يرى

فيها القاريء أو السامع أوحة جميلة للنيل في الليل ناطقة بجمال الطبيعة الحى . الا ان الشاعر فرقها فافقدها الكثير من الحيوية والجمال . يقال مثل ذلك . عن قصيدته التى وصف فيها الطبيعة فى السودان حيث قال :

كم للطبيعة فى السودان من فن	وكم لاطيارها من سحر الخان (١)
ما أكثر الملهمات الشعر فيه وما	اجدها للاديب الهادم الباني
الرمل عند ضفاف النيل تحسبه	لعمس الشفاه جلاها بفض اسنان
ما للكهارب سلطان على قمر	ولا على الشمس سلطان لبنيان
.....
كم بالجزيرة أوسهل التضاريف من	مزارع حلوة المرأى وغيطان
وقرية ذهبت فى جودها مثلا	ومتل فى تلى آى قرآن
والقوم سمر وجوه يسرعون إلى	ما ينبت العز من اكرام ضيفان
.....
هناك فى كردفان اى متسع	للطرف فى بارة اوارض خيران
حيث البداوة فى احلى مظاهرها	والابل طالعة من بين كئبان
ما اجمل الريف مصطافا ومرتبعا	وغادة الريف فى عين وغزلان
الحد لم تجر موسى فى جوانبه	والجيد من حسنه عن زينة غان

هنا فى هذه الابيات يتغنى الشاعر بجمال بعض مناطق السودان ويبدو مفتونا بمظاهر الطبيعة فى تلك البقاع فخورا باخلاق مواطنيه مما يدل على تمسكه بالقومية السودانية ، لكن هذه الابيات أو القصيدة كلها على الاصح لا تروقنا من الناحية الفنية فالشاعر اتبع فيها طريقته التى تحدثنا عنها من قبل وهى طريقة التقرير والتعداد ، فجاءت مجردة من الانفعال العاطفى خالية من الصور الجميلة الحية .

من شعراء الاتجاه الاتحادى حسن طه (٢) صاحب ديوان « هتاف الجماهير » وقد ضم ديوانه هذا غناؤه لوحدة وادى النيل ، وما نحن اولا فغرض نماذج من

١ - ديوان العروبة

٢ - تخرج فى كلية غردون القديمة وعمل موظفا فى السلك الادارى ثم تركه واشتغل بالتدريس
ولد فى ام درمان عام ١٩١٤ .

شعره ثم تناولها بالنقد فيما بعد .

قال في قصيدة عنوانها « الاسلام » :

ساغنى اذن باغنية النيل	لدى المهرجان فى كل عيد (١)
مزهرى حكمة الخليفة فى النوا	دى وثلوحدة الجليدة عودى
فاسمعونى مع الزمان اغنى	يا لياالى البشير بالعز عودى
واسمعونى مع الحداة اغنى	يا سماء الفخار بالنصر جودى

وفى أخرى عنوانها « ونخزات الضمير » قال :

كل من فى القطر مسجـ	ون وربي وكتابه (٢)
اي فرق بين من	فى السجن امضى فى رحابه
والذى لا يأنف الذ	ل حرى بعقابه
ليت هذا النيل حر	وطمليق فى انسيابه
انا منى لاني	است ذئبا من ذئابه
غسلوه ، كبلوه	جردوه عن ثيابه
ثم هذا مبضع السا	سة عشى فى احسابه
قطعوا اوصلاله كى	يقنموا عند اغتصابه
زار الوادى زئير الـ	أسد فى آكام غايه
انسوا ان الدم المسفو	ح من بعض اخضابه
ويحهم ضلوا سبيل	الحق مالاذوا بيبابه

وفى احد اعياد هجرة الرسول نظم قصيدة جاء فيها :

ما زال عرق العرب فينا نابضا	حيا يعز على النهى ان يبرا (٣)
من مبلغ اسلافنا وهم الالى	قهروا الزمان باننا لن نقهرا
عبث الزمان اذا اراد باهلنا	سوا وابدى ناجديه وكثرا

وقال فى قصيدة نظمها لما دعيت الامم لاجتماع سان فرانسيسكو الشهير :

١ - كتاب الجماهير - حسن طه ٢٥

٢ - انصدر نفسه ٣٠

٣ - كتاب الجماهير ٥٦ - ٥٧

حرية ما اخیلاها غدت وطرا من دونه انخطى جبل او طارى (١)
حرية هي نجوى كل مؤتمر نيلية الاصل سودانية الدار

وقال عن سياسة الحكومة في السودان :

أرأيت كيف الحكم في السودان ينكره القضاء (٢)
ورأيت كيف العدل في ارجائه عمدا يساء
كيف الاسى والذل يفرضه علينا الاوضاع

وقال عن معارضى وحدة وادى النيل :

حسبهم يا نيل نعمى ملثوا منها العيايا (٣)
كلما ارويتمهم زاء دوك هما واكتئابا
كيف يوفونك بالعهد الا الى خانوا الكتابا

وخطب مؤتمر الحريجين في احد اجتماعاته قائلا :

قضية النيل قد فصلتها فغدت حقا يمزق للمأجور دعواه (٤)
فلن ترى النيل اشلاء ممزقة الا اذا غير السكسون مجراه
ليبك مؤتمر السودان امض بنا الى كفاح بنو السودان تمواه
من خلفك الشعب ان شئت الفداء وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
ما انت الا لسان الحال انت له السيف الوحيد الذى لم يبق الاه

وفي احتفال بعيد الجهاد قال :

وحدة التاج والدفاع سلاح يفرق الانجليز منه سدادا
قل لمن يرفض السيادة اعسرا ضا لكى يلبس البياض السوادا
ان معنى سيادة التاج انا سوف نحيا نخوة اندادا

وقال في الاحتفال بيوم التعليم :

الانجليز هم قوم لبانتهم ان يسحقوا الشرق أو تحنى نواصيه

١ - هتاف الجماهير ٦٢

٢ - المصدر نفسه ٦٣ - ٦٤

٣ - هتاف الجماهير ٦٥ - ٦٦

٤ - المصدر نفسه ٧٠

قالوا رفاهية السودان غايتنا
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان
حسب البلاد عناء ما تعاناه
لنا شأن وكان لنا مما نرجيه

نظم الشاعر قصيدة طويلة ودع بها قائد الجيش المصرى ، وقد جاء فيها :
من رسولى إلى الطغاة فكم ذا
افسدوا جنادة الطريق ولو لا
ها هم الغاصبون قد تركوا النيل
غرسوا بذرة الشقاق بواديه
قل لهم حساب سعيكم فذرونا
نحن بعد الجلاء اهل وقربى

وقال فى أخرى :

اجر يا نيل ان شائك اليوم
ان واديك جنة تنهادى
غير ان الدخيل يسلبها الخير
اجر يا نيسل الكنانة ذكر
حقير وانما هو ابتر
فى رباها كما تنهادى الكوثر
ليغنى بخيرها مانسستر
ها بحرية المعز وجوهر

اما قصيدته « باقة الوادى » فقد جاء فيها :

فلتحى وحدة وادى النيل تخرجهم
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب
الشعب افضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل
عنا فيحيا مع الاحياء واديننا
متنا اذن قبل ان تقضى مبادينا
يا ليتهم حكموا هذى الموازيننا
بل انما السيف ذو الحدين مستونا

ومن قصيدة طويلة القيمت فى جمع المظاهرين نختار الايات الآتية :

ان يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده (١)
فاستغل الجهل عوننا واستباح الفقر عبده
واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
واذل النيل بالقوة كنى يمتثل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده

وفي أخرى عنوانها « كفاح الشعب » قال :

فيا شعب وادى النيل حقلك ضائع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه
نحرك مليا ايها الشعب نحوها
فليس الاماني دونها البون شاسع
اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
عليهم جحيما تصطليه المضاجع

خطب الشاعر جمعا حافلا في ليلة سياسية قائلا :

يا شعب جلا دوك هاهم
لم يكفهم انا نكافح
جاءوا اينا كي يرونا
فليس فكروا دمننا الزكي
في السلاح مدججونا
للغذاء مصفديننا
في الدماء مخرجينا
كما يشاء الحاكمونا

وقال في تأيين المجاهد على عبد اللطيف :

فما الموت ان تذهب الروح عنا
ولكنه ان تعيش طليقا
لقد سطر الخلد نارا تلظى
ودونك ان تستكين والا
وان يقبر المرء في الخلد
ونيلك يرسف في قيده
فاروي له الخلد من زنده

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ومن قصيدة وجهها إلى المغفور له السيد اسماعيل الأزهرى لما اعتقل مع عدد من زملائه المجاهدين مختار :

وضع الصبح جهرة للعيان
المواثيق لم تعد تتمشى
والاباطيل لم تعد تتنافى
ورأت مصر عنة السودان
مع باغ يشتط في العندوان
مع ما يدعيه من بهتان

يتضح لنا من هذه النماذج التي غرضناها ان الشاعر حسن طه آمن بوحدة وادى النيل ايمانا قويا فدعا لها دعوة ناثرة : نقول هذا لانه في شعره نقد حكام السودان نقدا مريرا مفصلا فقد ذكر ما يعانيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم ، فالموظف والعامل والزارع ، كل منهم عاني من وطأة الحكم ، وكابد ما كابد من معاملة الحاكمين . مثال ذلك قوله :

كل من في القطر مغبون يعاني اليوم سنده

طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خسده
 فاذا ما صاح فى وجه الطخاة المستبده
 جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجسده
 قال حده فكان السجن والتشريد حده
 ها هو الكاتب فى مكتبه يندب جده
 قد رأى الغاصب يستترفه جهدا وجهده
 ولديه من نعيم العيش ما يعييك سرده
 فاذا ما قال انصفنى غدا التنكيل رده
 غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده
 ها هو الزارع لا يحسنى برغم الكد كده
 حفله الاشواك م الشهد فلا يطعم شهده
 حسبه البؤس الذى اضناه عدوانا وهده
 يحصد العمر أجيرا انما يجهل حصده
 فاذا قلنا لهم اعطوه كى ينقذ ولده
 غالطوا فى اجره قالوا لنا لا شىء عنده
 ها هو العامل منهوك تحال الشن جلدده
 يتفاني كلما اغروه كى يبذل جهده
 فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زنده
 اعرضوا عنه واخلوه يعانى الموت وحده

كذلك ندد بسياستهم فقال انها تحرم على المواطنين الكلام فى شئون بلادهم كما
 تمنعهم التنقل فيها وتحول بينهم وبين خيراتها المباحة لهم بوصفهم الحكام ولغيرهم
 من الاجانب ويتمثل هذا فى قوله :

تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء
 ايان حبل ركابهم فعلى المسرات العفاء
 تؤذيهم ضحكائنا ويسرهم منا البكاء
 قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

قد كمموا الافواه كيلا نملأ الدنيا استياء
وتفتنوا في القيد كي لا نذرع الارض القضاء
وابوا علينا افة الشاكي وصيحات الرجاء
قد اياستنا رحمة الأرض فما شأن السماء

ويبدو لنا من نقده ذلك المرير المفضل ومن تنديده بسياستهم انه لا يرجو منهم خيرا
ولا صلاحا ولا يرى في مسلكهم واسلوبهم في الحكم بارقة امل لذا قال في غضبة
البائس أو يأس الغضبان :

قد اياستنا رحمة الأرض فما شأن السماء

لهذا كله دعا إلى الثورة في عدد من قصائده والحث في الدعوة ، ومن ذلك قوله
لشعب وادي النيل لا لشعب السودان وحده :

فيا شعب وادي النيل حقق ضائع اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضياء عليهم جحيما تصطليه المضاجع

إلى ان قال :

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة وما هو نظم في الحماسة رائع
ولكنه سجن وتقي وشدة وضرب وحرب تصطفى ومواقع

وقال في أخرى :

ها هو النيل المفدى ظل يستجد أسده
ها هي القوة تغلى في دم السودان حده
ها هي النيران تحتاج إلى ييغون وأده
ها هي الثورة كالبركان تدوى بل أشده

وقال حاثا على التضحية :

يا شعب دولك ان تموت وان تعيش مع الدنيا
ساموا لروادي النيل أنفسهم فكانوا خالدينا

انه مخاطب شعب وادي النيل لايمانه بالوحدة وهي في رأيه حقيقة تاريخية وهي

وحدة تكوين واثبت ذلك في قوله :

يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها
مصر هي الرأس للسودان .. لهم
ودعا شعب السودان ووادي النيل إلى الثورة لتحقيق الوحدة في أكثر من قصيدة
ومن ذلك ما جاء في هذه النونية وهو :

يا شعب سر نحو الحياة ونخض
ان كان للحق دون الموت من أثر
بحر الدماء فليس العمر مضمونا
نحيا والا فان الموت يدعونا

وهو في ثورته ودعوته للثورة يتجه احيانا إلى الزعماء يستحثهم على التمسك بها
ويعلن لهم تأييد الشعب واستعداده للقتال ، ويتجه كذلك إلى معارضي الوحدة وهم
— خصومه في السياسة — باللوم والتقريع والاتهم احيانا — اما ما قاله للزعماء فتمثل
له بهذه الابيات التي خاطب بها السيد اسماعيل الازهرى :

وحدة النيل في يديك سلاح
فضحت كل مرجف يتعاصى
كان أمضى من مرهفات السنان
ودعت كل من له وجهان
سر بها مؤمنا فخذلك شعسب
ليس يخشى كتائب الفرسان

واما الخصوم الذين عارضوا الوحدة فقد قال فيهم :

حسبهم يا نيل نعمى
كلما ارويتمهم زرا
ملئوا منها العيسابا
دوك هما واكتشابا
الالى خانوا الكتابا(١)
كيف يوفونك العهد

.....
جل وادى النيل اذيو
وى مع الاسد الذئابا

ومن قوله فيهم ايضا ذا ما ، مهددا :

جواسيس للأعداء عون وساعد
سماسرة هذا يساوم شاريا
ولكن علينا أعين وطلائع
وهذاك في سوق السياسة بائع
وهذا يعنى بالارائك نفسه
وهذاك في ظل الارائك قابع

وان كشفت يوم الحساب المراجع
متى ازدهمت بالكادحين الشوارع

فياويلهم ان يحكم الشعب نفسه
سيلقون عند الكادحين جزاءهم

اندفع الشاعر حسن طه يؤيد وحدة وادي النيل بنفس الأسلوب — هجوم على حكومة السودان يحصى به مثالبها ويعدد أخطاءها ويكشف فيه نواحي قصورها ، ودعوة للثورة يوجهها لمواطنيه مباشرة بأفضل ثم هجوم على الخصوم يضمه نقدا لاسلوبهم في السياسة وشكا في دوافعهم . سار على هذا النهج في معظم قصائده وبذل جهدا في التعبير عن رأيه واحساسه للادباء والاساسة والمواطنين عامة مستعينا بمجموعة من التشبيهات والاستعارات ، وقد جاءت التشبيهات أكثر ومعظمها من البليغ ، وها هي ذى امثلة منها :

من دونه سيفا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها مبصرا

دين الخليفة سيفنا لا نبتغي
وهدي الكتاب دليلنا لا نبتغي

ساد يستجمع القوى ليذبا
وكانت له الكنانة قلبا
تقض الغداة والله نجبا
ريخ حتى غدا اليها وربا

وقف الشعب خلفه وقفة الآ
ان سوداننا هو العين للنيل
هو حبل الوريد بيننا متى نبتره
هو سر الحياة مجده التنا

في رباها كما تهادي الكوثر

ان واديك جنسة تنهادي

يا ليتهم حكمرا هذي الموازينا
بل انها السيف ذو الحدين مسنونا
فلنا الاماني وانخضعنا السلاطينا
ان لم تكوني لهم صابا وغسلينا
كلاهما وحدة جسما وتكوننا
بحر الدماء فليس العمر المضمونا

الشعب أفضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل
فهى السلاح اذا صلتنا بقوته
ماذا يضير الاعادي منك ويحكمهم
مصر هي الرأس للسودان ..
يايها الشعب سر نحو الحياة ونخض

صراعا يرى المستعمرون مضاءه
ولبت حياة المرء الا وديعة

وخاض إلى المجد بحر الدماء
ونادى بوحدة نيل اليلاد

وحدة النيل في يدك سلاح

زأر الوادى زئير الـ

ها هي الثورة كالبركان تدوى بل اشده

فليسفكوا دمنا الزكى كما يشاء الحاكونا
فكانهم بين الوردى اسد الشرى

انت يابن الحسين كالمزن تهطا
انت كالسيف غير انك سيف

ومن استعاراته نورد هذه الامثلة :

ثم هذا مبضع السياسة يحشى فى اهابه

زأر الوادى

ويجهم ضلوا سبيل الحق مالاذوا ببابه

عبث الزمان اذا اراد باهلسنا

قامت حداة الشعب تحت لوائه

عليهم جحيما تصطليه مضاجع
« ولا بد يوما ان تراد الودائع »

فشق الطريق على بعده
مناداة شيخ إلى ولده

كان امضى من مرهفات السنان

اسد فى آكام غلبه

وكأنهم عليم عليه فنار(ا)

لا على الشعب كنم شفيت غليلا
لم يكن مغمدا ولا مغلسولا

سوءا وابلى ناجديه وكشرا

صفا الى ان تجلى المستعمرا

فتفجر الوادى عيوننا ثررة
وانساب وادى النيل كترا خالدا .
الحير يفعم نبعها المتفجرا
يجرى بلحينا أو احمررا

قد كموا الافواه كيلا نملأ الدنيا استياء

جل وادى النيل اذ يؤوى مع الاسد الذئبا

حرية النيل ما إن قد هتفت بها
تراقصت شجنا منها او اذيه

غرسوا بلرة الشقاق بواديه
غضب النيل من منابه العليا
ليجنوا من الدسائس ابا
فشارت له الكنانة غضبي

قل لهم لانقسام مادامت الاحزاب طرا
بوحدة النيل تزار

واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
هاهو النيل المقى ظل يستنجد اسده
هاهى القوة تغلى فى دم السودان حسده

ياشعب جلادوك ها هم
فى السلاح مدججونا

لقد سطر الخلد نارا تطفى
وزلزل ركن الطغاة بعزم
فاورى له الخلد من زنده
تجول المنية فى حسده

تعال لنطفىء الخلف الذى
تعال لنجمع الشمـل
قد بات يستعبر
احاف العقد ينتشر

من رسول الى الطغاة فكم ذا ضاق صدرى بهم وقد كان رحبا

لاحظنا أثناء نظرنا في قصائد الشاعر حسن طه الواردة في ديوانه «هتاف الجماهير» انه وقع في بعض الاخطاء النحوية الا انها قليلة في عددها ويسيرة ولعلها من قبيل خطأ الطبع أو زلة القلم ، وقد يكون بعضها من قبيل الضرورات الشعرية ، ومهما يكن الامر فاننا نذكر منها :

قوله : دعها تقطب وجهها اما انا آليت ألا ارتضى بالهون

انه يحذف الفاء من جواب اما .

وقوله :

كيف يوفونك بالعهد الا الى خانوا الكتابا

حيث جاء بفاعلين للفعل « يوفى » واو الجماعة « والالى » على لغة « اكلوني البراغيث » وقوله :

حي مصر وهنها برجال قد دعوا الشرق للجهاد فلبى

اذغير ضبط الفعل « دَعَوْا » إلى « دَعَوُوا » ليستقيم الوزن . وقوله :

شاهد المصطفى وصاحبه قدما كما رأى بعينه (قيصر)

حيث وضع قيصر بين قوسين لتجيء ساكنة فتستقيم مع قافية القصيدة . وقوله :

كم رأى مسلما يبايع في الله بامواله فلا يستكثر

ويبايع فعل يتعدى مباشرة وهو هنا يتعدى بحرف الجر في . وقوله :

اين الجهاد وهذه أعمالكم جونبول يجملها لكم فتفصلوا

وفيه يحذف علامة الرفع من الفعل « فتفصلون » ولم يسبقه ناصب أو جازم وقوله :

وكان جديرا ان نعاديه مذائي نحاريه طوزا وطورا نصانع

فقد حذف علامة النصب من « نعاديه » وهي الفتحة وسكن الياء وقوله :

كفاحهم فعل مضى فهو ناقص . واما كفاح الشعب فعل مضارع

باسقاط الفاء من جواب «أما» .

وقوله : ولو انصفوا قالوا لحنوبول اننا بغير الذى يرضى البلاد نمانع

حيث توسع فى استعمال حرف البحر - الباء ، فمراده من الشطر الثانى «أنا نمانع فى غير الذى يرضى البلاد» ، ولم نسمع بقولهم «مانع باو يمانع» ولعله استعمال «نمانع» وفى ذهنه «لا نرضى» ليكون مراده من هذا الشطر : «لا نرضى بغير الذى يرضى البلاد» ، أما مانع فغالبا ما يأتى بعدها فى أساليب هذا العصر بحرف البحر «فى» . كذلك اباح الشاعر لنفسه استعمال حرف البحر «من» فى البيت :

وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا من الشعب اطلاقا فما هو نافع

بعد «مؤيدا» وغالبا ما تأتى الباء بعد «ايد» ومشتقاتها ولكننا نقول ان لغة العصر تزخر بمثل هذا الاستعمال - «مؤيد من» و «مسنود ب» وهى لغة الجماهير التى يهتف بها فى ديوانه .

وفى قوله : غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده

استعاض عن «على» بمن ، والمشهور استعمال «على» .

أما قوله : هل فيه ميثاق إلى استقلالكم أم فيه وعد بالخلاء مجلجل فقد حشر فيه الشاعر حرف البحر حشرا ، ولا مبرر لوجوده الا اقامة الوزن اذ يستقيم المعنى بقولنا «ميثاق الاستقلال» ، «واداة الإستفهام» هل «لا يذكر بعدها المباديل الا فى القليل» لكن الشاعر جاء به فى بيته هذا . كذلك اناب الشاعر بحرف البحر «إلى» «مناب» «اللام» فى قوله :

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ثم ان الشاعر فضل بين الصفة والموصوف فى البيت :

ونغفوت فى سنه انفعالات كما يغفوا اخوهم لديه دفين

حيث حشر «لديه» بين «هم» وصفته «دفين» وهى لا تزيد المعنى كثيرا اذ يكفى ان يقول «اخوهم دفين» .

لاحظنا كذلك ان الشاعر لم يتوخ الدقة فى استعمال بعض الكلمات مثل

« ضراب » في قوله :

وما وطني سوى توتي اذا لم اذد عن حوضها يثلم ضرابي

وفي قوله :

جهاد لا يقل له ضراب . واقداما مهون له الصعاب

اذ الذي نعلمه ان « الضراب » هو « الضرب أو المضاربة أو القتال بالسيف »
لا السيف نفسه ، والذي « يثلم » أو « يقل » هو السيف لا الضرب أو المضاربة اللهم
الا ان اراد الشاعر معنى مجازيا لم يخطر على بالنا .

لم تسلم بعض ابيات الشاعر من خطأ صبر في فقد جاء في بعضها كلمات ذات
وزن غير معروف في تلك المادة ومن ذلك « مشهر » في قوله :

دين الخليفة سيفنا لا تبتغي من دونه سيفا صقيلا مشهرا

وفي قوله :

وبلونا في الجهاد فقال الحق للسيف طالما هو مشهر

ووزن « مشهر » مفعّل يأتي من الرباعي « افعل » ولا نعلم كلمة من هذه المادة
« شهر » بهذا الوزن والمعنى ، فلا يقال فيما نعلم « اشهر فلان سيفه » انما يقال
« شهر سيفه » أو « شهر سيفه »^(١) بتشديد عين الفعل وعليه يكون اسم المفعول الذي
يستعمل وصفا على زنة مفعول أو مفعّل فنقول : سيف مشهور أو مشهر . كذلك
ورد في بعض ابيات الشاعر تعابير أو كلمات عامية ، نذكر منها :

يايوم مولده خلافك لم نجد يوما تنير مساءه اقماره^(٢)

« فخلافك » بمعنى سواك أو غيرك كثيرة الورد في اللغة العامية ، ومنها ايضا « لو
من بينكم » في قوله :

لا يرتضيه اخر لو من بينكم حر عليه في الجهاد يعول

فالعبرة « من بينكم » تردّد في حديث عامة الناس كثيرا بلفظها ، وأكثر منه
بمعناها حيث يقال « لو فيكم راجل » . ومثل ذلك قوله في البيت :

١ - القاموس المحيط مادة شهر

٢ - حشاف الجماهير ٣٩

لو عندنا ذهب لحدنا ، لا كما جادوا عليها منه وفضولا

والمثل العامي المشهور « يبكي ماعارف الميت » مضمن في قوله :

قم يا اخا الوادى وارشد امة تبكى ولكن تجهل المقتولا

ومن معانيه العامية ما جاء في عجز البيت :

يا ايها الشعب سر نحو الحياة ونخص ببحر الدماء فليس العمر مضمونا

فكلنا يعلم هذه الحقيقة — حقيقة « كون العمر ليس مضمونا » ، وهي مما يتداوله الناس خصوصا عامتهم في احاديثهم ، وهي في هذا البيت بالذات لا تناسب ما سبقها من معنى كبير . فالشاعر يدعو للثورة ، ويحرض الشعب على القتال فيه الحياة ، وبعبارة أخرى يقول للناس قاتلوا في سبيل وطنكم لتعيشوا فيه عيشا كريما . هنيئا ، فالحياة في نظر جهاد وقتال من اجل البلاد . ولو اكتفى بهذا لافى الا انه زاد « فليس العمر مضمونا » فأسف اذ يبدو للقارىء انه يريد منهم ان يجاهدوا لان « العمر ليس مضمونا » ، ويبدو ايضا انه يدطمهم أو يحضهم على مكاسب عاجلة ، ولو قال لهم ان الموت آت وخير للانسان ان يموت مجاهدا لكان أحسن الا انه لجأ إلى هذا المعنى العامي المعروف فختم به دعوته للنضال .

هنالك بعض اللفاظ العامية ، وهي وان كانت قليلة جدا الا اننا نرى الإشارة

اليها ، فكلمة « عديل » بمعنى مستقيم أو غير معوج شائعة في العامية السودانية وقد جاءت في البيت :

اسد جياع من يرد ترويضها يرسم لها سنن الكفاح عديلا(١)

ان اوزان الشاعر وقوافيه في جملتها سليمة . غير انه التجأ إلى الضرورة في قلة من ابياته (وقد اشرنا إلى شيء من ذلك مع الاخطاء النحوية) ، مثال ذلك قوله :

خبرونا بما رسمتم لنستجلى طريقا سلكنموه فزادى(٢)

حيث حذف علامة النصب — الفتحة — من آخر الفعل (نستجلى) ليستقيم الوزن وفي قوله :

١ - حفاف الجماهير

٢ - حفاف الجماهير

ونظم في تحية المتخرجين الجدد في عام ١٩٢٩ قصيدة طويلة تختار منها : (١)

سوداننا خلف الثرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن المفلدى اننا	رسل المني قد جريت وثباتها
فأهنا بأبناء طغست بقلوبهم	وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت في الرأس عنهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها
يا فتية قامت لهم بحقوقهم	اوطانهم وسرت لهم دعواتها
صوبونا لما عزم الفتوة والقوى	لتزول من صحف الوجود شكاتها
اهلا بصف من جنود عبثت	وتعانقت من قوتها راياتها
قد ابصرت في مقرن النيلين اظنان	المياه تلاطمت موجاتها
فتعلمت منها الكفاح واقبلت	تعدو وزادت بالجهاد دعائها
لا تشنى حتى تجاب لامة	عربية عصرية طلباتها

وفي قصيدته « لماذا التردد » دعا امته لحمل السلاح ، قال :

يا امة آمنت بالذل فاستلمت	نعل العذو وطافت حوله طوفا (٢)
يا امة سدرت في اللهو وارتشفت	خمر الفساد وغطت كأسها صرفا
يا امة نبذ القرآن اكسرها	جهلا وبغيا وغادوا هديه سحقا
أتطلبون نجاحا في الحياة ولم	تستسهاوا الصعب أو تستعملوا المعنفا
لانجح ان لم تسل مهجات انفسكم	فتغسل الظلم والارهاق والعسفا
كفى فقد صار قلبي لا يحبك	وصار لى وطنى السودان كالمنفى

وقال في تحية « احمد حسين » عندما اعترم زيارة السودان :

شعلة انت من وراء الغيوب	رفع الله ضوؤها للشعوب (٣)
فهى فى مصر والشقيقات من جا	راتها قبلة لكل القلوب
.....
انت رغم الجميع قائدتها الاعلى	فخض واثقا غمار الخطوب
ان ترى غير ثورة واكتساح	فى شمال البلاد او فى الجنوب

١ - الشاطئ الصخرى ٤٥

٢ - الشاطئ الصخرى ٥٧

٣ - الشاطئ الصخرى ٢٢٦

وان هددت بالاعبادام شقيا

وان علقنت بالخليل المتين

ستفهم ما أحاول حين ابدو

واشعل غارة الحرب الزبون

وتفهم ما أردد يوم اسطو

واضرب في الشمال وفي اليمين

وانشدكم مقال اخي تمسيم

اخى الامثال والشعر الرصين

« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

متى اضع العمامة تعرفوني »

وقال من قصيدة عنوانها « ما أخافه » :

اني اخاف صحابتي

اني اذا ما مت أن(ا)

لا يستمر جهادنا

ذاك الجهاد المرتين

مستقبل الوادي به

وخلاص ابناء الوطن

ورسم المستقبل بالآيات الآتية :

ونهب نبي للبلاد حضارة

غابت عن الاعجام والقدماء

ونعيش نرفل في هناء شامل

في ظل ملك واسع الأرجاء

طنبت مناحيه بطابع امة

عربية عزت على الاعداء

فيكون موطننا الجنان لاهله

ويتم بين مواطيني هتائي

وهناك تظهر عبقري

يات لكل فتى قمن

دفنت على عهد الطوا

غيت المحركة الفتن

قوم هم الطاعون من

والاهم يوما طعن

دخلوا البلاد مع الجتها

لة والنذالة في قرن

وقال عن الحكم الاجنبي في السودان من قصيدة عنوانها « قسم عظيم » :

لا صلح حتى تستقل بلادنا

ونزيع عنها ضغطة الكابوس

وتجوس خيل الله وسط بلادهم

وتلوسهم بعمرم وزخميس

فتدينهم وتدلون منهم دولة

خداعة اربت على ابليس

ما كان فيهم مصلحون فلعنة

تسرى على الرؤساء والمرووس

اما « مطلبه السياسى » فقد أعلنه فى قوله :

أمل يرف ومطلب منشود	تحقيقه بثباتنا معبود
ان يستقل النيل دون تحفظ	وتنفاك اغلاله وقيسود
ويعود للسودان عهد مشرق	وتعود مصر لاهله ويعودوا
فيرف فى الوادى لواء واحد	يسع العناصر ظله الممدود
ونسير فى التاريخ شعبا واحدا	يمشى على هام الورى ويسود
كيف التفرق والروابط جمة	الضاد والارحام والتوحيد

وخاطب الملك فاروق فى احدى قصائده قائلا :

يا ملك السودان سودان مصر	ليس بد عاما قلت من شاردات (١)
ذاك قطر متم ارض مصر	وهو من مصر من جميع الجهات
كذبت كل دعوة غير هذى	ووشيكاً تموت عوى الطغاة
ونزاه على الضفافين شعبا	واحدا سائرا بهدى الثقة

نلمس فى هذه النماذج التى قدمنا العديد من المعاني القوية . بل انه يمكننا القول بأن معاني هذا الشاعر فى جملتها اتسمت بقوة ظاهرة ولعل منشأ هذه القوة ما كان يغلى بين جنبى الشاعر من سخط على البريطانيين مع ما تردد فى خاطره من افكار ورغبات محورها الوطن والمواطنون . من امثلة قوة المعنى عند الشاعر حسين منصور قوله :

سوداننا خلف الشرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن المفدى اننا	رسل المنى قد جزبت وثباتها
فاهناً بابناء طغست بقلوبهم	وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت فى الراس منهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها

إلى آخر هذه الأبيات التى اوردناها ضمن النماذج ، وفى كل بيت منها نجد ما يشعر بالقوة « فخلف الشرى » توحى بالأهوال والمخاوف التى تنتظر من يريد بالسودان شرا ، وتدل على منعته ، ثم التجلاء الغمرات يستلزم دفعا وانفراجا وهذان

يحتاجان إلى طاقة . أما البيت الثاني ففيه « رسل المني المجربة الوثبات » والرسول مكلف بإداء مهمة معينة فهو مدفوع بقوة معينة . هي قوة الالتزام والإيمان بمهمته ، والمني تكتنفها دوافع معنوية تقيمها في النفس وتحضرها لبلوغها ، وفوق ذلك فلهذه المني وثبات ولا بد من شد أعضاء معينة في الجسم ثم إطلاقها لتتم الوثبة الواحدة فان كن أكثر من واحدة احتاج الأمر إلى جهد بدني أكثر ولا يكون الجهد البدني إلا بشيء من القوة قليلا كان أو كثيرا . مثل هذا يقال في الأبيات التالية ، فقوله « طغت بقلوبهم وطنية » يصور الفوران والغمر والاستيلاء وقوله « لا تنطفئ ثوراتها يصور الاشتعال واللهب المتأجج والدخان المتصاعد ، ومهما يكن من شيء فان هذه الأبيات تزخر بالتعبير عن الدفع والشد والمقدرة الفتاكة ، ويندر أن تخلو قصيدة من شعره خصوصا الوطني والسياسي من مثل هذا التعبير لذلك انتشرت المعاني القوية في شعره . أحيانا نجد شيئا من معاني الشعر القديم وبعض الفاظه لا سيما البدوي منها في بعض قصائد الشاعر الواردة في ديوان الشاطيء الصخري وهاهي ذى بعض امثلة على ما نقول :

ولا قوة عندي لا منع ما أرى	وارفع دون الحق سيفنا مجردا (١)
سوى نفر عند العدو قلائل	ولكنهم ان قابلوا المسوت عردا
وما كثرة الانصار يوما بنافع	اذا حزموا قلبا من الصخر جلمدا

ومن الامثلة ايضا قوله :

وكيف تطيق الغرب هذا وعندهم	حفاظ هزبر يذرع الغاب زائرا (٢)
كفى وتحرك واكشف اليوم غمة	بابيض يوم الروع يبرز سافرا
فما المجد احزاب وهذر صحافة	بل المجد ان ترقى الجماجم ثائرا

وقوله :

لم اجد إلى الخلاص سبيلا	من اناس هم بن تيس وكلب (٣)
فعلى الليث مبلغ الكلب بسل	وحرام ما نيش في ظهر غيب

١ - الشاطيء الصخري ٦

٢ - الشاطيء الصخري ٢٣

٣ - الشاطيء الصخري ٢٥

وقوله :

والناطقين بلحنهم فكأنهم وكأنه عندي نبيب تيوس (١)

.....

ان لم اضارب كل عالج فاجر وألف كرد وسا على كردوس

ويرى الاعادى عصبة عربية ما بين حماس وبين هموس

وكذلك قوله :

وترمين بى الاخطار اعزل لم اخم غن القوم فى بردى عنرة العيسى

وما ذاك أمر دائم بل مؤقت وما الاعزل العادى بمؤتمن الفرس

فسوف يروني غازيا بنسأدق تجول على اكتاف شيعتى الشكس

وقوله عن احد اصداقائه وقد توفي :

وابراهيم مطبوع فاخلق به ان يزحم البزل القروما

.....

خذوا ديوانه وتصفحوه تروا ودقا ورزاما هزيبا

وقد اخرج الشاعر جميع معانيه القوية هذى فى عبارة واضحة قوية وأسلوب رصين يجذب القارئ فيبقى مع الشاعر فى قصائده يتابع احساسه وخلجات نفسه وفى احايين قليلة يلجأ إلى تعابير ضعيفة كقوله :

اتطلبون نجاحا فى الحياة ولم تستسهلوا البصعب أو تستعملوا العنفا (٢)

لأن « تستعملوا العنفا » مترجم عن الانجليزية ، وليس عربيا أصيلا . ان مما اعان الشاعر على اخراج معانيه بتلك الصورة تشبيهاته الكثيرة الدقيقة ، ومعظمها من نوع البليغ وها هى ذى مجموعة منها تأتي بها كأمثلة :

ونعيش نرفل فى هناء شامل فى ظل ملك واسع الارجاع

فيكون موطننا الجنان لاهله ويتم بين مواطنى هنائي

.....

قوم هم الطاعسون من والاهم يوما طعن

١ - الشاطي ، الصخرى ٤١

٢ - الشاطي ، الصخرى ٧٩

.....
رسل المنى قد جربت وثباتها
.....

.....
بحمر الفساد وعاطت كأسها صرفا
وصار لى وطنى السودان كالمنى
.....

.....
رفع الله ضبؤها للشعوب
.....

.....
لا حفظها فقد فقد الحفاظ
وساس الناس اعلاج غلاظ
.....

.....
ان حققت مثلى وعم اخساء
.....

.....
كأن جسداهما حال القلب
نجوما فى المحافل والخطوب
.....

.....
واجهد الاشواق اى جهاد
.....

.....
سيوف الحق للعداى تسيل
.....

.....
يا أيها الوطن المفسدى اننا
.....

.....
يا امة سدرت فى اللهو وارتشفت
كفى فقد صار قلبى لا يحبككم
.....

.....
شعلة انت من وراء الغيوب
.....

.....
سأقذف فى حياض الموت نفسى
ولذا العيش فى ظل الحوينى
.....

.....
هو جتنى وهو النعيم مضاعفا
.....

.....
فاعماق السجون له مقرر
لتعرف فتية بالامس كانوا
.....

.....
لا ثور ثورة ضيغم مستبسل
.....

.....
كأن الشعر من فمهم غضابا
.....

كذلك نيسر للشاعر عدد من الاستعارات الجيدة وكثرت فيها التصريحية وها هي
ذى نماذج منها :

.....
مستهدف فى زأخر بلحى
ملح اجاج طائر النفسى
الا بصف صاحب الدوى
.....

.....
وفى آثاره ابدا شواظ
.....

.....
قضيتها فى شاطيء صخرى
يرمى بالاف من الآذى
لا ينتهى صف من الآتى
.....

.....
وآب الدين يارز مستجيرا
.....

وقوموا إلى الأفرنج نرفع نيرهم

ويرسف في قيود الذل خوفا
ولكن أبكه وأبك لشعب

فاترك للكلاب دما ولحما

يا سماء الحريف لا تتركي
لابسا سندسيه يتهادى

وهل أنا مثلكم احبى مهانا

تخاف يراعنى دول كبار
تفاجئها وتصفعها دراكا
والقميها على القرطاس تسعى

فوحقها ان لم تكن لي مثاما
لأثور ثورة ضيغم مستبسل
حتى يقر الذل شرقا والهموى

إذا ضغط الأعداى ثار منهم
فتزأر زاره يدوى صلاها

خذوا ديوانه وتصفحوه

ونعلى بناء يعربيا تقاصرا

ويأبى ان يفيق مع المفيق
يخاف معيشة الشعب الطليق

واحفظ سالما رأيي ودينى

لاربيع الذى اتى شامتا بي
باسمائي بنوره لا يخفى

وافرش للمعدا خدى اتضاعا

وتخشى عند وخزتها الصداعا
وتكشف عن سياستها القناعا
فتلتقف الدسائس والحداعا

اني لها فى يقطتى وسهادى
واجاهد الاشواق اى جهاد
غربا واسلك بعد نهج رشاد

اسود خلفها شعب ابل
تكاد لها عروشهم تشل

تروا ودقا ورزاما هزيمسا

ويرسلها على الأعداء رجوماً يصيب بهن شيطاناً رجيماً

وسواك يخضب وده ويعيش يضحك بالصحاب

سلمت للشاعر حسين منصور أوزانه وقوافيه ، ولم تقف له على خطأ نحوي أو صرفي أو عروضي إلا القليل النادر الذي لا يستحق التسجيل . فمن الاختلال الوزن قوله :

غير السبات والاستكانة للعدا فمتى تهب وتستكين عداتها (١)

أما صورة فمفرده ، إلا أنه يأتي بها في بعض الأحيان متتابعة فتكون مثل الشريط السينمائي ، ومن ذلك هذه الأبيات وهي من قصيدته « يوم مطير » .

عليه من الشتاء جناح تلج	يرفرف فوق أطراف الضياء
ضللتنا الشمس فيه وراء سحب	تقلع قرب أبواب السماء
كأن رؤوسها مرتفعات	رؤوس العرب ترفع في أباء
كأن رعودها متتابعات	دوى مدافع في الأرض ناء
كأن بروقها متقالات	ظبي أمم تنازع للبقاء

ومنه أيضاً قوله في القصيدة « القلب الطريد » :

يستطير الذكاء منه شعاعاً	ساكباً ضوءه على أقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى	شرطي العفاف في أنبواره
ويفيض الحنان نهراً دفوقاً	يحرف العاذلين في تيساره

وفي القصيدة نفسها جاء قوله :

طال تسياره وآب ولم يحظ	بغسير الكلال في تيساره
فأبى بعسدها القلوب مقيلاً	واستعاض البيوت من أشعاره
يشكى دهره ويولع فيها	من سغير الغرام ألسن ناره
كأحلاماً بالدماء من مهجة القلب	عيون القصيد في أسطاره

ومن صورهِ المفردة المتتابعة قوله في قصيدته « لماذا التردد » :

يا أمة آمنيت بالذبل فاستلمت نعل العدو وطافت حوله طوقاً
يا أمة سدرت في اللهو وارثفت خمر الفساد وعاطت كأسها صرفاً

ووضع الصبور هكذا — مفردة متتابعة يدل على خيال مقتدر امتاز به الشاعر وهو ان
لم يكن خلاقاً — نعى هذا الخيال المقتدر — لانه في الاغلب الاعم اعترف من فيض
القدماء فقد اعان الشاعر على التعبير عن خطرات نفسه وافكاره ويسر لنا تفهمه
ومشاركته الشعور في كثير من الحالات والمواقف..

ان حسين منصور شاعر تائر . ظهرت ثورته في كثير من قصائده وفي معظم
الابيات التي عرضناها في النماذج ، وهو في ثورته يعيل إلى العنف اذ يدعو دعوة
واضحة قوية للقتال في غدد من قصائده ، ومن القصائد التي تظهر فيها الدعوة
بعنفها ووضعها دموية مجلجلة قوله :

فاين صواهل جرد(١)

واين شبابنا المرد

لنسمع سيفهم يشدو

واين قواضب الهند

واين قنابل الايدي

اين ينادق تصمى

هناك مدافع الحرب

تضاعف نشوة القلب

وتر كنى بلا عقل

يطرب الشاعر لفعل هذه الأسلحة التي يسأل عنها في رغبة ملحة وشوق حارق
وينتشي بما تفعله نشوة تذهب بعقله . بدا عنف الشاعر هذا في مواجهة خصومه
ومعارضيه اذ كان يصليهم حمماً من هجائه ويصل به احياناً إلى درجة الاقذاع ،
ولنا ان نتساءل عن السر في هذا العنف — أكان الشاعر يعتقد انه وسيلة لتحقيق
رسالته التي اعلنها في بعض شعره حيث قال عن نفسه :

مجن دون موطنه اديب رسالته التجدد والوثوب (١)
فيغزوه بفن عبقرى ويمنعه اذا نشبت حروب

نعم يعتقد الشاعر الان نجاح الا عن طريق العنف وقد واجه مواطنيه باعتقاده هذا
فى أسلوب يجمع بين التفريع والتشجيع قائلا :

أطلبون نجاحا فى الحياة ولم تستهلوا الصعب او تستعملوا العنف (٢)
لا نجاح ان لم تسل مهجات انفسكم فتغسل الظلم والارهاق والعسفا

يريد الشاعر ان يحقق التجدد لا فى نفسه وانما فى المجتمع الذى يعيش فيه اذ لم يكن
راضيا عنه بل كان ساخطا متبرما فالبلاد فى قبضة حاكم اجنبى سيطر عليها وفرق
كلمة بنيتها . صور الشاعر هذه الحالة فى أكثر من قصيدة ، ومما قاله فى هذا المعنى
اينات منها قوله :

ولذ العيش فى ظل الهوينى وساس الناس اعلاج غلاظ
ومنه قوله :

ولكن ابكه وابك لشعب يعاف معيشة الشعب الطليق
ويرسف فى قيود الذل خوفا ويأبى ان يفيق مع المفيق

لا يرضى الشاعر لبني وطنه ما هم فيه فهو يراهم يعيشون مستعبدين فى بلادهم .
الاجنبى يستذلهم ، فهو يصرف امورهم ولا يستشيرهم ، ويتصرف فى خيرات
بلادهم لينفع قومه وبلده ، اما اصحاب الحق فلا يلقون من تلك الخيرات الا النذر
اليسير ، ويلقون الكبت والعسف والبطش اذا رفعوا عقيرتهم بالشكوى أو طالبوا
بالجلاء . لذلك سكتوا خائفين ، وامتنعوا عن الاحتجاج أو الشكوى فضلا عن
المقاومة ، ولهذا قال الشاعر عن شعب السودان فى ذاك الزمان : « ويأبى ان يفيق مع
المفيق »

وصف الشاعر التأثير حياه وأسلوبه فى النضال وصفا مفصلا اذ بين ملاقاه من
صعاب وما تعرض له من هجمات قوية متصلة لم تلن قناته لها ، بل وقف بدافع

١ - الشاطىء . الصخرى ٤

٢ - الشاطىء . الصخرى ٥٧

ويهاجم غير هياب ولا وجل ، وثبت راضيا معتدا مؤثرا مواجهة الصعاب ،
مقارعا تارة ومقرعا أخرى ، فذاك في رأيه أشبه به وادعى لبلوغه مآربه في
« التجدد والثوب » . أبان كل ذلك في قوله وهي الايات التي تحمل اسم الديوان :

قضيتها في وقفة الابسى ثبت الوقوف نافذ المضى (١)

سنين شر لم تتح لى

قضيتها في شاطئ صخرى مستهدف في زانصر لى
يرمى بالآف من الاذى ملح اجاج طائر النقى
لاينتهى صف من الاتسى الا بصف صاحب الدوى

يسن في انهزامه الوحي

رضيته في سنى الفتى عن خافض من عيشى الهنى
مستشقا في جوه النقى هسواء بانقى الجمسى
يكفى الهواء طيب الحموى وشاطئ تمشيه كالوحي

للتائس المستبسل النزى

رضيته للعز والحورى بصاحب الرسالة النهى
مقارنا بالواضح الحللى مقارعا للقباع الحللى
محاربا في شرعة النسبى اعداءها وكل اجنبى

وفي آخر بيتين من هذه المقطوعة وصف شعره فاخر ابقوته مبينا سبب ما يبدو فيه
من خشونة تظهر احيانا في الالفاظ والمعاني البدوية ، كما تطل من وقت لآخر في
دعوته للعنف وقسوته على خصومه أو في شكواه الاليمة من بنى وطنه — قال :

فان تروا في شعري القسوى خشونة او نقشة الشجى
فانه في الشاطئ الصخرى قرع الصفى ثم بالصفى

قضى الشاعر سنوات من حياته عاشها كواقف في شاطئ صخرى يصيبه ما يصيب
ذاك الواقف ، ويتعرض لما يتعرض له ، ولا بد له والحال كما ذكرنا من سلاح
قوى يزد به الهجمات ، ويكر به على اعدائه . اذلك جاء شعره بتلك الصفات التي
ذكرها ومهما يكن من شيء فان الشاعر وقف حياته هذى على الشعب :

مقدرة خلاقة تستخلص من هذه الأركان الثلاثة - الحاضر - المستقبل - الماضي
صورا وتبعث فيها الحياة ، ثم تربطها ببعض شكلا ومضمونا لتكون شريطا ناطقا
معبرا . ان ذلك الشعر لم يكن كذلك ، انه في الغالب الاعم خطب سياسية منظومة
في أسلوب تزينة البساطة والوضوح وقد وفق الشعراء في ذلك اذ جاروا فيه ذوق
عامة الناس ومستواهم ، وهو على كل حال مساهمة محموددة في الجهاد الوطني
والكفاح السياسي ، فقد كان له دور كبير في تنبيه المواطنين واثارة حماسهم .
انه ايضا اضافة قيمة إلى الأدب السوداني الحديث الفصيح ، فيها اتسعت اغراضه
وصار مجال دراسته ومجال الدراسات السودانية عامة ارحب ، وبهذه الاضافة خطا
الشعر السوداني الفصيح خطوات نحو سلامة المبنى وجودة المعنى .

❖ الاتجاه الاستقلالي :

في حديثنا عن الاتجاه الاتحادي تناولنا انتاج ثلاثة شعراء □□ هم : عبد الله عبد
الرحمن وحسن طه ثم حسين منصور ، وشعراء هذا الاتجاه أكثر من ذلك . نذكر
منهم المرحوم السيد محمود انيس والسيد أحمد سنجر ، وقد نشرت الصحف ابان
احتدام المعركة السياسية العديد من قصائدهما طويلها وقصيرها ، الا اننا لم نوفق
في الحصول على بعض نسخ من تلك الصحف . ولم يصدر لاي منهما ديوان مطبوع
لهذا رأينا ان نكتفي بما تيسر لنا وهو شعر اولئك الثلاثة . أما الاتجاه الاستقلالي
فلم نقف له على شعر فصيح كثير ، وكل ما امكنا الحصول عليه هو بعض قصائد
في ديوان الشاعر يوسف مصطفى (١) التني الذي يضم كتابيه « الصدى الاول و
السراير » ، وليس في وسعنا الجزم بأن هذه القصائد هي كل ما نظم في تأييد
الاتجاه الاستقلالي والدعوة له ، فقد كان للحزب الاستقلالية صحافتها وكتابها
وفيهم ادباء وشعراء مرموقون معروفون الا اننا لم نجد نسخا من الصحف الاستقلالية
في مظاهرها ، ولم نجد ، كذلك في دواوين الشعراء الاستقلاليين المعروفين المرموقين
التي اخرجتها المطابع ، شيئا من شعرهم يدعون فيه للاتجاه الاستقلالي ويؤيدونه به الا
ديوان التني ففيه شعر يرفض به الشاعر الارتباط بمصر ويفضل لبلده الاستقلال ،
كما فيه شعر الوطنية الملتهبة ، وها نحن اولاء نعرض نماذج نختارها من بعض

١ - توفي في أبريل سنة ١٩٦٩ .

قصائده الواردة في ديوانه (١) ! قال في قصيدته « ثورة شاعر » ينعي على مواظنيه
قعودهم عن العمل الوطني :

فشلت أمة ينام بنوها
هام بالجاه والثراء كبير
قنع الشعب بالكفاف ركودا
لاطماع إلى العلاء أكيد
أمة خيم الجمود عليها
وقال في أخرى بأسي لما اصاب وطنه .

وطني شقيت بشييه وشبابه
قد اسلموك إلى الحراب ضحية
وطني تنازعه التحزب والهوى
هذا ينكيد له وذاك طغي به

لم يعجب الشاعر حال بلاد المشرق عامة وهي وطنه الأكبر فقال في قصيدة عنوانها
« المشرق جنة الله » :

وفجر الله فيها كل دافقة
فاشرق البيت في نبطحاء مكنتها
وابلغ الدهر « عيساهها » واحمدها
منارة الحق من فرقائها سور
بها من الأثم والعدوان تطهير
كما تلاء في اقداسها العطور
رسالة الله فانجابت دياجير
ومن فلاسفة الاسلام تفكير

أما الاتجاه الاستقلالي فقد ظهر واضحا في ابيات من قصيدة نظمها تهنئة لصديق
بمنصب الوزارة ، وها هي ذي الابيات :

وما كان عرفانه للصنيع
فان هب قوم يعينونها
فليس جسر أو همم ان تتول
لينسيه امته العانيه (٢)
لارجاع حرية غالية
إلى من اعان على الطاغية

الثنى ، دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٥

الثنى ٢٧ . في الديوان « ينوم بنوها » ، ولعله من خطأ الطبع .

فما عتق العبدان صار عبدا لكف مدللة حانية

ان اول ما يلاحظه الناظر في شعر التني الوارد في هذا الديوان هو قلة القصائد السياسية ، ففيه واحدة ، وهي التي جئنا منها بالايات السابقة ، يرفض بها الارتباط بمصر ، وفي الديوان قصائد عاطفية ووطنية ، وفيه قصائد أخرى . أما الوطنية — وقد اخترنا نماذج منها في ما تقدم — ففيها الثورة المتقدمة اذ لم يكن الشاعر راضيا عن واقع الحياة في بلاده ، وفيها السخط الدفين الاليم لان بني وطنه تفرقوا احزابا وشيعا وغفلوا عن بلادهم وما تحتاجه في حاضرها ومستقبلها . لم يوجه الشاعر في اى من هذه القصائد الوطنية اى قدر من ثورته أو سخطه إلى البريطانيين بوصفهم حكاما اجنيين ، ولم يتعرض كذلك لسياستهم في البلاد من قريب أو بعيد الا انه ذكر « العدو » الذي يعيث بوطنه ولم يبين من هو العدو ولم يوضح كيف يعيث ذلك العدو ، جاء هذا في قوله :

وطنى يعيث به العدو ولا ترى من دافع عن حوضه ورحابه (١)

كما أعان في نفس القصيدة خوفه على بلاده من الدخلاء ولم يبين لنا من هم هؤلاء الدخلاء أهم الحكام أم هم الاجانب الآخرون الذين ربطتهم بالسودان منفعة خاصة وجاء اعلانه هذا في قوله :

أو طهر السودان من دخلائه لتطهر السودان من اوشابه
لطفى على السودان من دخلائه لطفى على السودان من احزابه

لم يحاول الشاعر في قصائده تلك ان يثير مشاعر مواطنيه بتصوير مساوئ الاجنبى وتأليبهم عليه ، كما انه لم يدعهم للثورة ولم يزين لهم الحرية والاستقلال . اننا لاحظنا ان شعراء من الذين نظموا في الوطنية والسياسة مجدوا ما ضى العروبة والإسلام وللسودان فيه نصيب ، يريدون بهذا التمجيد الطاب الحماس الوطنى ، كما لاحظنا ان نفرا من اولئك الشعراء استغلوا بعض الاحداث الوطنية المعينة لتبوير المواطنين واشعال جذوة الحماس في نفوسهم . غير ان الشاعر التني لم
انما لجأ إلى تقريع مواطنيه واظهار اليأس منهم ومن جهودهم ظنا من
اجدى وافعل في اثارة الحمية من سواه .

ليس في معاني الشاعر التي جاءت في قصائده الوطنية والسياسية ما يثير أو يدعو إلى الوقوف والتأمل ، والخيال فيها فاطر ، يبدو ان يأس الشاعر كبح جماح خياله ولم يعنه على الانطلاق . اما القصائد الاخرى ففيها من المعاني ما يحمل القارئ حملا على التوقف عندها يتحقق منها ويتصورها ، ومن امثلة ذلك قصيدته «عبوس» التي قال فيها : (١)

أعبسى لي ، ففي العبوس ابتسام
بحمال منوع البسمات
وادفعيني ، ففي الصدود اقتراب
من معاني جمالك الاشتات
ايه وادعني على دون جنان
فدعاء على منك يواني

يخالف الشاعر ههنا الشعراء العشاق الموكلين بالجمال والادباء المفتونين بالحسن والمأخوذون بروعة ما ابدع الله وما اودع في بعض خلقه . كل منهم يطلب الوصل وكلهم يتحرقون شوقا لبسمة من ثغر الحبيب الجميل ، لكن التي يريد العبوس ويرغب فيه رغبة مسببه ، يريد لان فيه ابتساما يكشف عن مفاتن من أنواع أخرى في ذاك الجميل . وهو يطلب الصدود ويعزل طلبه بان صدها يقربه من معاني جمالها اذ هي المعاني البعيدة السامية التي يتعلق بها عشاق الجمال المعنوي ويسعون للاقتراب منها ، وكلما صدته هذه الحسناء ازداد تعلقه بتلك المعاني وشغل بها وملكته عليه اقطار نفسه فتبدو له والحالة هكذا ، قريبة دائية ، يقول الشاعر في نفس القصيدة :

مرحبا بالعبوس فهو ضياء
قد جلا لي مخاضن القسمات
مرحبا بالدعا تشابه فيه
اذا العود رنة الكلمات
انا اعطى لكي انا كئيبا
واصفى من الاسى فرحاني

مرة أخرى ينتهج الشاعر للعبوس لانه يحلو القسمات فيكشف امام عينيه نور الملاحاة وبهاء الحسن وروعة العظمة في غضب الجمال أو جمال الغضب ، ثم يرحب بدعائها عليه لان كلماتها التي تدعو بها عليه ترون رنيناً يقع في سمعية موقع انات اوتار العود — ان عبارات صوتها انغام فهو يعطرب لها ويتلذذ بسماعها وان اعلنت له عن السخط وانذرتة بالشر — لم يطلب الشاعر كل هذا ويلج في الطلب ؟ لقد اجاب في البيت الثالث :

انا اعطى لكى ازال كثيرا واصفى من الاسى فرحاني

يقف القارىء متأملا ايضا عند قصيدة الشاعر «فكرة فى الحب» (١) ففيها يقول :

يحدو المحب إلى العليا فأنه	فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى
إذا أصبت رضا حبيبى فان نزلت	بى الخطوب تجلنى ناعم البال
وإى خطب تحس النفس صدمته	والنفس تخرج فى ظل الرضا الوالى
غدا سيدفعنى حبيبى بنشوته	غدا سينصرفنى حبيبى واعمالى

هنا يجعل الشاعر الحب حافزا لعظمائم الامور وجلائل الاعمال ، وقد يوافقه فى هذا كثيرون ، لكنه جنح إلى المبالغة فنفى النجاح عن كل من خلا قلبه من حب ، وذلك فى سؤاله « فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى ؟ » ان الحب لن يكون الحافز الوحيد ، ولنا دليل تأخذه من البيت الاخير الذى يضيف فيها عاملا آخر من عوامل النصر او الانتصار أو النجاح ، وهذا العامل هو « الاعمال » .

هنالك قصيدة أخرى تستوقف القارىء فهى تهوية صوفية ، كما أنها وحيدة . فيها يبحث الشاعر عن « المثل الاعلى » ، ويعترف بأنه سائح ، وأن سخطه كثر لان المثل الاعلى الذى ظل يبحث عنه ويتمناه بوصفه فتى حرا هو الله ، فكيف يضيق بالحياة ويسخط وفى الحياة مجال البحث عن المثل الاعلى وسيله ؟ فى ختام القصيدة يسأل الله ان يغفر عنه ويغفر له كفرة هذا الذى اعترف به ، وهامى ذى بعض ايات منها :

وعدت ايم بالارواح	فى علنى وفى سرى (٢)
أليس المثل الاعلى	منى نفس الفتى الحسرى
كفاني طيفه الذهبى	فى احلامنا يسرى
كفاني الظمأ الروحى	احسوه على الاثر

هذه نماذج من المعاني التى ضمنها التنى قصائده غير الوطنية وغير السياسية ، وهو فى هذه القصائد وفى أخرى سواها يسلك سبيل الشعراء الرومانسيين ، وخياله خيالهم ، فهو « يغرق فى عالمه العاطفى مستغلا كل المواد الرومانسية المعروفة فيه

١ - ديوان التنى ١٧

٢ - ديوان التنى ١٩

من الطيف المذهبي وشتى أنواع الاطيانف ، والقمر القضي والضياء والظلال والغمام
والضباب والنسيم والورود والانغام وغيرها من عناصر الطبيعة اللينة الرقيقة الحاملة (١)
الا ان هذه المواد لم تتح لشعر التنى صورا مركبة فجاءت مفردة ويظهر ذلك في
تشبيهاته وأكثرها من التشبيه البليغ وهما هي ذى امثلة منها .

حكمة انت ما ترشفت منها	رشفة لم تزد جموح ميولى
ان موتا لاجل ذاتك خلد	اوراء الخلود من مأمول
مرحبا بالذعا تشابه فيه	انة العبود رنة الكلمات
.....
ذاك الملاك الذى بالامس قد	شخصت له العيون با كبار واجلال
.....
اعرف الانسان ذيبا	واعرف الشهوة جوعا
.....
غزلوا من الليل البهيم خيوطة	ومن الضحى نسجوا لنا لمعانه
فسها كما تسهو النواظر للرؤى	والخاطر المفجوع فى فئانه
.....
نشرت على بحر الحياة اشعة	فتبددت بك فى الحياة دجننى
.....
منارة الحق فى فرقائها سور	ومن فلاسفة الاسلام تفكير
.....
اصبحت كالظلل القديم جلاله	فى انه ذكرى جلال أول
.....
كيف اسلوك فاني طائر	ما عرفت الخلد الا فى ذراك
.....
شهدت لهم وقفات الاسو	د تذود عن الوطن العاديه
.....

مثلما قد انكروا من لونه
وتظهر صورته المفردة في استعاراته ، وها هي بعض أمثلة لها :

كيف اشفى بالله منك غليلي
حكمة انت ما ترشفت منها
او تمليت من سنائك جديدا
فأض حيى وحر فيك دليلى
رشفة لم تزد جموح ميولى
لم يجب فى المبههم المجهول

وتبدد اليأس المقيد خاطرى
كم ظهرت قلبا سوى قلبى من
وتشربت روحى الضياء فما ارى
ونشرت آفاق الصواب لنظري
الجليل الدفين ومن بدور الشدة
هذى الحياة سوى هوى ومسرة

رقص الشر يا حبيبى لما
وازدهى اليأس ما يشاء ونادى
ابصر الشر حالتي المنكوده
من قران الجحيم نادى جنوده

امة خيم الجمود عليها
وعداها النهوض والتجديد

تدفق النور من شماء قبتها
وفجر الله فيها كل دافقة
فاشرق البيت فى بطحاء مكنتها
وابلغ الدهر عيساهما واحمدها
واينعت فى روايتها الازاهير
بها من الائم والعدوان تطهير
كما تاللا فى اقداسها الطور
رسالة الله فانجابت دياجير

وطنى شقيت بشييه وشبابه
قد اسلموك الى الخراب ضحية
زمن سقاك السم من اكوابه
واليوم هل طربوا لصوت غرابه

فشربنا من افويق المسوى
سكر روحينا وما احلى طلاك

ليهنك ان عشت حتى تراه
وقد نفص الحيلة البالية

واليس عزته واستعاد مكانته الفذة السامية

لا يكاد من يقرأ شعر التنى يلمح اثرًا ظاهرًا لقدامى الشعراء ويبدو انه « تخلص من المدرسة القديمة واخذ يتأثر طرائق المدرسة الحديثة وهكذا فانت واجد اثرها واضحا في ديوانه لاسيما اثر العقاد » (١) يبين هذا الاثر في بعض قصائده ذات الروح الفلسفية ومنها تلك التي سماها التوحيد :

عددت في دين الغرام مذاهبي من بعد ما عددت من اربابي
وكذلك قصيدته « عبوس » و « صلاة الفيلسوف » .

لم تسلم لغة الشاعر التنى من المآخذ ، فكثيرا ما يخالف قواعد الصرف ويأتي بكلمات — افعالا واوصافا ومصادر — في اوزان غير معروفة في اللغة السليمة الفصيحة ، وذلك مثل « افشال » في قوله :

ان الحبيب عزاء النفس لو فشت فلن تلين لافشاق وافشال
ومثل « المتهم » وهي من العامية السودانية — في قوله :

قدر اذل من التراب وصاغه واحط من قدر الفتى المتهم
ومثل « اماسيه » وهي ايضا من العامية السودانية — في قوله :

على جبل من الوادى اغاديه اماسيه
و « يضوى » — وهي معروفة في العامية السودانية — في قوله :

يضوى على قسماتها نور الملاحه والفصادة
وكذلك « الفصادة » . ثم « الملاحه » في قوله :

فاتيت محكمة الضوامر والمشارف والملاحه
ومن هذا ايضا « ثميلة » — وهي وزن غير معروف في هذه المادة — في قوله :

وتثنت منك للعود على الايقاع اعطاف ثميلة
ثم « حذور » — وهي وزن لم تقف عليه في هذه المادة — في قوله :

رأيت بعيني الفخاخ معدة لحسبك فاحذر والكريم حذور

١ — ديوان التنى المقدمة ٩ . م . أ . محبوب

ومنه استعمال الفعل الماضي « اعاب » في قوله :

وانت مساك حجتة اذا ما اعابوه بفقر في الرجال

ولم نسمع بهذا الوزن من قبل في مادة « عاب » . اما النحو فاخطاؤه فيه قليلة نذكر منها البيت :

لكي تلقين ما القى وكي تجدين ما اجد

وفيه اثبات نون الرفع في الفعلين « تلقين » و « تجدين » رغما عن سبق كليهما بـ « كي » وحققنا ان تحذف علامة على النصب بان المضمره بعدها والفعل « اجد » ياتي مرفوعا في هذا البيت بضممة على آخر الدال وهي اى الدال في الايات قبله تأتي مفتوحة لان وضع الكلمة يقتضى النصب وها نحن اولاء نورد تلك الايات :

هو الحب فلا ترضى لقيد ان يقيده
وان طاف بجنته دخيل فابترى يده
عبرنا امسه عطرا نديا فاطلعي غده
لكي تلقين ما القى وكي تجدين ما اجد

ان اختلاف الحركة ههنا — حركة الدال — يعنى عيبا في القافية ، ومن عيوب القافية في شعره قوله في هذا البيت :

ولي حرمة محروم ولي حيرة مشدوه

وهو من قصيدته التي يقول فيها :

أهذا وجهك الوضاح في حلو تجليه
وهذا طرفك اللماح في سحر مآقيه

في هذه القصيدة نفسها لجأ الشاعر إلى الضرورة فسكن ما يجب فتحه لموقعه في الاعراب وهو الياء في « مراسيه » في قوله :

لقد خف بنا الذين وقد القى مراسيه

وفي البيت الآتي اضطر الشاعر لتسكين آخر المفعول المطلق « تراءى » من أجل الوزن :

ثم ينأى عن العيون بعيدا يتراءى لنا تراءى الآل
ومن الضرورة قوله :

أقفر بعدك والله الليالى يا أبا سامى يا زين الرجال
حيث أظهر الكسرة - علامة الجرح - فى « سامى »

واضططر الشاعر فى هذا البيت :

قوم تحذوا الدهر ان يبدى لهم عيبا فعاد بذلة المهزوم
إلى ضم الدال فى « تحذوا » وحقها الفتح مع تسكين الواو لان الفعل معتل بالالف
- فعل الشاعر ذلك ليستقيم وزن البيت . لم تخل قصائد كثيرات فى ديوان التنى
من اختلال الوزن فى بعض آياتها ، مثل :

ألمى عفوك السابغ كاد يضلنى فكرى
ولكم نصبتك الفنون جميعها ودعتك بالمثل الرفيع الامثل
قيل قد سبحت اله النصارى قلت سبحت باسمها فى قصيدى
فقد ابصرت كم قلوب كبار يفيض بحبك ايمانها
هذه خامس دوراتك يا عيد فاهلا كلما درت ستلقاني كما تعهد قبلا
واذا راجعنا « قصيدته (رقة الوظيفة) نجد خمسة آيات مكسورة من بين آياتها
الثلاثين « (١) وهى :

وعليه فى كل ما يأتيه	او ما يقول همسا رقيب (٢)
اثقل الفقر كاهلا منه با	رواح حياتها من شقائقه
ان يحاظر بها يحاظر لا	حربائه وحدها ولا ندمائه
فهو ما بين برها وامانيه	طول الحياة حيران تائه
.....

ينقضى العمر وهو مدى العمر بحرب تعج بين الضلوع
ها نحن اولاء قد عرضنا ونقذنا ما انخرجت لنا المطبعة مسن شعر الاتجاه
الاستقلالى الفصيح . انه قليل ، قصيدة واحدة بل جزء من قصيدة ، ولكنه يمثل

١ - الاتجاهات الشعرية فى السودان - النوى ٩٨

٢ - ديوان التنى ١٠٨

ذاك الاتجاه خير تمثيل . ففى هذا الجزء وعدته عشرون بيتا يقر الشاعر بصنيع مصر الذى يتجلى فى معاونتها السودان على التخلص من البريطانيين لكنه يرفض ان تنقضى مصر أجراً على عونها ، لانه من قبيل عون الاخ لاخته ، ولا يليق عرفاً وانسانية ان يأخذ الاخ كجراً على معاونته أخاه يرفض الشاعر الحرية ان جاءت شركة ، ويمضى فى ما تبقى من أبيات يدحض حجة الارتباط بمصر متسائلاً تارة ونجيباً أخرى ثم مقرراً ضارباً الامثلة فى عبارة سهلة واضحة صريحة لامدراة ولا مجاملة واخيراً وبعد تلك المحاجة والبرهنة والامثلة يحتتم التنى قصيدته متأماً شاكياً فهو لا يرفض الارتباط بمصر فحسب ولكن الدعوة له والمطالبة به تؤلمانه لما ممضاً وهذا يتجلى فى قوله :

أبا خالد ! تلك بعض الشجون وجئت ابثك اشسجانيه (١)
فليس يداوى جراح القلوب سوى كفك البرة الآسية

ان ابيات التنى تمثل كما قلنا الاتجاه الاستقلالى فى الشعر ، وليس من الانصاف تقويم الشعر الاستقلالى كله بقصيدة واحدة . الا اننا لم نجد غيرها فى دواوين الشعراء المرموقين الذين عرفوا باتجاههم الاستقلالى ووقفهم مع احزابه ، ومهما يكن من من شىء فالفصيدة أو الابيات قوية فى مدلولها الاستقلالى فهى ترفض رفضاً معللاً تؤيده الامثلة ، وصاحبها ذو مكان مرموق فى المحيط السياسى الاستقلالى وعليه فلا مفر من الحكم بها على شعر الاتجاه الاستقلالى كله . انها بحاجة سياسية يرد بها الشاعر على دعاة الارتباط بمصر بغية اضعاف موقفهم بين الجماهير واظهارهم بمظهر المفرط فى حقوق المواطنين وحرية الوطن ، ولهذا نراه يبرهن ويعلل ويمثل لكنه لا يغوص للمعاني فى شىء من ذلك بالمرة ، وفى الوقت ذاته لا يصور تأذى المواطنين المعنوى والحسى من دعوة الارتباط ومن تحقق تلك الدعوة تصويراً واضحاً مؤثراً بل اكتفى بالتقرير فجاءت ابياته كخطبة سياسية بسيطة اللفظ والأسلوب لا كبحر الاديب فيها متعة ذهنية — لقد فات على الشاعر ان يستغل المستقبل فيذهب بخياله بعيداً يصور ما يكون عليه حال الوطن والمواطنين فى عهد الحرية والاستقلال المقبلة ، ويعقد فى خياله مقارنات بين الصور التى يرسمها بقلمه للسودان المستقل

والسودان المرتبط بمصر الا انه أثر الحاجة والحجيج على الصورة الفنية. ولعله يراعى بهذا الذوق العام ومستوى جمهرة الامة السودانية .

لاحظنا ان الشاعر التني تجنب — في هذه الايات وفي قصائده الوطنية — الاشادة بماضى العروبة والاسلام — بل انه انكر ذلك في احدى قصائده حيث قال :
لا قديم من المحامد يوحى لا جليل من الفخار جديد (١)

وليس في وسع احد ان يجزم بأن الشاعر انكر هذا الماضى لانه احد اركان دعوة الارتباط بمصر أو لانه ضاق ذرعاً « بتنوع امته وركودها » فجردها في قصيدته من محامد كثيرة ليشهد عزائم بنيها : وليس لاحد ان يقول بان التني لا يعترف باجماد الشرق وهي اجماد العروبة والاسلام فقد نظم الشاعر قصيدة عنوانها « الشرق جنة الله » وفيها يقول :

وجنة الله حبي الله جنته	ما بالنا لا تواتيها المقادير (٢)
في الفجر من عمر هذا الدهر نستقها	فحدثت عن ايديه البواكير
قد ارسلت نحو اهل الغرب ومضتها	والغرب في جهله المضروب مغمور
رقته بالنور حتى شد واهنه	أليس يرقى بآي الله مسحور

١ - ديوان التني - قصيدته « ثورة شاعر » ٢٧-٢٨

٢ - المصدر نفسه ٢٥

الفصل الرابع شعراء الوطنية المحدثون

سجل. استقلال السودان :

كان استقلال السودان عبر العصور مثار وحي الشعراء من ابنائه فقد نظموا - فصيحهم وعامهم - قصائد وطنية سياسية يدفعهم حبهم لوطنهم وغيرتهم على شئونه ثم نفورهم من سيطرة الاجانب وما تجرته عليهم من ويلات حسية ومعنوية نظم كل منهم في الاستقلال وفقا لما تقتضي الحال - بعض دعا للحفاظ عليه بالتقدم للقتال والثبات في وجه المعيرين كما فعلت مهيرة بنت عبود لما نظمت ابياتها بالعامية تثير حماس المقاتلة السودانيين ليدودوا عن حياضهم ويمنعوا تقدم الجيش التركي الزاحف لاحتلال اراضيهم ، أو كما فعل احد شعراء الفونج برثائه مملكة سنار التي ذهبت ، وكانت مظهر سيادة وعزة ، وكان ملوكها عونا للعلماء والأدباء ولما قوضت جيوش محمد علي ازكائها افتقد الشاعر مظاهر تلك العزة فتألم ودفعه الله إلى تسجيل مآثر تلك الدولة شعرا اظهرا لفضلها فقد يكون في قوله ما يذكر المواطنين ويثير حماسهم في يوم من الايام فيهبون لاسترداد ما فقدوا .

شارك شعراء المهديّة بقصائدهم في الحفاظ على الاستقلال بالدود عن مكاسب دولتهم ، فنظموا القصائد العديدة مخاطبين رأس الدولة مرة ، والامراء مرة أخرى . فلما ذاع خبر دخول الانجليز الاراضي السودانية ابان حكم الخليفة عبد الله التعايشي ثارت شاعرية بعضهم فنظم شعرا يحذر ويدعو لصد العدو ومنعه من التقدم إلى داخل البلاد . ان مراده من ذلك هو الابقاء على الدولة التي آمن بها ، وقوام هذه الدولة مواطنون سودانيون ، ارتضاهم هو وغيره حكاما وقادة فصارت السلطة في أيديهم ومعنى هذا ان البلاد استقلت وانفردت بتصريف شئونها ، وبما انه ارتضاهم وعمل على توليهم فلا بد ان يعمل على بقائهم وهو بقاء الاستقلال لذلك هب يستعمل سلاح الشعر ليذكي شعلة الحماس في زملائه فيهبوا معه لحمل السيف دفاعا عن سيادة الوطن وعزته .

فقدت البلاد استقلالها بعد انتصار جيش كشنر ورفع علمى دولتى الحكم
 الثنائى - بريطانيا ومصر . هذا الحكم ادخل انظمة ادعى انها للنفع العام ، ثم ابتدع
 سياسة معينة لادارة شئون الحكومة الجديدة ، فشغل الناس بتلك الانظمة وفرقت
 تلك السياسة كلمتهم ، والهى التناحر الحزبى فريقتا منهم عن مصير بلادهم امدا
 طويلا . الا ان البلاد لم تعدم المخلصين بعيدى النظر الذين لم يتخذوا بأساليب
 الحكام الجدد ، بل تنبهوا لها واتخذوا ييصرون مواطنيهم بها . لم تعدم البلاد كذلك
 الثائرين المتحمسين ، ومن هؤلاء من اغضبهم تسلط الاجانب فرفعوا راية العصيان
 وحملوا السلاح وحاربوا السلطة الجديدة وهم أقل منها عددا وعدة واضعف ،
 وكانت الغلبة للاقوى ففضى على تلك الهبات ، وتكل الحكام بمديريها واتباعهم
 قتلا وسجنا وتشريدا وبهذا اوقفوا المقاومة الحربية التى اراد بها اصحابها اظهار
 سخطهم على الحكام واعلان رفضهم سيطرة الاجنبى . اما مقاومة البيان (الكلمة)
 التى حمل لواها فريق من المواطنين فى جمعياتهم وأنديتهم وفى الاعياد الدينية
 فاستمرت ولم تتوقف . وكان للشعر قصب السبق اذ نظمته الشعراء قصائد عديدة
 والمقوها فى المحافل بغرض اذكاء روح الوطنية واثارة سخط الاهلين على الحكام
 الدخلاء .. كان لالقاء القصائد والخطب فى المناسبات الدينية - كما قدمنا - وقع
 كبير فى نفوس المواطنين قبل ثورة سنة ١٩٢٤ وبعدها ، وكان وقعه فى نفوس
 الحكام اليما مزعجا مما حدا بهم إلى ابتداء وسائل تحد من اثر هذا السلاح - سلاح
 الأدب - الذى شهرة بنو السودان وظلوا شاهريه ردحا من الزمن فى سبيل استقلال
 وطنهم إلى ان قام « مؤتمر التحرير » وصار له شعراؤه (١) وتبعته الاحزاب وظهر
 شعراء يؤيدونها ويدعون لها على نحو ما ذكرنا فى فصول سبقت من هذا البحث .

ان الشعر السودانى فى جميع اطواره شارك فى بث الروح الوطنية واذكاء
 الحماس . بدأت هذه المشاركة فى الزمان القديم ، واستمرت فى العصور المختلفة
 التى عبرتها الحركة الوطنية إلى ان وصلت غايتها بتحقيق الاستقلال . شارك الشعر
 ايضا فى خلق الوعى السياسى وترقيته بالدعوة لبعض الاتجاهات السياسية والدفاع
 عنها ثم بنقد اعمال الحكومة وخطوطها نقدا مريرا مفصلا ، كما جاء فى شعر حسن

١ - منهم الشاعر المهندس « على نور » ولم يخرج ديوانه بعد

طه وقد اشرنا اليه في حينه. كان بعض الشعراء في تأييدهم ودعوتهم يتعرضون إلى تاريخ العروبة والاسلام مشيدين بالامجاد القديمة ، يريدون بالاشادة جعل الامجاد وذكرها حافزا للجهاد في سبيل استقلال الوطن واساسا متينا يقوم عليه المستقبل وما فيه . فالسودان عندهم جزء من العالم العربي ، ونصيبه في تلك الامجاد يؤهله لمستقبل مشرق ومكانة كبيرة بين دول العرب وبهئته لاحتلال مركز مرموق بين دول افريقية ، لان التراث الحضارى الذي دخل السودان في الاخلاق والعادات العربية وفي التعاليم الاسلامية والفكر الاسلامي ، وامتزج بعد دخوله بما كان عليه اهل البلاد ، كفيل بايجاد امة قوية عاملة متماسكة ، جدير بخلق نظام سياسي فريد يربط تلك الامة باصولها ويقرب البلدان الافريقية من العرب . من الشعراء من اغفل ذلك الماضي في شعره ودعا إلى كيان منفصل ، فهل اغفلوه انكارا لذلك الماضي ولنصيب السودان فيه ، هل السودان عندهم بلد افريقي جغرافيا فيجب ان يستقل بكيان خاص وان لا يرتبط بكتلة أو جهة ما ، أو ان السودان افريقي عربي وعليه ان يبقى على افريقيته وعروبه معا دون ان يغلب واحدة على الاخرى .

السودان بين الاعتبارين الجغرافى والقومى :

التقى في هذا القطر — السودان — من الحضارات ما لم يلتق في كثير من بلدان العالم . فقد عرف الحضارة المسيحية في شماله ووسطه من قديم الزمان بابتنيها وتماثيلها وروحانياتها ، كما عرف الحضارة الافريقية في اصقاعه الجنوبية بطقوسها وفنونها وقبلتها . جاء العرب إلى هذه البلاد بتقاليدهم المعروفة ، وجاءوا بالإسلام وبذلك نقلوا معهم ثروة كبرى من الذخيرة الخلقية والروحية وثروة اكبر في العلوم والمعارف . ثم انهم — أى العرب — اختلطوا بسكان البلاد متزوجين من نسائهم ومجاورين في السكن ومشاركين في اعمال الحياة من زراعة وتجارة ورعى . بهذا عاشت الحضارة العربية الإسلامية مع الحضارات الاخرى فترة من الزمن ثم ما زجتها حتى غلبت عليها فصار هذا البلد الذى يتوسط القارة الافريقية ممثدا إلى شمالها وشرقها وغربها ثم إلى مناطقها الاستوائية. مربوطا بالعروبة اوثق رباط فهي منبته ومورد حضارته ومهبط عقيدته ، وهو متعلق بأفريقيا لانها مهده ومقره ، وهي مغرس الوشائج ومسرح آمال المستقبل .

لم يشأ أهل هذا البلد ، ولا احسبهم يشاءون في يوم من الايام ان يتخلوا عن عروبتهم أو « أفريقيتهم » فالرباط بكلا الاصلين اقوى من ان ينقسم فالدم يعقده والثقافة ثمره ، والصلات بأى منهما تتجدد وتزداد عمقا وقوة ، تجدها المنافع المتبادلة ويقويها تشابه الوضع في عالم اليوم . ان أهل هذا البلد لم يريدوا ، ولا احسبهم يريدون في يوم من الايام : ان يكونوا عائلة على منبت او تبعا لاصل . لان تلك الحضارات المتمازجة بما تعلموه منها تحميهم من الخضوع ، وتقويهم الخنوع ، وتحبب اليهم الاكتفاء بما يجنون بكدهم وتفكيرهم وان كان يسيرا زهيدا وترغبهم في السعي الحثيث لاصلاحه وترقيته . فلما قامت الحركة الوطنية واتضح معالمها ، وسلكت سبيلها أمما برزت الدعوة للعناية بالأدب السوداني وتبادل الناس الرأي كاتبين أو متحدثين رابطتين الأدب بالناس والبيئة ، ودعا نفر منهم إلى « ايجاد ادب قومي صحيح ينقلب من حركة ادبية إلى حركة سياسية تتوج جهودنا بنيلنا استقلالنا السياسي والاجتماعي والادبي » (١) فهم اذن يريدون ادبا قوميا يدخلونه في الصراع السياسي ، ليكون سلاحا بئارا ، يثير المواطنين ويعددهم للمعركة . كنى يدحروا خصمهم ويبلغوا ما يريدون ، ولا يكون الادب كذلك الا اذا استقي مادته من البيئة . لا بد لادب السودان اذن ان « يتخذ من حوادثه واخلاق اهله وتقاليدهم مادة لفنه القصصي والشعري ومن مناظر غاباته وصحاريه ووديانه مادة لفنه التصويري ومن مشاعر اهله وحر كآتهم وسكونهم مادة لموسيقاه ، وكفاء الاسلام دينا ينير له طريقه الروحي » (٢) . لا بد له من ذلك ليكون ادبا قوميا كما اريد له .

ولنا ان تتساءل عن المراد من قومية الادب ، أهى التغنى بالامجاد والتباهى بالاصول الغريقة النبيلة ووصف المعارك بأنواعها في عبارات طنانة رنانة تثير المشاعر والخواطر وتملأ النفوس زهوا حتى يتصور الناس غير الواقع ويتيهنون في بيداء الخيال والاهام ام هى غير ذلك ؟ ولنا ان نتابع التساؤل ونقول لم يراد الادب القومى ؟ اهو غاية فى ذاته أم وسيلة لغاية أو غايات ؟ يقال اننا « اذا نادينا بقيام

١ - الحركة الفكرية في السودان ، م . أ . محبوب ، ٤٥ .

٢ - النجر ١٩ - ٢٣ ، ١٠٤٥ ، م . أ . محبوب

الادب القومي ذي الطبيعة المحلية ، فانما ندعو إلى خلق شعب شاعر بكيانه يعبر عن مرثياته من سماء زرقاء أو ملبدة بالسحب ومن غابات كثيفة وصحراوات قاحلة ومزوج خضر ومن حياة بدوية هادئة إلى حياة عصرية صاخبة .. «(١) ان الذين دعوا لقومية الادب في السودان ارادوا تنقيته من الشوائب واولها التقليد ونريد به تقليد شعراء العروبة الاقدمين في الشكل والمضمون. وثانيهما سيطرة الثقافات الأجنبية » ولهم الحق في كل ذلك لان التحرر الفكري والاستقلال بالانتاج العقلي وجعله قوميا دليل .. من دلائل رقي الشعب ونزوعه إلى الحياة واحساسه العميق بوجوب الاعتماد على النفس وشعور بالوجود وكلها صفات لا توجد الا في الشعب الذي يحس بالحياة والنضال فيها «(٢) .

ان قومية الأدب — في رأينا — تتمثل فيما يتضح فيه من سمات البيئة — خلقية وطبيعية واجتماعية . وغير ذلك مما خصها الله به من مظاهر ، ومما اودع فيها من صفات أو حباها به من تراث — تتمثل قومية الادب ايضا فيما يظهر فيه من ملامح المجتمع المختلفة من عادات وتقاليد واعمال كالزراعة والرعى والتعليم وغير ذلك مما يتخذه الناس ناقلين أو مبتدعين ويعتادونه زمنا طويلا . ان هذه كلها — السمات والملامح عوامل خاصة تتدخل في تكوين ملكة الادب وخلقها ولها دورها الكبير في اتجاهه الفكري وشعوره ثم في حكمه على ما يرى ويسمع وعليه « فان الادب المنبعث من اعماق النفس لا بد ان يكون قوميا . انه نتيجة طبيعية لشعور خاص انضجته ولونته عوامل قومية محلية «(٣) .

تظهر القومية السودانية في شعر كثيرين من شعراء السودان . وان خير من نذكره في هذا المجال ونأخذ الامثلة من شعره المرحوم محمد سعيد العباسي . تعرض العباسي إلى تاريخ السودان وإلى شيء من جوانب القوة والاشراق فيه اذ نظم قصيدته المشهورة « سنار بين القديم والحديث » وفيها اشاد بماضي تلك المدينة والدولة التي اتخذتها عاصمة ، مثنيا على ملوكها معددا بعض مآثرهم ، وفي هذا

١ — الفجر ١٩ — ٢٤ — ١٠٤٤

٢ — النجر ١٩ — ٢٤ — ١٠٠٦ — ١٠٠٧ ، محمد عبد القادر حمزة .

٣ — محاولات في النقد م . م . على ١٤١

اعتزاز باجناد سودانية ونشر صفحات ناصعة من تاريخ هذا البلد . فى نفس القصيدة تقدير لعمل جديد قام به حكام البلاد آنذاك وثناء على خبرائهم الذين تولوا ذلك العمل حتى برز وبانت فوائده . وفى هذا اعتراف بالمقدرة وتقدير للاجادة حيثما كانتا ، ومهما كان مصدر هذه الاجادة وتلك المقدرة . وانه لمن صميم الخلق السودانى الاعتراف بحق الخصم واثبات ماله من فضل دون النزول عن الحق الخاص أو التخلي عن التزام . قد اقر العباسى للحكام الاجانب بحسن فعلهم واثنى عليه وفى نفس القصيدة ايضا وصمهم وصما بالبنى والطمع ودمغ عهدهم بالفساد ونكد العيش . وها نحن اولاء نورد اجزاء القصيدة التى تبين ما ذكرنا :

قال عن سنار فى ماضيها :

كنت مثوى الملاكى كريمين وميدا	نا رخيا لحيلهم ومندى (١)
ورحبا قد زينت وقسبا	زان ارجاءها ملك مفدى
عاش ما عاش وهو جمد أبى	لم يعفر لغير مولاه خدا
عجمته الخطوب وهى شداد	فأثارت منه الحشاش الاشدا
وبنود تهفو وخيلا تسترى	بالاناسى سادة وعبدا
ازخصوا فى هواك كل عزيز	فتباروا فى الحرب والسلم جندا

ثم قال عنها فى حاضرها بعد أن قام فيها الخزان المعروف :

قف تأمل هذى العجائب وانظر	شاخا يحسر العيون استجدا
واجل ناظريك فيما اصطفى	العلم لاحباره وما قد امدا
غاص بناؤهم فاخرج بالفن	وآياته من النيل طودا
بفؤاد لم يدرع همية الروح	كأن سل او من الصخر قدا
وانسياب المياه بيضا عرابا	صيرتها عجاجة الحرب ربدا
بالحدا كانه غير منقوض	اكف الكرام واصلم رفدا

ثم خاطب البريطانيين فى شخص المهندس الذى اشرف على بناء الخزان قائلا :

جبسن اسمع اوليت قومك فخرا	وثناء يروى واوريت زندا
نحن من قد علمت ودا وانت المرؤ	يولى الاحسان بدءا وعودا

١ - ديوان العباسى ، دار الفكر العربى ، ٢٧-٣١

جئت في السد بالعجاب فهلا
قم تعرف. قلوبهم ان فيها
لو حظينا واسعف الدهر حبنا
ان داء الاطماع والظلم داء
شدت بين البغاة والناس سدا
طمعا افسد الحياة وحققدا
لابسا. ياذا النهى العيش رغدا
يجعل الاولياء للمرء اعدا

تتضح القومية في قصائد عديدة من شعر الدكتور عبد الله الطيب ، لا سيما تلك التي نظمها وهو في لندن يعلم في جامعتها بعيدا عن اقربائه ومجتمعه ومراتع صباه . هناك في لندن وهي المدينة الكبيرة العريقة ذات الصيت البعيد في محافل العالم والسياسة والاقتصاد ضاق عبد الله الطيب بالغربة واشتاق إلى بلده شوقا مبرحا وحن إلى بعض مظاهر الحياة وظواهر الطبيعة فيها حنيننا دافقا ، وذلك في واحدة من قصائده حيث قال :

لولا المقادير كان احرزني
ولم اقض الايام مدجنسة
ولم اعلم بنى الاعاجيب من
يطرقني الهم لا أبيت بلا
لو استطعت ارتفعت في جبل
حتى اذود الهموم هاجسة
يخيل الطلح والسيال
ومستق مائح ومختطب
وحبذا الملتقى بطارحك
يا ليت شعري متى اعود فقد
ما لا ينال العداة من امنه (١)
في بلد قد سئمت من دجنه
كل عبي لا يبين من لکنه
قلب كلهم الفؤاد محترنه
ارقى إلى الفارعات من قننه
تنتهب الطرف من حمى وسبه
لعينيك وبهم يشب من عننه
وذو جناح ينوح في فتنه
الشعر باظلاله ذوو فطنه
برح نأى ولج في شطنه

ولما استبد به الحنين عاد بلدا كرته إلى مراتع صباه في مدينة كسلا فقال :

سقى الحيا كل اجرع عطر
وجاد توتيل والاهلة من
والجبل السامي المطل على
متوجا بالسحاب مثل دخان
بالنال تردي الظباء في دمنه
تكزون مزجي الغيوث في مزنه
وادى الذي حله بنو حسنه
الطلح قد عيج حول مبخنه

١ - اصداؤ النيل - الدار السودانية ، ١٤٠ : ع . الطيب

املس صحيان ليس يصعده راق شديد القوى لمتحنه
به رعيت الصبا وربسني ما شئت من شهده ومن لبسه
يا ويح نفسي متى معاد أخى الغزية بعد النوى إلى وطنه

سافر الشاعر الدكتور عبد الله الطيب من لندن إلى قرية في اواسط إنجلترا حيث
تلال « ماالفرن » المعروفة - موطن بعض شعراء الانجليز - آثار هذه الزيارة
شعونه فقال يذكر بعض مناطق وطنه في فخر واعتداد :

بلى كنت الغمام يلد نفسي ويسكرني بر يا كردفان (١)
و كنت ارى المطايا مرديات بسهب كالصحيفة صحصحان
ديار من فؤادى كنت فيها و كان ابي و كان بنو لساني
ارى في بدوها الاعراب شعنا وفي فتياتها الغر اللدان
رهائن في ضميرى تائفسات إلى عيش الطلاقة والرهان
ألسنت من البداوة اى علم حويت واى ربع قد حواني
وان ألك نلت من ثدى سواها فان لبانها ابقى لبان
ولم افتأ - وان انزعج - اليها يحركنى الحنين مع الحنان

الاعتبار الجغرافى وظهور أفريقيا فى الشعر السودانى :

لم يكن شعراء السودان فى اول الامر لياهموا بأفريقيا وشؤونها وعلاقة بلادهم
بها . وما كان ذلك استصغارا لهذه العلاقة ، ولا انكارا لمكانة أفريقيا والافريقيين
انما شغلتهم مشكلاتهم الوطنية عن مشكلات الامم الاخرى ، كما ان وسائل
الاتصال لم تكن سهلة ميسرة لهم ولا للافريقيين فى الاقطار الافريقية حتى يتمكن
الناس فى بلد ما من الوصول إلى بلد آخر ، وحتى يتسنى للافكار والاحاسيس
الانتقال من بقعة إلى بقعة حيث تعيش فترة من الزمن ثم تتفاعل مع غيرها ويتولد
عن ذلك رأى مشترك واحاسيس متقاربة . لقد تعذر على معظم بلدان أفريقيا معرفة
الاحوال فى جاراتها قريبة كانت أو بعيدة بسبب ذلك ، ولهذا لم تتمكن واحدة
من مشاركة الاخرى فى شىء أو معاونتها فى امر . ولولا السيطرة الأجنبية التى
انبسطت فى جميع انحاء القارة لكان الحال غير ما نصف . لكن بمجرد ان انتشر

١ - اصداء النيل - الدار السودانية ١٤٠ ع . الطيب

الوعي وبدأت سيطرة الاجانب في التقلص تغير الحال . ففي السودان اخذ الناس
يعنون بأفريقيا مدركين انهم يمتنون اليها باسباب قوية . وان مقبل الايام يقتضي
تقوية الصلات القديمة وتنمية أخرى ينفع بها أهل القارة .

التفت الشعراء في السودان إلى ما يدور في بعض بلدان أفريقيا من جهاد
في سبيل الحرية فاشادوا به عملا جليلا ومثالا يحتذى من ذلك ما قاله الشاعر محمد
المهدي مجنوب في ثورة كينيا ، وهو :

بني وطني للنار في كل بقعة	لسان دخان في السموات اسود (١)
يصيح بكم ثوروا على كل كافر	بدمع الضحايا والدماء معمد
انكم جيرة في كينيا قد تمردوا	واشربهم (ججومو) سلاف التمرد
طوى الغاب من اسراره كل ضيغم	أي الدم الا ملء خد مورد
فلا ترحموا لم تبق في الارض	رحمة والاهلكم بين عيسى واحمد

في هذه الايات يعترف الشاعر باحدى صلاتنا في أفريقيا وهي صلاة الجوار ، وهي
صلاة تفرض علينا الكثير وتثبت لنا الكثير ، ويعترف بسبق أهل كينيا في الجهاد
لطرود الاجانب من بلادهم مثنيا على زعيمهم ممتدحا شجاعتهم .

أما الشاعر تاج السر الحسن فقد أكد وجود العنصر الافريقي في الامة
السودانية اذ قال في احدى قصائده (٢) :

ووجهك يا قرشي
يا عربي
يا زنجي
يا نوبي
ومضة بارق من شعبنا الخلاق
وفیضا من فؤاد النيل ،
غطى الدار

حريقا اشعل النيران في الاعشاب

١ - نار المجاذيب ، م . م . مجنوب ١١٤

٢ - ديوانه القلب الاخضر ، ١٦

وكسر ذوب الإطواق

واستمر يؤكد وجود هذا العنصر وتفاعله مع العناصر الأخرى في القصيدة نفسها
بقوله (١) :

لقد مرت مرور الضيف

رؤى أكتوبر الحمراء كانت في ديارى طيف

ولكن الدماء تسيل

وتصبغ أرجوانا وجه هذا النيل

دماء الزنج والعربان

ووجه النوبة الآسيان

بظل امرأة سرداء

غطى ساحة الصحراء

وبقوله من قصيدة أخرى :

أنا من أفريقيا بلدى تشوبها نار الاصفاد

لكن يدي السوداوين تمررتا عبر الوادى

عائقنا موسكو والصين وكل بلاد الامجاد

والثقتا بخيوط الشمس المسكوبة فى الغرب البصادى

للشاعر قصيدة أخرى طويلة عنوانها « فلتتحرر النجولا » صور فيها مآسى تجارة
الرقيق ، وابتدأها ساخرا متعمدا « بأفريقيته » وكأنه يتحدث بلسان أحد أبناء
النجولا ، فقال :

تحرقنى الشمس

يقتلنى فى قبوة الامس

ولدت فى غابة لالوب

من الاسى قد نسجوا ثوبي

ومن عجيب الامر اني

ككل الناس لى رجلان

ومثلهم تغل في وجهي عينان نفاذتان
واذني تهوى اغاني الطيور
ومن عجيب الامر لو في عجيب
اسود كالليل الرهيب الرهيب
ولم أدري ان الدر
في مجاهل البئر العميق القرار
يغوص في الظلمة
لا يرى ولو اطل النهار
الم أدري ان الشمس ام الضياء
في لونها الزاهي يغطي الفضاء
ابيض مثل الثلج مثل الحليب
تنشر في جسمي هذا اللهب
تضميني في عناق
الشمس امي تضميني في اشتياق
حتى اذا لفني ضوءها الـ
ابيض اضحي قمرى في المحاق
ولفني هذا السواد الذي
يظل الاقدام والاحداق
وعدت ابنوسة تردهي
في غابة مخضرة الاوراق
واحتوت روعي على جمرها
كفحة بعد سنا الاحتراق

وهاهي ذي بعض المآسي التي يصورها في قصيدته هذي :

شيطان انجولا هدير البحار (١)
في اللانهايات تذوب الحدود

الوطني ودخلوا المعتزك السياسي . من هؤلاء « لومبا » أول من تولى رئاسة الوزارة
في بلاده - الكنفو - بعد ان استقلت قال عنه الشاعر جيلي عبد الرحمن (١) :

العذابات على قلب المسيح
في صلاة ، و صليب ، وضريح
صبيحة من فجر وهران الفسيح
من فدائي مليح الوجه
تسخر عينه صفوا وحبا
باسمك الغالي لومومبا
فجر المدفع فارتاعت على اليبداء ريح
صخرة في غاب كاتنجا يوشيهما الريح
بالتلال البيض من رمل ، وازهار ، تضوع
خط زنجي بحبات الدموع
اسم لومومبا الوديع
حينما سالت على الليل مزاريب المطر
والضباب الجهم غطى كل اوراق الشجر
شق طفل رجفة السيل واحزان الشتاء
منذ عامين اني يا ام لم يرجع بقمح
أو كساء !
في الضفاف الخضر يا روي يذر الافق شهباً
بيته جيش لومومبا
وغدا يأتي الينا ، حاملا سمنا وثوبا
غرد الطفل فقد نام سعيدا بالغناء
في ظلام المعتقل
وغراس الصمت كالقضبان تغتال المقل
هب جومو يرقب النجم توارى في الجبل

فرت الدمعة والحزن هطل
ثم اقبلت لومومبا كالعناقيد الامل
كفكف الحزن ونادى
ابن أفريقيا البطل
آه لومومبا البطل

وقال فيه الشاعر صلاح احمد إبراهيم راثيا معزيا متأسيا (١) :

كفكفوا ادمعكم يا اخوتي
فغدا في ارض لوممبا الغنية
بينها .. بالبطولات بذكرى الشهداء
بالمكنوز المعنوية
والكنوز
يحفظ التاريخ للابناء عن آباؤهم خير هدية
ماسة حمراء في حرز حرير
ماسة تومض كالقلب ضياء وبهاء
ماسة تومض كالنجمه اشراقا وحبا
وتنير الدرب ، ان اوصدت الظلماء دربا
اسم انسان عزيز
وهب الحرية الحمراء قلبا
ودعته امه الكنغو قلبى
قتلوه بعد ما ساموه اذلالا وضربا
قاهر الموت ومخزي قاهره
رقية الشعب لوممبا

ومما قاله الشاعر صلاح احمد إبراهيم في هذا الزعيم الكنغولى بعد مقتله هذه المقطوعة
وعنوانها « صلوات » (٢) :

١ - ديوانه - غصبة الهيباي : ٢٠

٢ - ديوانه - غصبة الهيباي : ٣٢

يا ماء عيون الكونخو ، يا عدا مشعله شق الظلمات
ساقاه تطير باجنحة نورانية
عيناه قذائف نارية

ويداه صواري ، مثل فنار ، يلمع في افق
ما فيه ضياء نجم سارى
مثل النفق

الريح تقاومه ، والليل يساومه ، والصخر تربص بالحيات
وتماثم حب الشعب وايمان وثبات

يا زرعاً لبن حين جميع الارض موات
يا كم ليلا قضيت اذود بكف خيالى عنك الضربات
يهرع قلبى يركع خلف « بولين » ويرتع فى لطف زرق الصلوات
لومببا عش ، يدعوك الجند وتدعوك الرايات

لومببا عش ، تدعوك المركب حين مضى عنها الجردان
لومببا عش ، حيوان الجو يراقبها ويواكبها القرش الجوعان
لومببا عش ، ولقد عض الصخر الفارق والمرجان
لومببا عش ، لم يبق سوى ليلين وتحضنتنا خضر الشيطان
لومببا عش ، تفر شفاه المرفأ عن ناس ،

وتحبنى بالاجراس

ترحب بالرقصات

تهلل وهى تنادى باسمك ، باسمك انت ، تنادى فى فبح وحنان
لومببا عش ، انتهت الرحلة يا ربان
والمركب ترسو فى اطمثان.

لومببا عش ، لكن هيهات

لم نسمع غير صدى صرخات

تتمزق نازفة فالقائد وأسفا قد مات !

يجعل الشاعر جيلي عبد الرحمن أفريقيا اما فى قصيدة من قصائده وفى

لكن يا أمي الغضبي
 اماء الساحرة ، التعبي
 والغابات الشلالات
 القمح ، القصدير ، الكاكاو
 يا أمي .. الماوماو
 اني اتعس من قوقعة يحملها افريقي في الجيد
 من تمتمة يمضغها في ليل البيد
 من أبخرة ، الحجة ، وطلاسم
 اشقى من طفل غار في ملكال
 لما امتدت في قلبي لودية الصومال
 اغبت في ذل الجذب القاتم
 افريقيا يا افريقيا
 ان كان الضدر الذاوي يشخب عرقا مسودا
 يسقى ذهابا مطمورا في اوغندا
 يشكو الظلماء إلى الانجم نيجي ، نورا ، صيدا
 واختال الانسان على المريخ
 أشعل تبغا في الصاروخ
 ألقي في الصحراء جحيما
 أحرق بسمات الاطفال على موج. هيروشيما
 وصمة هذا القرن هيروشيما
 في كل صباح تهوى في رأسى الدور
 صياد ما تت في يده أنغام الطنبور
 أيام كالنفق المهجور
 كالأمل المكسور
 أفريقيا لم استكمل بعد الصورة
 الاسطورة !

ان دوت في كينيا طلقات مكتومة
غنى الافريقى همومه
في وهران العمر قصير
طعم الزيتون مرير
لا يفنى جيش حتى يبدأ
قد لاحت اضواء المرفأ
لم يبق سوى بعض صخور
سيق الاطفال إلى سجن في اورندى
رقصت نار في اكواخ الزندى
وغراس البن انتفضت في روديسيا
يا أفريقيا
طوكيو ام مدعورة
الوية ، غابات مسجورة
والثورة تولد في آسيا
كالاشجار ، الامطار ، الثورة
الشمس صفائرها كالستيل في اندونيسيا
هل تحجبها سحب الذرة ؟
عادت هيروشيما ابنة مسجورة
اعلاما منشورة
عاد الشهداء ينجون على ارض اليابان
فاختلعت كل الالوان
مثل حقول الورد
السلم المجد لروح الانسان
فاحتضنى يا أم المجد
أفريقيا ما زالت في الاعماق صباغة شعر
ان كنت بكيت الموت خشيت القبر

فألرحلة ما أروعها .. ما أقصره العمر !
أدعو أشهد عصر المأساة
يخبو من مستلك الكبرى بالفرشاة
ترمين المبضع في قلبي حتى تنزح عنه الآه
قد كنا يا اماء سلاحف هذا العصر
والآن نمد الايدي للشمس ، نصوغ النصر .

ان هذا الشعر الذي عرضنا نماذج له — شعر تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن وصلاح أحمد — نظم بالطريقة الحديثة وهو ينبئ عن « ظهور أفريقيا في الشعر السوداني الحديث » لانه يشيد باجماد أفريقيا ويتحدث عن الظلم الذي حاق بأهلها ويدفع عن حقهم في العيش الكريم لانهم بشر يتنجون إلى آدم كما ينتمى إليه اجناس العالم الاخرى . ثم انه في مجموعه — يربط السودان بأفريقيا مؤكدا صلة الدم والجوار والمشاركة في بعض الاحداث والمصائب . من اجل كل ذلك أصبح لهذا الشعر قيمة « وطنية سياسية » في أوساط عديدة في العالم العربي لانه يحمل في أبياته بذور الوعي الوطني والتفكير السياسي . لكننا اذا قسناه بالمعايير الفنية الادبية البحتة فاننا واجدون فيه بعض مآخذ في الشكل والمضمون . من مآخذ الشكل اغفال قواعد النحو اذ في أبياته اخطاء نحوية ، وذلك كقول تاج السر الحسن في قصيدته التي جئنا ببعض أبياتها مع النماذج « وفيضا من فؤاد النيل » حيث نصب « فيضا » ولا نجد سببا واضحا للنصب — وكقوله في القصيدة ذاتها « روى اكتوبر الحمراء كانت في ديارى طيف » ويحق لنا ان نتساءل عن خبر « كان » أهو « طيف » فلماذا لم يبيى منصوبا اذن كما تقول قواعد النحو ؟ والا فأين خبر هذا الناسخ ؟ من اخطاء النحو ايضا ما جاء في القصيدة نفسها وهو قوله : وداعا يا قبور الحى فليطغى عليك (١) الماء ، حيث اثبت آخر الفعل المعتل وهو الياء بالرغم من اتصال الفعل بلام الامر ، وهذا الاتصال يوجب الجزم .

من الأخطاء ايضا قول جيلي عبد الرحمن : « وهل نبتاعها العفة » (١) حيث اعاد الضمير وهو الهاء في « نبتاعها » على المفعول به « العفة » والمفعول به متأخر

لفظاً ورتبة ، وعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة يخالف قواعد النحو . أباح الشاعر لنفسه استعمال الكلمة « مقبض » في قوله : « الثلج المقبض كالأكفان » وهو بهذا يفترض وجود وزن افعال ، من قبض ثم يصوغ منها « مفعل » وهذا الوزن لا يوجد في هذه المادة فيما نعلم وبهذا المعنى . والفيتورى يستعمل لغة اكلوني البراغيث في قوله : « وليمضوا مثلى شهداء أولادى » في قصيدته « أنا زنجى » .

نجد في هذا الشعر ايضا بعض الالفاظ والتعابير العامية ، ومثل ذلك من الالفاظ « لبن » الكلمة العامية التي جاءت في قول الشاعر صلاح أحمد « يا زرعاً لبن حين جميع الارض موات » من مقطوعته « صلوات » والكلمة « مرميه » في قول تاج السر الحسن « افضاله مرميه في الفضاء » (١). اما التعابير فمثل قول جيلى عبد الرحمن « مركب أحبابي تاهت أين » .

لا يخلو مضمون هذا الشعر من مأخذ كما قلنا من قبل واولها هذا الابهام الذى يظهر لنا في بعض أبياته ، اننا نقرأها ولا نكاد نتبين مراد الشاعر فقول الجيلى عبد الرحمن مثلاً :

واعجب كيف يثير المتاف (٢)

صوتك حين يهز الشفاف

من القلب ، ذكرى فتاه !

وما نبشت باليراع الورق

وتركض فوق الحصى والتراب

وقد ترتدى في الشتاء الحرق

يحمل في أبياته صورة إلا أنها مفككة الاجزاء لانه ينقلها اليها في جمل تقريرية لا يكاد يربط الواحدة بتاليها أو سابقتها رابط إلا ما نستنتجه من وضع الابيات والشاعر تاج السر الحسن يقول :

ولكن الدماء تسيل

وتصبغ أرجوانا وجه هذا النيل

١ - ديوانه ، القلب الا خضر ٦٩

٢ - ديوانه - الجواد والسيف المكسور ٣٩

دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظلي امرأة سوداء
غطلي ساحة الصحراء

اننا لا نرى ما يربط المرأة السوداء وظلها بوجه النوبة الاسيان أو دماء الزنج التي تسيل وتصبغ صفحة النيل ، قد يكون الرباط واضحاً في ذهن الشاعر ، لكنه لا يوضحه لنا ، وقد تكون هنالك علاقة يعرفها الشاعر غير انه لا يعرفنا تلك العلاقة ... ان القارىء يحس غرابة في بعض تشبيهات جاءت في هذا الشعر من ذلك قول جيلى عبد الرحمن :

وكانت النخيل مثل اذرع النساء
تضم في جذوعها العجفاء ذكريات
وتلثم المياه حين يغمض الرجال

ولنا ان نتساءل كيف تكون النخيل مثل اذرع النساء أهنالك مشابهة حسية أم معنوية وفي كلا الحالين ما هي المشابهة ؟ اننا لا نستطيع تصورهما ، وان امكن ذلك فالذوق لا يقبلها . ولنا ان نتساءل عن معنى الشطر الاخير ، أيريد الشاعر ان يقول ان النساء لا يجرؤن على تناول المياه ليروين ظمأهن الا في غفلة الرجال ام يريد شيئاً آخر ، وهل يفعلن ذلك حياء أو خوفاً أو تأديباً ، ان كل ذلك جائز لكن العبارة التي اختارها لاداء هذا المعنى لا تصور حياء النساء أو اذهبن أو نخوفهن انما تصور الحركة الحسية فقط ، وللقارىء بعد ذلك ان يتصور ما وراء تلك الحركة من دوافع ويستنتج ما يحيط بها من أفكار . يقول الشاعر في قصيدته « فلتتحرر النجولا » عن لون الشمس : ابيض من الثلج مثل الحليب » ويقول : حتى اذا لفتني ضوءها الابيض » فهل لون الشمس ابيض ؟ وان كان فهل هو في بياض الحليب والثلج وضوء الشمس أهو ابيض ، ثم ما الفرق بين لون الشمس وضوءها ، لقد اغرب الشاعر ههنا بلا شك .

يبدو الخيال في نماذج هذا الشعر التي عرضنا بسيطاً لا عمق فيه ولا جموح .

وانه ليبلغ احيانا درجة السذاجة وذلك كقول تاج السر الحسن في قصيدته « فلتحرر
انجولا » :

وفي القرى

عجائز يبكين عند المساء (١)

« من يذهب اليوم لجنى الثمار ؟ »

من يحرس الغابة ان طوفت

في الليل افيال بقرب الديار ؟

من يشعل النار من حولنا

الناموس والاسود والاشرار

من يعتنى بالصغار

للصيد من يذهب انا هنا

تموت جوعا في اسي واندجار

يتخيل الشاعر ههنا حال قرية أفريقية بعد ان اختطف تجار الرقيق رجالها وخلفوا
نساء عجائز لا يقوين الا على الندب والتحسر لكن من العجائز من تحمل الراية
وتبث الحماس في الصغار وتقوم في نفس الوقت مقام العائل الغائب ، اما شاعرنا
فقد صورهن ضعيفات مستخديات وكأنه اراد استجداء العطف ولم يرد اثارة
الحماس . اننا لم نحس اثناء قراءة هذا الشعر انفعالا قويا جاشت به نفس احد اولئك
الشعراء فانقل من دخيلته إلى عباراته انما سردوا مآسى أفريقيا سردا وقرروا مظالمها
تقريرا فجاءت العاطفة في قصائدهم تلك فاقرة .

✽ ظهرت أفريقيا في شعر محمد مفتاح الفيتوري - وهو شاعر ينتمي إلى
السودان كما ينتمي إلى بلد آخر من بلدان العروبة - لا كما ظهرت في شعر
الآخرين انما جاء ظهورها في شعره أكثر لانه نظم لها العديد من القصائد وافرد
لها دواوين من نظمه ، وجاء اعظم لانه حمل بعض ما نظم لها شيئا من ذات نفسه
وتقديره لانتمائه إلى السودان وشيوخ امر هذا الانتماء في بلاد كثيرة نرى لزاما
علينا ان نقف عند بعض شعره اذ لا يصح ان نتناول الشعر في السودان ونغفل

مانظم . عبر الفيتورى فى بعض شعره وقد نظمه فى القوالب الحديثة عن يقظة أفريقيا
وبعثها وهذا يتمثل فى قواه :

يا أنحى فى الشرق ، فى كل سكن (١)
يا أنحى فى الارض ، فى كل وطن
انا ادعوك ..

فهل تعرفنى ؟

يا أنا اعرفه رغم المحن
اننى مزقت اكفان الدجى
اننى هدمت جدران الوهن
لم اعد مقبرة تحكى البلى
لم اعد ساقية تبكى الدمن
لم اعد عبد قيودى
لم اعد عبد ماض هرم ..
عبد وثن

انا حى خالدا رغم الزمن
فاستمع لى .. استمع لى
انما اذن الخيفة صماء الاذن
ان تكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من اذاه ما لقينا
ان تكن بتنا عراة جائعينا
أو نكن عشنا حفاة بائسينا
ان تكن قد اوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
ان يكن سخرنا جلادنا
فبيننا لأمانينا سجوننا

ورفعناه على اعناقنا
ولثمنا قدميه خاشعين
وملأنا كأسه من دمنا
فتساقانا جراحا وانينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسنا
ونقشناه جفونا وعيوننا
فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين أفاقت من كراها
ما تراها .. ملأ الافق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت افؤسها وانحدرت من روايتها
واغوار قراها .. !
فانظر الاصرار في اعينها
وصياح البعث يحتاج الجباها
يا أخى فى كل ارض عربت من ضيائها
وتغطت بدجاها
يا أخى فى كل ارض وجنت شفتها
واكفهرت مقلناها
قم .. تحرر من توابيت الاسى
لست اعجوبتها .. أو موميائها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخى قد اصبح الشعب الاها
جبهة العبد ونعل السيد
وانين الاسود المضطهد

تلك مأساة قرون غيرت
 لم اعد اقبلها .. لم اعد
 كيف يستعبد ارضى ابيض
 كيف يستعبد امسى وغلى
 طيف ينجو عمرى فى سجنه
 وجدار السجن من صنع يدي
 أنا زنجى .. !
 وأفريقيا لى لا لالجنى المعتدى
 انا فلاح ولى ارضى
 التى شربت تربتها من جسدى
 انا انسان ولى حرى
 وهى اغلى ثروة من ولدى
 انا حر مستقل البلد
 وسابقى مستقل البلد
 ههنا واريت اجدادى .. هنا
 وهم اختاروا ثراها كفنا
 وسأقضى انا من بعد ابى
 وسيقضى ولدى من بعدنا
 وستبقى ارض افريقيا لنا
 فهى ما كانت اقوم غيرنا
 نحن اهرقنا عليها دما
 ومزجنا بثرها عظمنا
 وشققناها بحازا وربا
 وزرعناها سيوفا وقنا
 وركزنا فوقها اعلامنا
 وتحدينا عليها الزمنا

وسنهدبها إلى أحفادنا
وسيحملون علاها مثلنا
فاسلمى يا ارض افريقيا لنا
اسلمى يا ارض افريقيا لنا .

في هذه الابيات يعلن الشاعر نقطة افريقيا إلى المثلأ في عبارة واضحة قوية . يعلن
على المثلأ ان افريقيا رفضت الماضي البائد الذى عانت منه ما عانت من شقاء واذلال .
ذكر الشاعر كثيرا من آلام ذلك الماضي ومآسبه وفصلها تفصيلا يشيع في
الابيات شيئا من حزن دفين . بعد هذا اعلن الثورة قائلا :

فلقد ثرنا على انفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا

وتدققت كلماته قوية ناثرة تحمل الاصرار والعزم وترفض الاستعباد والمهانة وتؤكد
سيادة الافريقيين في ارضهم وحريتهم في تلك الارض . ان ابيات الفيتورى هذى
تكشف عن وطنية صادقة وثورة عارمة ، والواقع ان الكثير من قصائده يفيض
بالثورة والوطنية ، الا انه كثيرا ما يرتد حزينا كئيبا في قصائده تلك كقوله :

يا اميرتي السوداء (١)

.....

.....

لو تعرجت حوائط البيوت

لو رأيت شاعرا يموت

جثته طريحة

وقليه حمامة ذبيحة —

ودمه على الثرى عباءة حمراء

تقرها الغربان والسلاحف الحدياء

فما الذى كنت ستصنعين

فما الذى كنت ستصنعين ؟

١ — اذكرينى يا افريقيا ، الفيتورى ، ١٥

تنتزعين زينة العرس

وتلبسين زينة الحداد

وتندبين

وربما بصقت نعمة على الحداد

لأنه اسكت صوت شاعرك

اسكت صوت رجلك

وربما ستذكرين مقلتيه كيف كانتا

وتشهقين يا اميرتي

لكن إلى متى ؟

انه ينشر الكتابة ويفيض حزنا دفيننا لكنه يشوب الحزن بالانفعال قوى مكبوت نستشفه من السؤال الذى يلقيه على الاميرة السوداء بعد ان يصور لها ما قد يحدث ، يسألها « فما الذى كنت ستصنعين » ويكرر السؤال ثم يجيب على سؤاله بنفسه ، وكأنه يريد ان يبين لها ما يمكن ان تفعله أو ما يجب ان تفعله ، ثم ينتتم اجابته بسؤال آخر : لكن إلى متى ؟ . . . وانه بسؤاله هذا لا يكتفى بما قد تفعل ، بل انه ليراه قليلا غير كاف وغير كفاء للغاية السامية التى يسعى لها . هذا الانفعال القوى المكبوت هو دليل الثورة التى تعتمل فى نفس الشاعر وشرارة من النار المتأججة فى دخيلته ، وانه يمكننا حينئذ ان نقول ان عاطفة الفيتورى تبدو فى شعره قوية اصيلة . دعا الفيتورى افريقيا دعوة ناثرة متألم ، دعوة ابن لا يرضى لها حاضرها وينفر من ماضيها ، ابن يريد لها النهوض لان « دورها قد اتى » وعليها ان تلعب كاملا وتجيده وها هى ذى دعوته :

افريقيا (١)

افريقيا الغائبة

يا وطنى .. يا ارض اجداديه

اني انا ديك

ألم تسمعى صراخ الآلى واحقاديه

أني أناديك
أنادي دمي فيك
أنادي امتي العارية
أني أنادي الأوجه البالية
والأعين الراكدة الكاوية
فويلك أن لم تحضني صرختي
زاحفة من ظلمة الهاوية
عاصفة بالابيض المعتدى عليك
يا أفريقيا الغالية

.....

.....

أجل فانا قد أتى دورنا
أفريقيا
أنا أتى دورنا

لكن الثورة والالم يتقلبان إلى حقد ، انه لا يدعو أفريقيا لتنفص عنها غبار
الذل والحمول والضعف وتعمل مع العاملين لخير بني الانسان فحسب . انما يدعوها
لتهب وتعصف « بالابيض المعتدى » وبذلك يزيد نار العنصرية حطبا .
كذلك عبر الشاعر الفيتوري عن البعث الأفريقي وعن نقطة الافارقة في
قصائد عديدة ضمنها صفحات دواوينه ، من هذه قصيدة عنوانها « أنا زنجي »
جمعت هذه القصيدة إلى التعبير عن هبة أفريقيا الاعتداد بالأصل ، وها هي ذي
أبياتها :

قلها لا تخبئ .. لا تخبئ !

قلها في وجه البشرية

أنا زنجي

وأبي زنجي الجدد

وأمي زنجية ..

انا اسود
اسود لكنى حر امتلك الحرية
ارضى افريقيه
عاشت ارضى
عاشت افريقية
ارضى .. والابيض دنسها
دنسها المحتل العادى
فلا مض شهيدا ..
وليمضوا مثلى شهداء اولادى
فوراء الموت .. وراء الارض
تدوى صرخة اجدادى
لستم بيننا ان لم تذر الريح رماد الجلال
لستم بيننا ان لم يحل الغاصب عنها مدحورا
ان لم تخلع اكفان الظلمة ..
ان لم تتفجر فورا ..
ان لم يرتفع العلم الاسود ..
فوق رباها .. منصورا
ان لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا
الفجر يدك جدار الظلمة
فاسمع الحان النهر
هاهى ذى الظلمة تداعى
تساقط .. تهوى فى دعر
هاهو ذا شعبى ينهض من اغنامه
عارى الصدر ..
ها هو ذا الطوفان الاسود ..
يعدو عبر السد الصخرى

هاهى ذى أفريقيا الكبرى ..

تتألق فى ضوء الفجر ..

يحد الناظر فى شعر الفيتورى شكاة صريحة يعدد الشاعر فيها المظالم التى حاقت
بالأفريقيين فأورثتهم حقدا ، يصور الشاعر كل هذا فى إطار من الكآبة يكشف
عما يعمل فى نفسه . والابيات الآتية تمثل ما نقول ، وعنوانها - « إلى وجه ابيض » .

الآن وجهى اسود (١)

ولان وجهك ابيض

سميتنى عبدا

ووطئت انسانيتى

وحقرت روحانيتى

فصنعت لى قيدا

وشربت كرمى ظالما

واكلت بقلى ناقما

وتركت لى الحقدا

ولبست ما نسجت خيوط مغازلى

وكسوتنى التنهيد والكدا

وسكنت جنات الفرداديس

التي بيدي نحت صخورها الصلدا

وانا .. كم استلقيت فى كوخ المدجى

أتلفح الظلمات والبردا

كالشاة اجتر الكآبة

عاقدا حولى دخان تفاهتى عقدا

حتى اذا انطفأت مصابيح السما

وانساب نهر الفجر ممتدا

ايقظت ما شيتى الهزيلة

وانطلقت اقودها لمراحها قودا
فاذا سمن نعمت انت بلجمها
ونبذت لى الامعاء والجلدا
لا ياأخى !

ان الكهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدأ
هيهات

لم اخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
انا كائن امى واملك طينة
والنور ليس لايانا جدا
فالآم تحرمنى حقوقى ؟
بينما تلقى السعادة انت والرغدا
والام تستعلى بانفك سيدا ؟
وانا اطاطىء هامتى عبدا
انى صحوت ..

صحوت من امسى
وذى فأس تهد قبوره هدا
ساكون نارا .. فالحياة تريدني نارا
وارقص فوقها رعدا ..
فالخلع براقع كبريائك ..
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدى
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيذا
انى اخوك فلا تعق اخوتى
فتريد بركانيتى وقدأ
اياك .. لا تبذر بذور عداوتى

فتعود لمحصده شو كها حصدا
اياك لا تززع حقولك عوسجا
اني زرعت حقولي .. الورد

ان هذه القصيدة تصور كما يصور غيرها من قصائده ثورة الفيتوري على
التفرقة العنصرية وما يتبعها من افتئات على الحقوق — حقوق السود ، وما ينجم
عنها من احتقار يلقونه . ان كل هذا ينتج ألما دفينا يصوره الشاعر بقوله :

عاقدا حولي دخان تفاهتي عقدا
حتى اذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
ايظلت ما شيتي الهزيلة
وانطلقت اقودها لمراحها قودا

ويثمر حقد صرح به الشاعر حيث قال :

وتركت لي الحقد

كما صرح به في قصيدة أخرى قائلا :

ولما أبي .. ! (١)

مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد
وأخر كانت تنام الشياه وتصحو
على صوت مزماره
وفى ليلة ، كفرت روحه
بجزارها ، وبجزاره
فهب ، فاشعل احقادها
فسالت جنحها بوجه الصم
وابصره الغد فوق الرمال

تكفنه عزة المنتقم

تبلغ ثورة الشاعر قمته في قصيدته هذى . إلى وجه ابيض — فينفجر
مهيدا بقوله :

لا يا أخى !

ان التهاب مشاعري هيهات بعد اليوم ان يهدأ
هيهات

لكنه رغما عن كل ذلك يحنم قصيدته هذى بدعوة قوية واضحة إلى تأخ انساني
وتعاون بشري يقومان على نسيان الماضي والاقبال على الحياة في تحاب وتآزر
ومساواة ، وذلك حيث يقول :

فاخلع براقع كبرياتك

اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا

واضمم يديك إلى يدي

نشيد معا صرح المحبة بيننا شيئا

اني اخوك فلا تعق اخوتي

.....

.....

اني زرعت حقولى الورد

ان محمد الفيتورى شاعر مقتدر ينقل إلى القراء ما يعتمل في نفسه في عبارة قوية
واضحة رائعة لكنه مع القوة والوضوح والروعة يهمل قواعد النحج احيانا ويدخل
بعض الالفاظ العامية ، وهو ذو خيال قوى اصيل ويشهد بقوة خياله واصالته
مسرحيته « سولارا » (١) ومما يبين مقدرته أو « طول نفسه » تلك القصائد الطوال
التي تزخر بها دواوينه .

الاعتبار القومي والتغنى بالعروبة :

تغنت كثرة من شعراء السودان بالعروبة ، ومن تلك الكثرة عبد الله محمد

١ - احزان افريقيا - الفيتورى

عمر البنا وعبد الله عبد الرحمن الأمين وعبد الرحمن شوقي ، وقد أوردنا في فصول سابقة من هذا البحث آياتاً من شعرهم تضمنت تغنيهم بالتراث العربي الاسلامي . لم يكن التغني محصوراً في شعر هؤلاء إنما جاء في شعر غيرهم من مجموعة الشعراء الذين عرفوا بالتقليديين ، وجاء في بعض قصائد من شعر أولئك الذين عرفوا بالمحدثين أو المدرسة التجديدية التي « دعت إلى الاهتمام بالعناصر المحلية في الكيان السوداني وإبرازها قوة غالبة ، وفي هذا السبيل اتجهت اتجاهها قويا إلى الثقافة الغربية لكي تكتسب من غناها العلمي والأدبي أدوات تزيدها مقدرة ومهارة في انماء الأدب السوداني القومي الذي تريد إنتاجه » (١) لم تتجه هذه المدرسة هذا الاتجاه أنكاراً للتراث العربي الاسلامي أو تجاهلاً لأثره أو استصغاراً لشأنه ، إنما كانت تبحث عن « زيادة المقدرة والمهارة » ، أنها تريد أن تضيف إلى ما عندها وللعروبة فيه نصيب كبير ، ثم تخرج إنتاجاً مستقلاً وإن حوى بعض ملامح الاصول وشيئاً من سمات المنابت ، وما هو ذا أحد رجال تلك المدرسة يقول : « أحي (٢) لا قرر في تأكيد زائد أن اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية سيظل ملازماً لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد وما قامت فيها ثقافة وحركة فكرية . لكن هذا الاثر بلا شك سيكون عرضة للتفاعل مع المكتسب من الآراء الحديثة والأفكار الغربية ، وسيخضع كلاهما إلى جو هذه البلاد وما توحيه جغرافيتها وطبيعتها من افكار وتخييلات » .

إن هذا الاثر — اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية — سيظل ملازماً لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد لانه اصل اصيل في البيئة السودانية ، وهو التراث الذي تشبعت به تلك البيئة وظهر في المجتمع السوداني قويا واضحا في حياة الناس — في الدور وامكنة العمل وفي المنتديات ، واتخذ بعض الشعراء وسيلة لاثارة حماس المواطنين وتبصيرهم بما كان عليه اسلافهم في الماضي حتى يبين لهم حاضرهم فيهبوا لاصلاحه . لجأ هؤلاء الشعراء إلى التراث العربي الاسلامي لأن السودان يرتبط بالعروبة والاسلام ارتباط الدم والثقافة والعقيدة ، وهو في

١ — الاتجاهات الشعرية في السودان ، النوي ، ٦٠ .

٢ — المصدر نفسه ٥٤ (محمد احمد محبوب ، الحركة الفكرية في السودان .)

رجل كالرجال جاء بما
يأمر الماء بالوقوف فينصاع
وترى سكرا فيه ولكن
ثم ينجلي من المياه اناءين
يضع الشيء في يديك فتلقا
ويغطي الاناء وهو خلاء
ثم يذني الغطاء منه ويا
ويمزق عمامة لغللام
ثم يحلى اشارة فسراها
ثم يغري فتاته فتراها
ثم تلقاه من مهارته رد
ولكم رص في الهوى اعلاها
كم نحشنا عليه حين تحدى
قد عجبنا لفعله ودهشنا
وهو في فنه العجيب لقد فاز
هذر ما نراه ام هو جدد
زعموا انه الخداع ولكن
وهي ملكي وكيف يخدع لبي
ايها الملحدون هذى امور
عللوها فان قدرتم فقولوا

يعجز عن فعله بنو الانسان
وان شاء لج في الحريان
مثل جمر مسعر بدخسان
اذا شواء بعد يمتلئسان
ه على الرغم منك في يد ثان
ثم يأتيك منه بالثعبان
تيك بزواج من الحمام يمان
ثم يلقي بها إلى النيران
رجعت عمة من الدبيلان
ما لها بالحياة قط يدان
لها روحها بغير تواني
زاهيات الأشكال والالوان
طاعنا كل جسمه بسنان
فأشرنا له بألف بسنان
لابداعه بألف رهسان
ومن الناس ام من الشيطان
كيف في الشيء تخطيء العينان
وشعوري وفطنتي وجناني
من صنيع الجهال والعلمان
انه لا اله الا كـ

ان ألعاب الحواة ليست قاصرة على السودان ، وليس احتراف تقديمها وقفا عليهم ،
وقد يكون الحاوي المقصود بهذه الابيات غير سوداني . لكن عرض هذه الالعب
يكثّر في المجتمع السوداني ويألفه الناس ، والشاعر يضور ههنا في دقة ما يعترى
المشاهدين من دهشة تحملهم على التساؤل عن اصل مقدرة الحاوي تساؤلا يتضمن
وصفا دقيقا لكل ما يأتي من ألعاب . اما الودع وضاربه فقد قال فيهما الشاعر (١) :

أرت أم عباس اعجوبة
وما أم عباس الا عجوز
تبشرني وعلى وجهها
وتخلف ان لم ازل ما ترى
تجادل ان انا جادلتها
تلقته عن ملك في المنام
نذرت لها شقة مؤمنا
فجازت بها رغم مطلقها
فقد نبأتني بما لم يسدر
فواعجبي كيف نبأتها
وواعجبي كيف في عصرنا
وان كنت صدقتها ما ادعته
ولست بمعترض بعدها
وفي الرمل اشياء تكن له
امور ارى بعض أسرارهن
على انها خدع عندما
اصدق من صبيحاتها
ولكن من الحمق ان ترك
تضل كبير الحجي بالودع
تقى بها نزعسة للودع
بريق السرور يحظى المنع
فليست تعود «لخط الودع»
كمن هو في فنه قد برع
فأى ملك لهذا شمسرع
بأن الذي اخبرت لن يقع
مطرزة ليس فيها رقع
يبالي وها هو حقا وقع
وديعاتها بأمور تقمع
تصح الجرافات في المجتمع
فما انا الا لعقلي تبسم
اذ اصبح الناس جميعا «شبع»
حساب على فهمنا ما امتنع
صدقا به من داره اقتنع
يزاولها بعض اهل الطمع
وليست تجوز على الخدع
اللباب مشايعة للبدع

ان شعر حمزة زاهر بالصور المحلية كهاتين الصورتين وغيرهما من وصف بعض
المناظر والبقاع والمناطق في السودان . اننا نحمد له تعمقه في الوصف فهو يتعدى
ذكر ما يقع عليه البصر أو يلتقطه السمع إلى ما يدور داخل النفس — ففي قصيدته
«ليلة ونهار» التي تبدأ بقوله :

الشمس خلف الجبال
والكون في العين امسى
كأنما كل شمس
غابت ولاح الهلال (ان)
حقيقة كالحبال
مكون من ظلال

ثم يحدثنا عما يجول في دميائه قائلا :

هذا سكون مريع	إن أجلسال. النضال
لكن نفسي تفانست	في حيرة وانفعال
أواه مما تقاسى	بلسهالها بالأسال
فهلى ترى الموت يشفى	من مثل دائي العضال
هذا سؤال ولكن	ماذا جواب السؤال

ينسج حمزة على هذا المنوال بالحديث عن ذات نفسه والتعبير عن حيرته في بعض حقائق الحياة في معظم قصائده وهذا « نفس جديد في الشعر السوداني ، لا نجد عند محمد سعيد العباسي أو عبد الله عبد الرحمن أو عبد الله محمد عمر البنا أو غيرهم .. » (١) . لكنه يرجع إلى العامة أحيانا ومثل ذلك قوله :

الحمد لله راقست واعقب الخال حال (٢)

فالجمعة « الحمد لله راقست » تعبير يدور كثيرا في السنة عامة الناس ، ومنه أيضا قوله زعموا أنه الخداع ولكن كيف في الشيء تخطى العيان

فقد عدى الشاعر الفعل « تخطى » بحرف الجر في وهذا من أساليب العامة السودانية إذ يقال فيها « يخطى في .. » .

كذلك نجد العامة في قوله :

ثم على إشارة فتراها رجعت عمه من الدبلان

وفي قوله — لم تقم هذه الخرائب إلا فوق ملائ عنه الكلام يطول فالعبارتان « عمه من الدبلان » و « الكلام يطول » من اللغة العامة السودانية ، وهكذا إذا تتبعنا قصائد حمزة الواردة في ديوانه نجد أثر العامة في عدد منها : ومع أن الشاعر يتعمق في وصف احساسه وفي وصف مظاهر الطبيعة في وطنه السودان إلا أنه لا يتخير لوصفه هذا بعض الإلفاظ والتعابير الجملية ولا يعنى بأسلوبه العناية التي تناسب دقة الوصف وعمقه .

١ - الشعر الحديث في السودان - انشوش ١٩٦٣

٢ - ديوان الطيبة - حمزة الملك طميل ، ١٠٥

وفي وصف الخلوة قال التجاني يوسف بشير (١) .

هب من نومه يدغدغ عينيه	مشيحا بوجهه في الصباح
ساخطا يلعن السماء وما في الا	رض من عالم ومن اشباح
حنقت نفسه وضاقست به	الحيلة واحتاجه بغض الرواح
واهابت به الظلال وقد نشرن	في جلوة القري والبطاح
طوفت في خياله ذكريات الر	وع واعتاده مطيف الجناح
ومشى بارما يدفع رجله	وينكي بقلبه الملتساح
ضمخت ثوبه الدواة وزوت	رأسه من عبيرها الفياح
ثورة صورت خوافي ما بين	حنايا صيينا من رياح
ورمى نظرة إلى شيخه الجبار	مستبطنا خفي المناحي
نظرة فسرت منازع عينيه	ونمت عما به من جراح
حيث « خلوة » المصبي ومرحي	بالصبا الغض من ليال وضاح
رب يوم أغر يزهو بدرى	نطاق وعبقري وشاح
وظلال من الضحى ظفرت	منها بعقد من الصبا لملاح
زهرات شتى منوعة الالوان	من سوسن الربى والاقاحى
منعت شمسها فعاودها الف	هوى يستفيدها للمراح
ونفوس سجي الكرى في حوا	شيه ودب الفتور في الارواح
فارجحت مهومات وما	تبرح مركوزة على « الالواح »
كلما لفها النعاس واضفى	فوقها عالما ندى الجناح
قصف الرعد في المكان ودوى	مرزما صاحب قوى الصباح
فاستفاقت وهيمنت بعض اشياء	وعادت وعاد قصف الرياح
صور للصبا الاغر موشاة	بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مقائن دنيا	ها وتفسر غن سنا وضاح

نظم التجاني قصيدة وصف بها مدينة الخرطوم في ستة وعشرين بيتا لم يعرض في قصيدته هذى إلى المناظر الحسية المحددة التي تتميز مدينة الخرطوم كموقعها بين

النيلين : وكمنظر التقاء النيلين لاسيما في زمن الفيضان . لم يذكر الشاعر شيئا عما اصاب هذه المدينة من تقدم عبراني ، وعما فيها من نهضة تجلت في بعض انديتها وغير ذلك مما يمس حياة اهليها أو يصور تلك الحياة . ومنهما يك من شيء فهذا بعض ما قاله التجاني في مدينة الخرطوم :

مدينة كالزهرة المونقة تنفخ بالطيب على قطرها (١)
ضفافها السحرية المورقة يتفق قلب النيل في صدرها
تحسبها أغنية مطرقة نغمها الحسن على نهرها
مبهمة الحانها مطرقة رجعها الصيلىح من طيرها
وشمسها الحمرة المشرقة تفرغ كأس الضوء في بدرها

أحنى عليها الغصن الفاره وظلمها العتقود من حادر
وهام فيها القمر الرافه يعزف من حين إلى آخر
قصيدة الحمها الاله يراعه القبان والشاعر سر

مدينة السحر مراح العجب ومفتدى أعينه الساحره
تنام فيها حجرات الذهب على رياض نضرة زاهره
اضاءها النجر فلما غرب اضاءها بالانفس الناضره
وحفها الحسن بما قد وهب وزانها الحب بما صوره
يا للغير الحلو من ذا احب ويا لذلك الظمى من سساوره

ان هذا الوصف وصف جيد مع اننا لو اسقطنا العنوان لما عرفنا المدينة الموصوفة ، وسر جودته ما اودعه الشاعر من صور شيقة متعددة رسمها خيال رومانسى . يبدو من هذه الصور ان الشاعر معجب بمدينة الخرطوم وبما فيها من « جمال بشرى » . للشاعر قصيدة وصفية اخرى خص بها جزيرة « توتي » ورسم فيها بشجرة بعض مناظرها الطبيعية وما يدور فيها من حركة في الصباح في اربعة واربعين بيتا ، وها هو ذا بعضها :

يا درة حفيها النبل
وضحا الدجى وتغشا
وصباح بين الربى
وطاف حولك ركب
وراح ينفض عينيه
فماج بالايك عش
كم ذا تمازج فسن
يخور ثور وتغفو
والبهم تمسرح والزر
تجارب اللحن والطحن
وهب صرت النواعير
ان الجرار وقد ضا
تكسرت وهى تهوى
وظل قزنك يا
فكل غصن مصابيح
ونور الطل واحمر
وذاب فى الرمل او ما
ترجل الريح ما انها
رسلا يبرق در
والفلك فى جانبيها
هنا شراع مكر

واحتسواها البر (١)
لك فى الاسرة فجر
الغر عبقرى اغر
من الكراكى اغر
من بنى الايك حر
وقام فى العش دير
عبل يديك وصحر
شاة وتنهق حمر
ع مونق مخضر
والثغاء المسر
وهو فى الشجر مر
ق بالقلب الممر
فما تلاءم كسر
شمس آنذاك يذر
من ندى يستلر
فى الثرى المخضر
ج فى التراب غير
ل من قفا او تذر
منها ويبهر در
كالدهر ما تستقر
وذا شراع مفسر

فى هذه الايات التى اخترناها من قصيدة « توتى فى الصباح » وصف جيد
ايضا فيه صور عديدة تأسر القارىء بحملها وتستهوى السامع باحكامها وحينئذ
يراهما بخياله رائعة حية . ان المناظر التى يصفها الشاعر ليكون منها صورة اشبه
بحقائق الحياة فى توتى ان لم تكن منها بالفعل ، وقد اعمل الشاعر خياله الخصب
التفادى فى تلك الحقائق فاتحفنا بوصف شائق حتى ابرز جمال الطبيعة فى بقعة من

بقاع بلادنا . ان ووصف الحرطوم جميل ووصف توتى جميل ، وقد اعجب الشاعر
بالحرطوم لما فيها من جمال حسى ساقه وجمال معنوى نخلب لبه فهي حاضرة قومه
ومصدر الكثير مما يتوقعه الشاعر لبنى وطنه . وقد اعجب الشاعر بتوتى — راقه
جمال الطبيعة فيها ، وفتنه ما تصوره من الحياة القروية وما يتجلى فيها من سحر
الريف السودانى وحياة اهليه البسيطة وما يزينها من صدق فى العزيمة والايمان
وسماحة فى الخلق ، واننا لنجد وصفه لتوتى احب إلى النفس فالصور فيه ابهج
واوضح وهى ايضا اصدق لانها بسيطة بساطة الحياة فى جزيرة توتى ، فقله :

رملاء يبرق در منها ويهر در
والفلك فى جانبها كالدهر ما تستقر
هذا شراع مكر وذا شراع مفسر

صورة حية ناطقة لشاطئ النيل فى توتى ورماله تتلألأ ذراتها تحت وهج الشمس ،
والقوارب المنتشرة فى الشاطئ بعضها ذاهب وبعضها الآخر آت ، والواقف منها
تحركه الامواج وتدفعه فيهتز أو يختلج ويضطرب مع حركة الامواج . يتأمل الشاعر
هذه القوارب فى اضطرابها واختلاجها أو سيرها ذاهبة آتية فيتذكر الدهر وصروفه ،
انه يشكو فى غصون اعجابه بالجمال وافتتانه بهذا المنظر ، وقوله :

مدينة السحر مراح العجب ومفتدى اعينه الساحرة
تنام فيها حجرات الذهب على رياض نضرة زاهرة
اضاءها الفجر فلما غرب اضاءها بالانفس الناضرة

صورة أو صور جميلة لكنها فيما نرى لا تتضح لعين الخيال ، ولا نستطيع ان
نعرف مراد الشاعر من قوله « حجرات الذهب تنام على رياض نضرة زاهرة »
ولا نستطيع ان نتخيل تلك الحجرات نائمة وان موضع نومها رياض نضرة زاهرة
اما ثالث هذه الابيات فلا يدخل فى الصورة السابقة الا انه يشيد باهل المدينة اشادة
موجزة عامة ، هم « انفس ناضرة » تحل محل الفجر اذا غاب ، وهو يريد بالفجر
ههنا ضوء الشمس أو النهار لان ضوء الفجر يبقى قليلا ويعتبه النهار فهو اذن بدايته
ولعل هذا هو ما اباح للشاعر استعمال « الفجر » ههنا فى هذا المعنى . ان شعر
التجاني جيد بصفة عامة من حيث المضمون والشكل فقصائده تنسم بوحدة الموضوع

وخصوبة الخيال الا ان معانيه لا تخلو من الغموض احيانا ويشيع في بعضها نفس صوفي ، اما أسلوبه فسلم في الغالب الاغم فقد افاد بما قرأ من شعر الاقدمين وأدبهم ومما درس على شيوخ المعهد العلمي سلامة العبارة والوزن وصحة التركيب اللغوي .

لم ينظم التجاني شعرا في الوطنية. والسياسة كما فعل كثيرون من شعراء السودان الا ان شعره لم يخل من تعلق بالوطن وتفكير في شئون المواطنين . كاد تعلقه بوطنه يقوده إلى الثورة فقد ضاق ذات مرة بما يلقي الاجنبي في بلاده من رزق ميسر وعيش هنيء ، وعز عليه ما يحده السوداني من حرمان فقال :

قف بنا نملأ البلاد حماسا ونقوض من ركنها المرجح (١)
هي لتنازحين مورد جرد وهي للاهلين مبعث صن
يستدر الاجانب الخير منها والبراء العريض في غير من
ابطرتهم بلادنا فتعالى ابن اثينا واستكبر الارمسنى

غير ان ثورته هذى هدأت فجأة فقال يبكي اساه في يأس قاتل :-

يا بلادي اخلصتك الخيز واستصفيت ودى اليك من كل مين
يا بلادي وانت اضيق من رز قى مجالا ودون اخرات اذنى
حسب قلبى من الاسى ما الاقى ملء جنبى من كلال واين
ونحسبى من حاجة عوز يد فمع نفسي إلى فراق وبين

وفي قصيدة أخرى صرح بانشغاله بامر قرمه ، فمن سهر مضن يورثه الاجهاد والضعف إلى عمل متواصل يصيبه فيه النجاس احيانا والفشل أخرى ، وذلك حيث يقول :

كم صباح نسجته انا والنجم وارسلت شمس من محطى
قلت سبرى على اسرة قومي واستحوى على مضاجع رهطى
انا جراءهم سهرت ليستغشوا ومن اجلهم اصيب واخطى

تناول الشاعر محمد المهدي مجذوب بعض الاحداث التاريخية التي تصور

أمجاد بلاده ، ففى قصيدته « المصير » (١) جاءت الايات الآتية :

أأسمع من شيكان رعدا تحدث
فهاج بحلفا قبر عثمان لنفسه
واسمع شيخى غابرا من نشيده
واصبجت ما صدقت ظنى واعينى
وجمعت اثلاثى وناديت عزمه
وعن عجب لم اسرح من هواجس
وما صاحكنى فرحة قد دفنها
ولكننى - والامر لله - حاقد
وليس بوجهى انما بجهنم
جيبنى صخر لاينالى وهل شفى
بذلت جيبنى للرزايا واعينى
وياوطنى خمسون عاما تصرمت
رفعت عليها راية النصر فى يد
فمن لى بلقيا من تولوا وازمعوا
غرستم لواء فى دماء خصمية
وثرنا فهذا النيل ارسال موجه
تشير إلى اعدائنا فى قراره

زمازمه حول النحاس المغرد
كسيف على ثأر يناجيه مغمدا
وهاج ابن منصور قتيل بمسجد
تصيح الا انظر هبة الفجر واشهد
مبددة اثر الفسواد المبدد
بيت بها فى الضوء ظل التردد
زمان الاسى هيهات انسى بلحد
اسامر حقدى بالشمات المبرد
تبسم شيخ حاقد الشيب ادر
سرى الماء يجرى بين احناء جلمد
على وطن دامى العشيات مقصد
حجلت بها حجل الاسير المصفد
ومزقت ثعبانا من القيد فى يد
الى كررى بينا على غير موعد
فجشن بغاب من رماح محشد
سيوف تنادى فوق درع مزرد
تصيح بسيف على كل مرصد

يذكر الشاعر ههنا « شيكان » و « كررى » كما يذكر بعض اشخاص الا انه لا يعيدها عدا ، ولا يرسلها فى نظم خاو خال من العاطفة بل يدخلها فى فيض من عاطفته حتى ان تلك الاسماء مع ما لها من مكانة ووقع تحتفى فى ذاك الخضم الملتهب . يبدو فى اوائل هذه الايات غضب مكتوم نحس به فى تساؤله : « أأسمع من شيكان رعدا » ، انه تساؤل الراغب المتمنى ، انه يود لو جليجل رعد وقصف وانهاى على الاعداء وحصدهم حصدا . لعل بعض ما حدث بدا للشاعر هكذا ، فشفى

نفسه وإبرأ سقمها ، لكنه لا يكاد يصدق ومع ذلك ينتظر كرة أخرى . ثم نحس
ألما دفينا في قوله :

وجمعت أشلائي

وقوله : لم استرح من هواجس

وقوله : وما ضاحكتني فرحة قد دفتها

واننا لنألم معه فإوصاله مقطعة ، وعزيمته واهية لا يكاد يسرّجها لأن فؤاده لا
يسعفه ، ونرثي له لأن التردد يعتاده فتكثر هواجسه ، فيذهب فرحه ليحل محله
الآسبى والحقْد — فقد تمازجه شماته ، فقد عتيق غدته السنون . رغم هذا الأوار
العاطفي المتأجج في دخيلة الشاعر نراه يسرّج قواه ويأخذ في فخر صلب عنيد
وكانه يريد أن يعلن بذلك عن رفضه الاستسلام للضعف وعزوفه عن الشكوى
وكيف يضعف ويشكو وما هو ذا وطنه يهب في وجه الدخلاء رغما عن القيود
وطول الأمد .

قصيد أخرى سماها الشاعر « عيد الحرية » (١) ، قال :

وطنى الذى اهوى .. لغينى مسفر	يدعو رؤاى الغابرات فتبصر
فجر تخلق من ارادة أمة	وأهل تسمع ما يقول فتذكر
صاف توهجت المنى بضياؤه	شئى كما عكس الاشعة جوهر
والنيل قد لبس الضحى من خضرة	متموج فيها العباب الاسمر
والرمل من ذهب يشف ، مآزر	تحت النخيل حريرها يتكسر
والزهر انفاس يطوف عبيرها	متوقف ، متأفك ، متعثر
والزرع نور وعده لسواعد	أخشناء تورق فى الضفاف وتثمر
صور عشقت لها الحياة مريرة	وبقيت بين خطوطها تنظر
اصغى إلى الصبر الوقور وخلفه	كبد يذوب على شباب يدبر
واني وان فت الشباب فانه	وطن يدوم به صباى الاخضر
مهد لاطفالى وثدى امومة	متجدد يهب الحنان ويؤثر
عيد ولم يك قبله من عائد	يأتى الينا باسماء ويبشّر

قد كان رهن محاجر من ظلمة
حتى اذا نضح الحفاظ اياه
وافاق يشعل ناره في ليله
وبدا الصباح مهندا في لعه
ضرب القيود فكل عى منطق
والنيل منبر ثورة اغواده
وطنى الذى اهوى كتاب ملاحم
وعثمان بيض نيل غمائمنا
وقرى على النيل الوفى برزقه
معصومة في خلوة ميراثنا
قعدت ترقص مغزلا مترنما
وتعف عن ذل السؤال مروءة

.....
وطنى اعود به كيوم خروجه
غمر التلال فكل تلى مهجة
وارن في كررى نحاس كريمة

.....
فخرا بنى وطنى واني شاعر
من مبلغ شهداءنا بدمائهم
هكس نهافت في حباثل مكره
يعلو مناكب سابح متمطر
نسر تطلع للقضاء ودونه
او مارأى بعد الهزيمة ثورة
اودى به قومي واصبح قصره
رافاه منا أمر نختساره
قصر تتوب ظلاله من ريبة

الصبح فيها اعين تتحجر
دن : نكتمه النفوس ، معمر
تهدى الكرى للظالمين وتسهر
ضحك المغيظ بكل هول يسخر
يصمى العداة وكل سد معبر
غاب وراء ليوثة يتمرر
كبرى تضىء على الزمان وتبهر
في ظلها كرم يهش منضر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر
لروح وآيات عليه تسطر
وتغض عن مكر اللئام وتغفر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر

.....
في الخيل موردها النجيع الاحمر
غنى باضلعها الرصاص المسطر
زجل يكاد حماسة ينفطر

.....
بالحامدات من المآثر يفخر
بقيت بنا تلقى العداة وتشار
وتلاه كتشير الكفور الاعور
والريش من يافوخه يتحدر
كررى تسيل بها الختوف وترخر
لا تنثنى وعزيمة لا تقهر
في الشط نملك امره وذبر
جهرا يساند رأينا ويؤزر
وبياضه من فتنة يتطهر

ولقد نرى غردون في ابهائه شلوا تناوشه الرماح الشجر
بمضى البعير به ويعلم انه شيخ جلاله على العيون مصور

مرة أخرى نجد العاطفة الملتهبة ولكنها هذه المرة حب جارف عميق ، احب بلاده
بنيلها وزمليها وزهرها حبا صور له وطنه فجرا صافيا مسفرا « تخالق من ارادة امته »
انه حب اساسه اعجاب قوى بمظاهر الطبيعة في موطنه وايمان عميق باهله وخلقهم
واعتماد بما اوتوا من تراث عريق مقدس . لقد ولد الشاعر ونشأ وترفي بين هؤلاء
الناس ونعم بفضائلهم وسينعم اولاده بها وينهلون منها :

مهدي لاطفالي وثدي امومة متجدد يهب الحنان ويؤثر

ان الشاعر مفتون بماثر قومه . انه يفخر بها ويعددها واحدة واحدة متمنيا ان ينهض
الشهداء من قبورهم ليشهدوا الامجاد الجديدة التي ستضاف إلى ما قدموا من مآثر
في غضون فخره يندد الشاعر بهكس وكتشتر وغردون في تيه وسخرية إلى حد ان
ينفذ بعين الخيال إلى الماضي ليرى مصرع غردون وبصوره لنا بكلماته . مجد الشاعر
في ابياته هذى ما قام به مواطنوه في سبيل استرجاع حريتهم واستخلاص ازمة
الامور من الحكم الاجانب واعادتها إلى نحر منهم :

او ما رأى بعد المزيمة ثورة لا تنقضي وعزيمة لا تقهر
اودى به قومي واصبح قصره في الشط نملك امره وندير
واقاه منا آمر نخاره جهرا يساند رأينا ويؤزر

وقد كان جهادهم صادقا متواصلا ازال الحكم الاجنبى وغسل الادران واعاد
إلى البلاد طهارتها ونقاءها —

قصر تتوب ظلالة من ريبه وبياضه من فتنة يتطهر

تبدو لنا عاطفة محمد المهدي مجذوب في قصيدته هذى قوية عميقة ساخنة ، انه يبدأ
بوصف مفصل جميل يتحدثنا فيه عن الفجر المتألق والرمل الذهبى ، والزهر وإنفاسه
ذات العبير إلى غير ذلك من المشاهد المعجبة فيشيع البهجة في مطلع القصيدة وتنتقل
منه إلينا بهجته تلك الناطقة بحبه ، ويؤكد ذلك بقوله :

صور عشقت لها الحياة مريرة

ولفرط ابتهاجه لا يأسى على شبابه الفاتت إنما يسعد لأن نشأة بنيه ... في هذا الوطن بطبيعته الحلاوة واهله الانخيار الابرار - هي استمرار « صباه الاخضر ». هكذا يتدفق الشاعر حبا جارفا وتفيض عباراته عاطفة نكاد نحس حزارة لبها في معظم ابياته .

سنتقل بعد هذا إلى مقطوعة قصيرة من نظم الشاعر عنوانها « الطليعة » (١) قال فيها :

وطنى وقالك من الدخيل وظفره خمسون من عمر الزمان تصرمت حتى اذا برح الخفاء تفجسرت خمسون قد طويت وعدت محاربا وبمسمعى وما وهمت قصيدة وبأعيني كررى تعود كأنما وطنى هو الدم فائرا عتقه ان الألى خذلوك حين دعوتهم	ليل الشبية والمشيب المقمر سودا وانت بها تزد وتقهسر دفع الصباح وللظلام تكسر ما زال فى كررى لواءك يخطر شيكان تنشد رجوعها وتكرر لم يطر فيها للبطولة منظر كررى تضج به الغداة وتزأر طاشوا واسكرهم عقوق مسكر
--	---

هنا فى هذه الايات - مع قلتها - تنضح لنا براعة الشاعر فقد صور جهاد المواطنين شيئا وشبابا وعملهم المتصل من أجل بلادهم ، جهاد « تفجر كدفع الصباح » « فتكسر الظلام » امامها ، ولفرط اعجاب الشاعر بوقفه مواطنيه فى كررى وشيكان نراه يجعل جهادهم هذا استمرارا لجهاد اسلافهم ودفاعهم عن بلادهم فى كررى ثم يربطه كذلك بجمركة شيكان هذا الربط العاطفى الخيالى اذ يقول :

وبمسمعى وما وهمت قصيدة شيكان تنشد رجوعها وتكرر

فاذا كانت شيكان « تنشد رجوع القصيدة وتكرر » « فكررى تضج وتزأر » « بالدم الفائر » وما زال « اللواء يخطر » فيها - لواء النصر فكأن اسلافنا الذين اندحروا هناك لم ينحسروا لأن احفادهم هبوا ووقفوا فى وجه الدخيل إلى ان انتصروا عليه واجلوه عن بلادهم .

١ - ناز المجاذيب م . المهدي مجذوب ، ٢٢٢

يبدو محمد المهدي مجذوب في هذه الامثلة التي عرضناها شاعراً قوياً الخيال متأجج العاطفة بارعاً في نقل عاطفته إلى قرائه ومستمتع شعره وفي تصوير ما يدور بخياله ، يزين كل هذا أسلوب سليم ناضج .

من شعراء الوطنية المحدثين « جعفر حامد البشير » صاحب ديوان « حرية وجمال » ضمن الشاعر ديوانه هذا قصائد عديدة يتحدثنا بعضها عن افتتانه ببعض مدن السودان وبقاعه ، وفي كثير من القصائد الأخرى يدعو الشاعر بني وطنه للاتحاد ويستحثهم للعمل على اخراج الحكم الدخلاء ، ويوسع أولئك الحكام وحكمهم ذماً وانتقاصاً . كذلك يشجع في قلة من قصائده نهضة الفتاة السودانية إلى غير ذلك من الموضوعات الوطنية . لم يغفل الشاعر العالم الإسلامي والعالم العربي فقد نظم لفلسطين وايران ودعا مصر والسودان « للكفاح المشترك » . في الديوان ايضاً قصائد عاطفية تكشف عن حب الشاعر الجمال وتعلقه الشديد بمفاته في البشر ، وفي المظاهر الطبيعية في المدن أو في الريف ، وها هي ذى ابيات من قصيدته التي نظمها لمدينة الخرطوم : قال :

وسحرا ودنيا كلها بسمات (١)	رعى الله في الخرطوم حسنا وفتنة
واشرق افق حولها وجهات	اذا جئتها عند المساء وقد زهت
من النور رفاف له بلجات	وطارد اطياف الدياجر جنحفل
وشعت انايب به وكسرات	سرى في سلوك الكهرباء فابرق
فهاجت جنان حوله نضرات	وهبت من النيل الجميل نسائم
ولو آما في اهلها حرمات	جنان ولكن لست اغفل ذكرها
وحسن فهل في روضك الحسنات	حنائك يا خرطوم كللك روضة
مشين فكان الدل والخطرات	وما اروع البيض الحسان سوافرا
فتزدجر الساحات والطرق	يطوفن في وقت الاصيل تنزها
.....

فللنفس في محرابه سجيدات	جمال يهز النفس اني توجهت
وظابت لدى مرتاده الروححات	فما ابهج الخرطوم طاب غدوه

ونبحث عن عاطفة الشاعر التي اثارها جمال الخرطوم الطبيعي ، وجمال ما رأى الشاعر فيها من بشر في هذه الايات فلا نجدها انما نجد وصفا سطحيا لا يكشف عن اعجاب عميق أو افتتان — نلاحظ ان الشاعر انتهى وصفه للطبيعة الجميلة بالبيت الخامس واجمله فيه فقال :

حنانيك يا خرطوم كلك روضة

فهل انتهى اعجابه . أو لم يبق بعد هذه الايات الخمسة وما جاء فيها منظر جميل في الخرطوم يستحق الوصف . « اما الجمال البشري فقد خصه بثلاثة ايات واختار «البيض الحسان السوافر» ولم يقل فيهن الا القليل ، وان لنا ان نتساءل عن السمرات والمحجبات . لقد احسن الشاعر وصف وتبيان ما يفعله الجمال في المعجبين اذ قال :

ففي كل عين لطفة وتظلمع وفي كل قلب نابض لنفسات
جمال يهز النفس اني توجهت فللنفس في محرابه سجدات

الا اننا نود لو أن استمر الشاعر وتعمق قليلا فالجمال متسع .

للشاعر قصيدة أخرى هي « ذكرى وادي الارك » — تضمنت هذه القصيدة وصفا لذلك الوادي وبينت شوق الشاعر وحنينه اليه . وها هي ذى ايات منها :

يا بلاد الارك ما زالت الذكري	بفكري وما يزال الحنين
وغرامى .. فمانسيت غرامى	أو تشككت فيه ، فهو يقين
ان توات منذ افترقنا سنون	فلقد هبت هوائ السنون
كيف وادي الارك والغابة الخضرا	والرمل والجبال الجسون
والسحب الركام ، والافق النائم	والطل والنهار الضنين
والنسيم البليل يعبر في رفق	فتنساق اذ يبر الشجون
والليالي بذى الارك وبدر	انهكت ضوءه الحبيب الدجون
وصحائي بذى الارك وقوم	انا صيب بحبهم مفتنون

ان الشاعر ههنا اقرب إلى التعبير والتعداد منه إلى الوصف العاطفي الذي يصور مواطن الذكريات تصويرا يشيع البهجة ويرسم لمناظر تلك المواطن صوراً حية معبرة يراها القارئ بين الكلمات بعيني خياله .

عبر الشاعر في أكثر من قصيدة من قصائد الديوان عن مسائل شغلت باله ،
اولاها تفرق كلمة مواطنة فقد آلمه ذلك ايلا ما اطلق لسانه في لومهم وحثهم على
الاتفاق — قال :

يا ويح قومي الام الخلف يدفعهم
هل آثروا الخلف في اهدافهم جزعاً
من لى بهم امة خرساء ان نطقت
حتام يا قوم حتى في تخلصنا
اواه اني احس الغيظ يفجعني
نحو الختوف وما يدرون ما صنعنا (١)
ام آثروه على اهدافهم طمعا
الفيت شمل بنيتها ظل مجتمعا
من ربة ذلك يغدو رأينا شيئا
من امة لا تحس الضر والوجعا

ان هذه المقطوعة رغما عما تنطق به من غيظ الشاعر وما يبدو في اولها من حيرته
الا انها اشبه بالخطاب الوطني السياسي. الثرى منها بالشعر اذ هي تخلو من الخيال
والعاطفة كما ان في اسلوبها شيئا من الضعف — انه يذكر « ام » « والمعادل » بعد هل
وفي قوله « حتى في تخلصنا » رائحة العامية ، واننا لنحار في ما يريد الشاعر من
البيتين الثاني والثالث . نعي الشاعر على مواظبه خلفهم في أكثر من قصيدة وشكا
من تقصير بعضهم ومن ثقة بعض بالحكم الاجنبى ورجائه . كذلك اعلن بسخطه على
الاحزاب لانها اضررت بالبلاد ، قال :

وطنى. لئن فتك الدخيل فمثله
ماضر لو كان الكفاح مبرءا
وطنى. لو الاعداء كانوا وحدهم
لكن ويا اسفا عليك فانها
واضر منه تفاتك الاحزاب (٢)
من هذه الاوضار والاشباب
حربا عليك فذاك غير عجاب
حرب من الاعداء والاحباب

كذلك اعلن بسخطه على الحكم الاجنبى واوسعهم ذما ونقدا ودعا إلى اخراجهم
وحث مصر والسودان على التعاون لبلوغ هذه الغاية الا انه في كل ذلك كان خطيبا
أكثر منه شاعرا فالعاطفة باردة والخيال ضعيف والاسلوب لا يخلو من ضعف
احيانا وقد مثلنا لذلك فيما مضى ونضيف استعمال الكلمة « تفاتك » ولا نحسب ان
هذا الوزن يصاغ أو يستعمل من هذه المادة ، ومن اختلال الوزن قوله :

١ — حرية وجمال ، الطلبة الاولى ٢٦

٢ — المصدر السابق ٤٤

فرقت بيننا الحياة ولكن ربطت مصر حلقة الاتصال (١)
نحن جميعا بنو العروبة ان ننسب فما ثم غير عم وخال

وقوله :

هيمن مفتونا ولست اخاف بعد المزيد

وقوله :

ولكنما الشعب الاي سينتهي لغايته يوما والا فقد يفنى

وقوله :

انه المجهول في الاحياء فليلق اذكارا

فاكرموا قبل ان تبثوا على الاموات دارا

هذه « انصابتكم » لم تلق منا اعتبارا

الاحداث العالمية في الشعر السوداني الحديث :

لم يقصر شعراء السودان — على اختلاف مدارسهم الادبية وميولهم السياسية —
شعرهم على مشكلات السودان وموضوعاته بل خرجوا به إلى العالم الافريقي
لادراكهم ان الشعب الافريقي ضعيف مستضعف وانه يشاركهم المصيبة اي السيطرة
الاجنبية ، وانه يحاول جاهدا التخلص من تلك السيطرة ، مثله في ذلك مثل الشعوب
في السودان ومصر والجزائر وغيرها — فوق هذا و ذلك فان الشعب السوداني يمت
للعالم الافريقي اصلا ونشأة كما يمت للعالم العربي ، وآلام اي جزء من أفريقيا تنير
الحزن في السودان ، وافراح اية بقعة فيها تحرك المشاعر فيظهر اثر ذلك كله في
شعر الشعراء وثر الناثرين . وهذا الذي يظهر في الشعر أو في غيره يشد من ازور
اولئك المصابين المكافحين الصابرين ، وفي الوقت ذاته يقض مضجع الحاكم
الاجنبي المتسلط ، ويذيع امر ظلامتهم وينشر خبر جهادهم في جهات متعددة
وبهذا ولهذا يلقى الدخيل المتسلط ويضيق باولئك المناضلين ومن يؤازرونهم فيفكر
في مخرج ومن هنا يأتي الفرج .

عبد الشعراء السودانيون إلى مناصرة الافارقة والاشادة بابطالهم وجهادهم

ليحصلوا على ما يريدون في الحياة من حرية واستقلال تدفعهم إلى ذلك العواطف
الانسانية والطموح البشرى في ان تكون لهم وقفات مثل وقفات بعض الافارقة
وزعماء مثل بعض زعمائهم . ها هو ذا جعفر حامد البشير يخاطب ثوار كينيا
« الماوماو » قائلا :

وهب مناظلا جومو وقال لشعبه قوموا (١)
أيسعد عندنا الافاق وابن الغاب محروم
فرددها من الغابات موتور ومهضوم
واشعلها فما خمدت لها وقد وتضرم

وقالوا انهم جاءوا إلى التمدن في الغاب
وكيف يمدن الغابات ذو ظفر وذو ناب
وذئب يشبه الانسان في شكل واثواب
واقعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

تحرك ماردا الادغال وهو المارد الاكبر
شجاع لا يروعه طيب النار والعسكر
خطير دونه المخشى والمرهوب والخطر
ربيب الغاب قرب الاسد يزأر مثلما تزأر

اجومو يا عظيم السود انا نخفض الرأس
تحيات واجلالا واعجابا واحساسا
اجومو اننا نشكو من الزعماء افلاسا
فكن بالله يا جومو لهم هديا ونبراسا

لم يشر في قصيدته هذى رغما عن طولها الى صلة بين السودان وكينيا أو الى هدف
يسعى كل منهما إلى بلوغه ، وفي القصيدة ضعف يظهر في الأسلوب فقوله :

وقال لشعبه قوموا

اشبه بالعامية ، وقوله « وقالوا انهم جاءوا إلى التمدين في الغاب » ركيك .
يظهر الضعف أيضا في الخيال حيث يقول :

وذئب يشبه الإنسان في شكل واثواب
واقعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

وسبب الضعف أو منشأه فيما نرى التشبيه في اول البيتين فهو التقديم المعروف الذى
كثر تداوله ، وفي ثانيهما أراد الشاعر ان يحدد ويبتكر فيعيد عن المؤلف ليأتى
بالعجب ولكننا نرى انه لم يوفق لان الافعى لا « تحرق بالنفثات والصاب »
بل تقتل بسمها بعد ارهاب وايلام ، وهى ناعمة الملمس جميلة الجلد إلا أنها
مخيفة فتول ومظهرها لا يتفق وفعلها ، وهى موضع التشبيه بها لكن الشاعر
تجاهله لكثرة وروده فى شعر كثيرين من القدامى والمحدثين ، وكان ان جاء بهذا
البيت وقرر فيه ان الافعى تنفث صابا يحرق الاجسام ، وهى لا تنفث صابا لان
الصاب شجر مر^(١) ، ولم يعرف عن الصاب انه يقتل أو يحرق الاجسام حتى يقال
او يظن ان الشاعر يشبه ما تنفثه الافعى وهو سم قاتل بالصاب .

لم يعجب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ما ارتأته حكومة بريطانيا فى
امر الزعيم الافريقى « سرتس خاما » بل سخط على الحكومة ورئيسها وحزبه ثم
عبر عن ذلك السخط بقوله :

لعمرك ان مالتى ابن خاما	عشية قولهم ألا يعنودا ^(٢)
لموعظة لكل فتى رشيد	ومن لك ان تحس فتى رشيدا
ارى اتلى والعمال ضالسا	ضاللا لا منار به بعيدا
فيا نبا لهم ولا قسا	كما لاقى الاوائل من ثمودا

ويبدو الشاعر حزينا لمصير الزعيم فى قسمه الذى يبدأ به ابياته وفى الابهام
الذى يحدثنا به عن مصير الزعيم « مالتى ابن خاما » ويظهر يأس الشاعر فى البيت
الثانى ، اما السخط فنحسه قليلا فى البيت الثالث حيث يرمى الشاعر كبير وزراء

١ - القاموس

٢ - اصداه النيل ، الشبهة الثالثة ، ٤٨

بريطانيا وزملاءه « بالفضلال البعيد » ثم يدعو عليهم في الرابع ويصل المسخط قمته
عندما يتمنى لهم مصير محمود .

وجدت أحداث العالم العربي طريقها إلى نفوس الشعراء السودانيين وحركت
شاعرية عدد منهم مثلما حركتها أحداث العالم الأفريقي لنفس الأسباب ولأن
السودانيين يمتنون إلى العروبة بصلة الدم وروابط الثقافة والعقيدة . ففي نكبة دمشق
قال احمد محمد صالح :

صبرا دمشق فكل طرف بك	لما استبيح مع الظلام حماك (١)
جرح العروبة فيك جرح سائل	بكست العروبة كلها لبكاك
جزعت عمان وروعت بغداد	واهتزت ربي صنعاء يوم أساك
وقرأت في الخرطوم آيات الالهي	وسمعت في بيروت انه شاكي

مصورا بهذه البداية ما اصاب بلدان العروبة من حزن عميق والم مفض لضرب
دمشق ، وقد تطور الحزن الاليم إلى غضب نائر بعد ذلك ، قال الشاعر :

ضربوك لا متعطفين سفاهة	لم تأت اثما يا دمشق يداك
ورماك جبار يتيه بنحوه	نشرت يمين العليج حين رماك
اين الغساسة الالى دانت لهم	عرب الجزيرة يلثمون حصاك

لقد اذكرته غضبته هذي جبابرة كانوا يحمون دمشق وينفضون عرب
الجزيرة كلها ، انه يناديهم لينتقموا لها ان امكن أو ليسرى عن نفسه مما ألم بها ،
قد عاد إلى الغساسة ثم إلى الامورين فقال :

بل اين من مروان كل خليفة	لو يستطيع بتاجه لفداك
قم يا ابن هند وامشي فيهم غازيا	في كل جبار العزيمة شاكي

ولما هدأت ثائرتة قليلا اخذ يعزى دمشق بل يعزى العروبة كلها ليهون على نفسه
وقع الكارثة قائلا :

صبرا دمشق فكل هم زائل	وغدا يلوح مع النجوم سنالك
تتألقين كما عهدتلك درة	في تاج اروع من امية زاكي

في الجاهلية كان عزك باذخا وازدان بالاسلام عقد حلاك
يا جنة الدنيا وبهجة اهلها وحظيرة العباد والنسك
يا معقل الاسلام في عليائه لا تدعني للغاصب السفك

هنا سكت غضب الشاعر شيئا ما فقد تأسى بذكر الماضي وامجاده ثم التفت إلى فرنسا لاثما مفعرا بقوله :

قولي لديجول مقالة شامت انسيت في باريس نوح الباكي
انسيت كيف ترنحت « سيدان » من ضرب على هام الرجال دراك
انسيت يوم اتاك هبترل غازيا وفررت لم تصبر ليوم عراك

وهكذا يمضي احمد محمد صالح من حزن عميق إلى غضب نائر ثم إلى تصبر هادىء ونحن نتبعه في وهاد عاطفته ونجدها إلى ان يختم قصيدته بالنصح يزجيه للعروبة شأن الوالد العطوف والشيخ المحنك الشفيق ، فيقول :

قل للعروبة قول باك مشفق لا تركسني للغرب في مسعاك
الوعد عندهم جهام خلب وعهودهم شرك من الاشراك
ان كنت تبغين الحياة عزيزة صوني حماك وسددي مرمك

نظم الشاعر قصائد أخرى للعروبة في محنها ، فنظم لمصر عن « العدوان الثلاثي » ولفلسطين كما خاطب اقطاب العرب بشعره وفي ديوانه (١) مجموعة قصائد سماها « عروبة » وهو فيها كلها عاطف غيور يفيض حماسا واعتدادا .

لا يكاد شاعر واحد من شعراء السودان يقصر في مشاركة العروبة افراحها واتراحها ، ولا يمكن لاي منهم ان يكبح جماح شعوره ازاء ما يدور في بلاد العروبة ، ولم يكن احمد محمد صالح الوحيد في هذا المجال فقد سبقه كثيرون واعقبه كثيرون ، فمن الذين سبقوه محمد سعيد العباسي بقصيدته « الطرابلسية » (٢) لما شن الإيطاليان الاغارة على مدينة طرابلس « ليبيا » ، ومن الذين اعقبوه الدكتور عبد الله الطيب ومما نظم للعروبة قوله في فلسطين :

١ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٩١-١٠٦

٢ - ديوان العباسي ، دار الفكر العربي ١٠٦

ما بال همك جنح الليل متبابا
 اما تسلى بكأس من معتقة
 وكيف يسلو أخوهم تؤرقه
 اذا حسا الراح حاجته هوأعجبها
 فى الشرق والغرب اخوان ألم بهم
 مشردين بأفراق رجاءوهم
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 الدور صارت لاسرائيل خالصة
 واصبح القوم فى دهياء جائحة
 دهاهم ما دهاننا من مواعد لا

ام مالدمعك لا ينفك صبابا(١)
 صفراء قد حبست فى الدن احقابا
 لواعيج الهم لا تألوه الهبابا
 وجددت حزنا منه واطرابا
 صرف الزمان فأنهى المظفر والنبابا
 داج ألأح جبين الشمس أم غابا
 ويائس شك فى الرحمن وارتابا
 والمال غودر انفالا واسلابا
 يغالبون من الاقدار غلابا
 يوفى بها جعلت مينا وكذابا

ان عبد الله الطيب فى ابياته هذى كتيب مغم لا يكاد يغمض عينيه حتى ينتابه هم
 فوقظه ويجرى دمه حتى لا يكاد يقف عن الجريان . واذا حاول ان يتسلى بخمر
 معتقة جيدة صافية ، هاجت تلك الخمر « لواعيج همه » وزادت التهابا . انها اكبر
 من ان تتراح عن صدره بكأس فقد آخاها وآخته . والاخاء والمؤاخاة صلتان
 لا تنفصمان ، بل تبهيان بقاء الحياة . لقد تكاثرت الهموم على الشاعر حتى ضاق
 بها واننا لنحس ضيقه فى تساؤله : « ما بال همك .. » و « اما تسلى بكأس ... » ثم
 « وكيف يسلو .. » . لقد تكاثرت عليه ولازمته حتى لم يعد التخلص منها ممكنا
 اما ما اعتاد الناس على صرف الهموم به وهو الخمر فيزيدها ويؤجج نيرانها . لا بد
 ان مصدرهم الشاعر الذى يعتاده ولا يفارقه ، وربما يزيد ان حاول التخلص منه
 لا بد ان مصدره امر عظيم هائل أو امور متعددة بذرت الحزن فى نفسه فعبير
 عن حزنه ذاك بهذا الاسلوب الرائع ، ولنتأمل قوله :

مشردين بأفراق رجاءوهم
 داج ألأح جبين الشمس ام غابا
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 ويائس شك فى الرحمن وارتابا

لنحس فداحة الخطب الذى اثار عاطفة الشاعر فأنحفنا بهذه الابيات .

السودان كما قلنا من قبل ، وهو امر معروف ، جزء من العالم العربي ،

وهو ايضا جزء من العالم الافريقي ، وهذا الجزء مع كبله الاول وكبله الثاني فرع من الاصل الكبير — العالم وعليه فلا عجب بل ومن الطبيعي ان تثير احداث العالم شعراء السودان . لعل اقوى هذه الاحداث وأكثرها اثارا الحرب العالمية الثانية التي نشبت في سبتمبر عام ١٩٣٩ ووضعت اوزارها عام ١٩٤٥ ، اى بعد ست سنوات عانت فيها البشرية ما عانت . قامت هذه الحرب والسودان يحكمه البريطانيون وقد كانوا طرفا فيها. فوقف السودان معهم بجنوده وماله وارضيه ، وسخر الحكام الانجليز كل قدرات اهلهم لتأييدهم ومناصرتهم ، وقد قبل السودانيون ذلك مع كراهتهم الحرب وبعدهم عن اسبابها ، وها هو ذا يوسف مصطفى التني يعبر عن ضيقهم بالحرب وعن براءتهم مما تجره ثم يسأل الله عودة السلام للعالم :

الا قل لهدى الرحى وقفى	تجاوزت في الطحن ان تسرفى (١)
هصرت الشباب قبيل الاوان	ولم تبقى من ضله المورف
واعمارنا قد تساوت لد	يك ابا لطفل والشيخ لم ترأفى
.....
هنالك في الغرب جاشت صدور	بها حبس الجن ، بمثل القماقم
وقد اطلقت جنها للورى	فعاث بها واستباح المحارم
وساق إلى الحرب فتيانهم	على البر والبحر أو كالفشاعم
.....
الهي ! لقد ضاق ذرع الورى	فاين واين الغمد المشرق
لئن علق الاثم ارواحهم	فقد طهروها لدن احرقوا
فهب عالم الارض برد السلام	وقل لبيارقسه تحفوق

لم ينظم الشاعر حسن طه في الحرب نفسها انما نظم في مؤتمر سان فرانسيسكو الذي انعقد عقبها لانشاء « هيئة الامم » وقد قدم قصيدته بقوله : « ولما كنت اول كافر بها رأيت ان اخاطب الوفود المغررين بهذه القصيدة التي حالت السلطات دون القائها في المهرجان الادبي بالابيض في ذلك العام » . عام ١٩٤٥ . وقد بدأ قصيدته بهذه السخرية :

هذه دموعي حيرى في محازها
سيان منهزم عندي ومتصر
كلاهما لم يضع حدا لغايته
كلاهما خان بالامس العهد ولم
هذا جزاء وفاق للذى كسبت

ولكنه عاد فصور بعض اموالها بأسلوب قرآني قائلا :

قد هالني شرر كالمقصر تقذفه
تساقط النجم شهابا كلها رصد
ياغارة الله نار الحشر الطف بي
كم من دماء لريقت وهي آمنة
وكم صريع قضى نجبا بلا جدث
هذا يتيم وهذا ثاكل جزع

ولعل أبشع ما يصفها به :

يا غارة الله نار الحشر الطف بي نزاعة للشوى لكن بمقدار

فالحكيم لا يدخلها كل انسان ولا يصيب لها الا فئة معينة اما هذه فلا ، وقد يعفو
الله عن بعض اهل جهنهم فيخرجهم منها إلى جنات عدن ، وإلى هذا اشار بقوله
« لكن بمقدار » ان الله يقدرها على بعض عبادته . ويذكر الشاعر هيئة قامت قبل
ذلك وسميت « عصابة الامم » الا انها تعثرت وسقطت في خضم اطماع الدول
الكبرى فيقول عنها :

يا عصابة الامم الكبرى التي طلعت
ردت بضاعتكم ان كان خالطها
في سافر نسك نجما يرشد السارى
من الاراجيف ماقد يغبن السارى

يوجه الخطاب بعد هذا إلى اعضاء المؤتمر مذكرا بالامم الصغرى التى تتطلع للحرية
والاستقلال يحذرا من اغفال امر تلك الامم ومن الادعان لطمع الطامعين ، يقول :
هل جئتم بجديد فى حقائبكم
وهل حظيتم بدرس من سمار

وهل شحذتم ضميرنا قد يوفى من
وهل علمتم بان الحرب قائمة
وهل سمعتم بان الناس غايتهم
لا تجلسوا وقفوا في البهو خاشعة
واستلهموا الله في محراب قاعتكم
شحذ الحديد ورد النار بالنار
ما لم يك العدل فيكم زنده وار
أوطانهم ليعيشوا عيش احرار
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
بقلب مسترحم لا قلب جزار

ثم ينتقل إلى مطلب موطنه « السودان » وحق اهليه في الحرية بجلاء جيوش الاحتلال وتولى بنيه السلطة كاملة غير منقوصة ويذكر بدور السودان في الحرب بمناصرة الحلفاء ، فيقول :

يا عصابة الامم الكبرى هنا فرد
يطارح النيل اشعارا باشعار
.....
هل تسمعين إلى نجواي انشدها
ام تطربين إلى الحسان اوتارى
هي الالمانى غدت سرا يضيق بها
صدري ولولاك ما افشيت اسرارى
هي الحقوق التى غنى الزمان بها
من عهد آدم عهد الكهف والغار
هي الجلاء ، وفك القيد عن وطن
قد ناصر الحلف لم ييخل بمغوار

أما الشاعر عبد الله الطيب فقد اختلف عن سابقيه — يوسف مصطفى التنى وحسن طه — اذ رثي المانيا بعد هزيمتها في هذه الحرب رثاء معجب حزون ، ولنعرض الآن ابياتا من تلك المراثاة لندرى مبلغ اعجابه وحزنه. بدأ الرثاء باكيا ابطال الاسلام الشهداء الاوائل الذين مضوا ، وذم الحياة لانها فيما قال لا تصفو الا للثام ، ولام الاقدار ايضا ، حيث قال :

مضى الشهداء الاولون وقتلت
بناة المعالى من لوى بن غالب (١)
يظلون فى خشناء من شدة الاذى
ويعسون صرعى تحت ضؤ الكواكب
وما زالت الاقدار ترفع باطلا
وتطمس ذا نور من الحق ثاقب
وكيف تلذين الحياة وماصفت
بعلمك الا للثام الاشائب
مضى كرماء الناس فابكى عليهم
بفيض الدموع كالغيوث الهواضب

ثم برر بكاءه عليهم بقوله :

١ — اصداء النيل ، الطبعة الثالثة ، ١٩٢

لعمرك انى يوم ابكى عليهم
وباك على ابناء قومي ادبلخوا
وباك على الدنيا يصير مآلها
وباك على نفس تجيب نداءها

ويبكي الالمان قائلا :

اسيت عليها امة عبقرية
اذا ما اربا فاخرتنا بغاية
جهابذ افلاطون يصغر شأنه
اذا حملوا الاقلام وفوا حقوقها
وان حركتهم سورة العز حطموا
وما فتنوا يستزلون الى الوغى
اذا عفيت منهم كلوم اثارها
فقد حرصوا حرص الكرم على العلا
سقتهم حياض الموت كاسا شقوا بها
عجبت لقوم شامستين وقدرأوا
فان حياء ان يحبر فيهم المراثي
لعمري لقد ساروا جبالا وازبدوا
وضاءوا كاضواء النجوم وقد هوى

لها شرف على الذرا والمناكب
من المجد كانوا فخرها في المواكب
اليهم ورسطاليس شيخ المذاهب
بدائع يعنى نسجها كل كاتب
صدور القنا في الفيلق المراكب
مشائيم فى عين العدو المحارب
حفاظ بعيد الهم وعمر المراكب
وقد غالبوا ريب الصروف الغوالب
فهم بين مطلوب بثأر وطالب
مصارع امثال الليوث الاغالب
ويبكوا بالعيون المسواكب
كازباد بحر غيلم ذى غوارب
بنار تلظى فى يباب وعاشب

ان بكاء الشاعر شهداء الاسلام الاوائل وابطاله وحزنه عليهم حزنا يبغض الحياة
اليه امران طبعيان شبيهان بعبد الله الطيب الشاعر العربي المسلم ، لكن بكاءه الامة
الالمانية وحزنه على مصيرها الذى قادها اليه زعيمها « هتلر » امران غريبان فلم
يقول عن الالمان احد - فيما نعلم - ما قاله عبد الله الطيب بعد هزيمتهم فقد أخذ
الناس فى ذمهم وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ونسوا ما قدموه للبشرية فى بحب
العلم والادب والاختراع ، ولكن ابنت جرأة الشاعر الا ان يسجل ذلك فى شعره
ويعلن اعجابه بهم وحزنه لما اصابهم فقد كانت لهم احماد ومواقف حميدة كما
كان للعرب ، ويختتم الشاعر رثاءه العرب والالمان بالسخرية من المنتصرين قائلا :

فلا زالت النيران تشعل بعدهم بمضطرم الاخقاد بين العصائب
وغصت حلقوق بعد نصر تسيغه بمثل المدى أو كالحميم لشارب.

يستغل الشاعر جعفر حامد البشير حالة احد « ضحايا الحرب » ، رجل معتوه يسير
في الطريق والناس يضحكون منه فيكيل اللوم للذين يقيمون « الانتصاب » للذكرى
ولتمجيد الاموات ويهملون حيا مثل هذا المعتوه - يقول :

ضحك الناس وما أغباهموا إذ يضحكون (١)

ضحكوا منه ومن انفسهم لو يعلمونا
لم يزيدوا غير ان قالوا فتى جن جنونا
ومضوا في شأنهم من حيث جاغوا غافلتنا

.....

ثم يقول عنه وعن الحرب واهوالها :
وانبرى المسكين يشكو في ذهول ويصبح
انه المدفع والبنج وفي جسمي جروح
ويحبه ما زالت الحرب لعينه تلوح
والضحايا حوله منها صريع وطريح
والشواء الآدمي الكره في الجوف فوح
وشظايا برؤوس الجنود كالسيف تطيح
وشهيق كلما فاضت إلى المجهول روح
هكذا كان خيال منه يغدو ويزوح

ثم يوجه اللوم والسخرية لبناء « الانتصاب » قائلا :

انه المجهول في الاحياء فليلق اذكارا
فاكرموا قبل ان تبثوا على الاموات دارا
هذه « انتصابكم » لم تلق منا اعتبارا
خدع اشبعها الوعي نفورا واحتقارا

عظموا ما شتمو منها : صغارا أو كبارا

فهي في اعيننا كادت من الخزي تواري

وانها لسخرية مرة ، فبينما يسير احد الضحايا حيا كميته ، لا مأوى ولا علاج
يجد الضحايا الاموات تكريما باقامة الابنية والاحتفال بها في صور مختلفة متوالية
يختتم الشاعر قصيدته معنفا المنتصرين لان بلده لم تبجن من الحرب شيئا مع انها شاركت
فيها وكان الشاعر — كغيره من مواطنيه — يتوقع تقدير الحلفاء عامة والبريطانيين
خاصة جهود السودان وما قدموا لهم ، ولما لم يجد اهل السودان ما انتظروه عبر
شعراؤهم نيابة عنهم عن سخطهم ومن ذلك قول جعفر :

نحن نخضنا حربيكم تلك فماذا قد جنينا (١)

غير بؤس لم يزل ينصب في جود علينا

وشقاء لم نزل نبغثه منا ايننا

وكؤوس الذل مع انا من الذل ارتوينا

قد عرفنا وغدا ان قيل يوم الحرب ايننا

عسكر السودان جاوبنا على بعد ايننا

اثار انتصار الحلفاء الشاعر احمد محمد صالح فنظم قصيدته « يوم للنصر » اعلن
فيها ابتهاجه قائلا :

هتفت ورقه وغنى هزاره	وضح الحق واستطل مناره (٢)
ليس سيف يثار في نصره الحق	كسيف على الضلال مثاره
ان ستا من المسنين تقضت	طاح فيها زيد واملق جاره
برز اللحم والعظام ولم تبق	على اخضر يسر اخضراره
حي عهد السلام يا بلبل الشر	ق فقد جاد السلام وقساره
وامش في موكب السلام احتيالا	انت في موكب السلام كبناره

ثم التفت بعد هذا الابتهاج إلى المانيا المنهزمة وزعيمها ناديا حظها التعس الذي هب لها
زعيمها طاغية اوردنها هذا المورد ، انه لم يحزن لها ولم يظهر اعجابا كما فعل عبد الله

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى ، ٦١

٢ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٤٨

الطيب ، بل قال :

قف يبرلين ساعة وانذب الحظ
يا عروس البلدان يا ربة المنعة
اين من كان في يديه المنايا
عند رأى الزعيم تنخفض الهام
.....
فلم يدفع القضاء سواره
ب وسوى مع الثرى جواره
نعاماته واقوت دياره
تلك عقى الطغيان يا صاحب الحول وهذا بواره ونخساره

انه بهذه الايات يسوق العظة للاخرين ولكل « صاحب حول » ويتجه بعدها إلى
حكام السودان وهم من الحلفاء المنتصرين مذكرا مطالباً في لباقتهم المعهودة — انه
يقول لهم :

قد رأيتم بلادنا يوم خضنا
واكلنا الحديد والبار لم نر
امة العرب لا تطيق هوانا
قد صبرتم على العدو كراما
وانتصرتكم على العدا فأرونا
معكم قسطلا شديدا اواره
هب عدوا قسا وطال انتظاره
ما لهذا اعانكم احراراه
لم يرعكم يوم الوغى بتاره
كيف لا يبطر الكريم انتصاره

انه لا يتحدث عن مطلب وطنه الصغير السودان انما عن بلدان العروبة كلها « انها
لا تطيق الهوان » ولا هوان الا للحكم الاجنبى ، فليجلوا عنها ليشبثوا كرمهم الذى
بدر في صبرهم على الحرب ليرونا « كيف لا يبطر الكريم انتصاره » انه طلب رقيق
مهذب يتفق وخلق الشاعر وسنه وحكمته .

خاتمة

تناولنا في هذا البحث الشعر الذي نظمته شعراء السوء منذ عهد مملكة الفونج إلى عام ١٩٧٠ ، وهو ذاك الشعر الذي كان له أثر سياسي صريح لوضع معين تكون فيه البلاد . تناولنا هذا الشعر فنظرنا في شكل شعر كل شاعر واعتقنا هذا بالنظر في المضمون في كل ذلك ميين المحاسن والمآخذ حسب ما تراءى لنا .

لقد تتبعنا الشعر بشعرائه واحداً فواحداً ، وبقصائده قصيداً فقصيدة ، والاحيان متأملين أساليبه في كل حقبة من حقبة الفترة (من عهد الفونج إلى ١٩٧٠) فتبين لنا ان تلك الأساليب رقيت من حقبة إلى أخرى رقيت وراكستبت في كل حقبة صفة مميزة . ففي أيام الفونج ظهر الشعر الفصيح عن قلة المتعلمين وضيق مجال القول وجاء ضعيفاً في مبناه ومعناه اذ جاءت أوزان مختلة في الأغلب الأعم وشاع الخطأ في تعبيره وألفاظه مع قرب بعضها من العامية وجاءت معانية مطبوعة بطابع صوفي مع بساطتها وذبولها . لكن شعراء الحقبة التالية وهي عهد الأتراك العثمانيين قربوا شعرهم من سلامة التركيب فقد قلت فيه الأخطاء الا أنهم مالوا إلى التلاعب بالألفاظ ، وإلى اتباع نهج خاص في اختتام القصائد وإيراد شيء من المصطلحات العلمية — كمصطلحات النحو والفقه والعروض وبعض معاني القرآن وألفاظه .

أما شعراء المهديّة فقد حرصوا على صحة أوزانهم فجاءت قصائدهم سليمة لكنها احتفظت بالكثير من خصائص شعر الحقبين السابقين كورود المصطلحات العلمية وختم القصائد بالتاريخ أو الدعاء ثم اللجوء إلى التحسين البدعي ، كما أنها لم تسلم من بعض الأخطاء ، واتسمت بالتكرار — تكرار بعض الحروف والألفاظ . في عهد الحكم الثنائي تخلص الشعر من عدة سمات طغت على أساليبه في الحقب السابقة ، فزايلتها العامية ، وهجر الشعراء تعمد التحسين البدعي وعنوا بصحة التركيب وسلامة الوزن ، وقد برزت في هذا العهد فئة من الشعراء عرفت

ملية » ، حملت هذه الفئة لواء الشعر عاليا وشاركت به في
ت فلفت الانظار اليه وإلى موسيقاه وأساليه وإلى دوره في
يحو كلية غردون القديمة الذين تتلمذوا على نفر من علماء
عبد الله محمد عمر البنا وعبد الله عبدالرحمن واحمد محمد
على هؤلاء عدد من شعراء السودان المحدثين ولم يقلوا عنهم
كاتب وسلامة الوزن وفاقوهم باستغلال الخيال والعاطفة .

من شيء فان الشعر السوداني الفصيح شارك في اشعال جذوة
في السياسي عبر تاريخ السودان وقطع بعضه برأى محدد في مستقبل
الا ان عددا من الشعراء السودانيين لم يدع في شعره دعوة
« لكيان وطني » معين ، لذلك لم نتعرض لهم الا لما ، وهؤلاء
ليبلادهم كيانا في محافل أخرى غير سياسية ، وأعلوا من شأن أمتهم بما
شوا وألفوا وبما بقوا في الاجتماعات والمؤتمرات .

ولله الحمد وبه الاستعانة وعليه الاتكال .

المراجع

(أ) البدواوين :

أحزان أفريقيا

أذكريني يا أفريقيا

إشراف

أصدقاء النيل

أغاني أفريقيا

الجوادر والسيف المكسور

حرية وجمال

ديوان أبي تمام

ديوان البنا

ديوان المتنبي

ديوان الطيعة

ديوان العباسي

ديوان العروبة

ديوان المتنبي

الشاطئ الصخري

شعراء السودان

محمد الفيتوري - دار العودة بيروت

محمد الفيتوري - دار العودة ، بيروت ١٩٧٠

التجاني يوسف بشير - مطبعة التمدن - الخرطوم

١٩٦٤

د . عبد الله الطيب - المدار السودانية : بيروت

١٩٦٩

محمد الفيتوري ، دار العودة ، بيروت

جيلي عبد الرحمن - المدار القومية للطباعة والنشر

القاهرة ١٩٦٧

جعفر حسام الدين البشير - مطبعة جريدة الصراحة

الخرطوم ١٩٥٣

تحقيق محمد عبده عزام - دار المعارف ١٩٦٤

عبد الله محمد عمر البنا - ١٩٢١

يوسف مصطفى التني : دار الكتاب العربي -

القاهرة ١٩٥٥

حمزة الملك طنبلي - المطبعة الرحمانية - مصر

١٩٣١

محمد سعيد العباسي - دار الفكر العربي - القاهرة

١٩٤٨

عبد الله عبد الرحمن الأمين

الكعبري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ٥٦

حسين منصور - مطبعة البيت الأخضر - مصر

سعد ميخائيل مطبعة رغبسيس - القاهرة

أحمد شوقي — القاهرة — ١٩٥٥ ، ١٩٥٩	الشوقيات
صلاح أحمد إبراهيم — دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥	غضبة الهيباء
تاج السر الحسن — دار الكاتب العربي — القاهرة	القلب الأخضر
أحمد محمد صالح وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩	مع الاحرار
محمد المهدي مجذوب ، وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية بيروت ١٩٦٩	نار المجاذيب
حسن طه ، مطبعة كوركين اسكندريان ، أم درمان — ١٩٤٩	هتاف الجماهير

(ب) الكتب :

الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث — عمر الدقاق — دار الشرق حلب ١٩٦٣	
الاتجاهات الشعرية في السودان د. محمد النويهي — معهد الدراسات العربية العالية — القاهرة — ١٩٥٧	
تاريخ الثقافة العربية في السودان — د. عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشبكشي القاهرة — ١٩٥٣	
تاريخ السودان — نعوم شقير — دار الثقافة بيروت ١٩٦٧	
تراث الشعر السوداني — عز الدين الأمين — معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة — ١٩٦٩	
تقرير لجنة تنظيم الخدمة المدنية — المطبعة الحكومية — الخرطوم — ١٩٦٨	
الثورة المهدية — جلال يحيى — مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩	
الحركة الفكرية في السودان — محمد أحمد محبوب — ١٩٤١	
الخطط المقرزية . تقى الدين المقريري — مؤسسة الحلبي وشركاه	
السودان في قرن — د. مكى شيكة — لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٦١	
الشعر الحديث في السودان — د. عبده بدوي — المجلس الاعلى لرعاية الفنون	

والآداب - القاهرة ١٩٦٤

الشعر الحديث في السودان - د. محمد إبراهيم الشوش - معهد الدراسات العالية
القاهرة ١٩٦٢

الشعر السوداني في المعارك السياسية - محمد محمد علي - مطبعة النهضة الجديدة
القاهرة ١٩٦٩

طبقات ود ضيف الله - إبراهيم صديق - المطبعة المحمودية التجارية القاهرة ١٩٣٠

القاموس المحيط - الفيروزبادي - المطبعة الحسينية - القاهرة ١٩١٣

محاولات في النقد - محمد محمد علي - مطبعة التمدن - الخرطوم ١٩٥٨

مخطوطة كاتب الشونة - أحمد بن الحاج أبي علي - تحقيق الشاطر بصيلي عبد الحليل

سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة والارشاد القومي - مصر

مصر والسودان - د. محمد فتّاد شكري - دار المعارف . القاهرة ١٩٦٣

ملاحم من المجتمع السوداني - حسن نجيلة . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٤

منشورات المهديّة - د. محمد أبو سليم . دار الثقافة بيروت ١٩٦٩

المهدي والمهدوية - أحمد أمين دار المعارف مصر ١٩٥١

نقشات اليراع - محمد عبد الرحيم ، شركة الطبع والنشر الخرطوم ١٩٣٦

(ح) المجالات :

الفجر

النهضة السودانية .

الملاحق

(١)

شعراء العهد التركي

يمدح محمد سر الختم المير غني

وطرف الليالي عن ذوى المجد وستان
 كمالى ولكن للسعادة إيان ..
 وسامر ليلي العامرية عمران
 بربع مربع للصبا فيه افسان
 على العهد باق بالصباية تشوان
 فلم يخف عن علمى من الناس انسان
 وتهذيبه لى فى الحقيقة إحسان
 بحزم عظيم عنه يضعف شهان
 ولم اكثرت يوما اذا هو غضبان
 متى ضح لى بالله عقل وإيمان
 من الدهر اناسا ان دنا الناس او بانو
 عظيم له فى الخطب بالحرب آذان
 له عند وقع البؤس نور ونيران
 به عجز للحادثات واعكسان
 لنهل الدما يوم اوعى هو ظمآن
 يجرده للنصر مولاي عثمان
 يغاث ضعيف او يدارك حيران
 توطد منه بالولاية اركان
 ضيوف تواليها على الحظ ضيفان
 رجال كرام فى الفضائل اخوان
 على الدهر تاج من جلاه وعنوان
 فخارا وحسبى منه ما قال حسان
 اذا لم يكن فى الحب منه له شان

بليت وطرفى للمحاسن يقظان
 عفى الدهر بعد الاكرمين وما عفى
 رعى الله دهرنا كان بالحظ مسعدا
 وللنفس مرعى فى التصابي ومرتع
 ليلان تقضت بالاماني واننى
 صبرت على خطب سبرت الورى به
 شكوت زماني بالاسى وشكرته
 وهبت له نفسا غدت مطمئنة
 على اننى لم انزعج فى صفائه
 فسيان عندى احسن الدهر أم أسا
 وهل بعد تهذيبى على المجد اتقى
 ولى جيش عزم ثابت متألف
 قدير على خصم الخصوم مبارز
 وسهم ردينى قويم مهتف
 يروى به ظامى الوغى غير انه
 وسيف يماني صقيل مرهف
 بمن يا رعاك الله ان لم يكن به
 وللمجد ركن منه لا زال ثابتا
 وللرفد وفرد فى حماه معزز
 وفخر تليد آنت منه نوره
 قلله ذاك الغوث والفيصل الذى
 سليل رسول الله طه كفى به
 ومن ذا الذى يرجو شفاعته جده

وحسبك غوثا في الخطوب وناصرا
 جليل المزايا واسع الفضل والندى
 تقاصر عن جدواه معن وحاتم
 امام همام واحد العصر لم يكن
 تجلت له ذات العلي عن حقيقة
 تبدت له منها علوم جليله
 وما شاهد عين اليقين بعينه
 إلى شيخه ابن ادريس يعزى كماله
 وفي جده المحجوب قل كيف ماتشاء
 رجال كرام في البرية عهدهم
 تأدب وسالم يا زمان فشيخنا
 مزاياه لا تحصي وآيات مجده
 بنوه الكرام الغر حازوا مقامه
 بنوا فوق هام الفرقدين لذكره
 فآله اصل في العلي طاب فرعه
 افادوا صوابا واستفادوا اصحابه
 ابانوا وبانوا في السلوك طريقة
 هم الصيد آل المير غني معدن الحلا
 محبتهم فرض على كل مسلم
 فكيف يخاف الضيم مثلي وحبهم
 ومن حسن الافعال لي حسن ذمة
 ولي عزوة في حبهم وعشيرة
 ولا زال في بيت السلاوي حبهم
 انخشي بورا أو يخاف كريمة
 وهل نتقى في حوادث الدهر سطوة
 الهبي بهم فرج من الهم كربتي

إذا بان من صدم الشدائد خسران
 جليل المحيا في الشدائد معوان
 تقاعس عن دعواه قس وسحبان
 على فضله المأثور في الدهر رجحان
 بها نال فضلا قصرت عنه أقران ..
 جللتها كرامات لدينا وبرهان
 كمن هو عن علم الحقيقة ذهلان
 وحسبك من أهل العزائم أنسان
 وكافيك في مدح القرابة فرقان
 تحلت به الاقطار مصر وسودان
 غيور له في الامر رشد وعرفان
 حلاها على صدر الاكابر نشان
 سواء بذلك الفضل شيب وشبان
 مكانا عليا لا يوازيه كيان
 تبادت الينا بالجنس من اغصان
 وصانوا غن الاغيار اعظم ماصانوا
 على كل حزب عن طريقتهم بانوا
 اذا فآخر الاقران بالمجد وازدانوا
 مودتهم في الله لله قربان
 غدا رأس مالي وهو بالله رجحان
 ومن هاشم عهدي نوال واحسان
 وأهل واخوان وصحب واخلان
 علينا به بين البرية تيجان
 ونحن لهم ابناء عهد واخوان
 ونحن لسر الحتم في مصر جيران
 وحقق رجائي والرجا منك غفران

وصن «سره» واحفظ «خديجة» بتهم
وصلى عليك الله يا خير من سعى

وقال ايضا يمدحه :-

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر
وفضلك الجسم لا شيء يقاس به
وطيب اصلك مشهود تؤكد
ورشد عقلك يهدى كل مقتبس
ونور علمك لا تخفاه خافيه
وفرط مدحى عيسارات مقصرة
فغاية الأمر أن ادعوك محتشما
يعز اسمك أن يظريه سامعه
دم للندم يا بن سر الختم مبتهجا
لك العلا والحلا حالان لم يحلا
فاظهر بما شئت وافخر غير مكترث
ماذا اقول ومدحى فيك معجزة
أما أنا فأمرؤ اوليتنى مننا
والناس صفان مدحور ومدخر
والمجد عقد نفيس أدن جوهره
أبوكم الغوث عثمان الكرامة من
عد جده الميرغنى المحجوب اورثكم
والشبل من ذلك الضرغام مكتسب
لا زلت ركنا لنا فى ظلمة متع
فاحفل بذكرك أن الله رافعه
واشكر على أن حباك الله مكرمة
فللندى منك اسباب موفرة
والمخلص الشاكر الداعى لعزتكم

عليهم سلام من علاك ورضوان
لطيبته الغرا رجال وركبان

والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر
حتى تحاط بتعداد فينحصر
شواهد الحال والاحوال تعتبر
والكل منا بذاك الرشد مفتسر
من الأمر وهذا مدرك عسر
عن وصف حسنك تعيينى فاختصر
يا حبر يا بحر يا ضرغام يا قمر
لكن على نية التعظيم يفتسر
وقر عينا بذكر نشره عطس
فيهن للمدح اسواق ومتجر
فليس بعد النهى عبلا ومفتخر
لا تستطاع وشأن شأوه خطر
لا زلت فى شكرها اثنى واعتذر
وأنت زخر لريب الدهر مدخر
فى سلكه انتظمت انخوانك الغرر
فى مدحه ترشد الايات والشور
فضل ابن ادريس ذاك السيد القمر
وقل ما قل من فرع الحياة ثمر
كالشمس تمتد منها الانجم الزهر
والسن الخلق لا تبقى ولا تذر
للناس فى سوحها حسج ومعتمر
بها على شكرك الميمون يقتدر
يحي السلاوى لكم فى امره نظر

اثنى عليكم وان ابدت معذرة
خذها اميرى رعاك الله ساله
زفت لعلياك والاجلال يقدمها
سوى جنابك لم اختر لها احد
فاقبل ثنائى وخذها يا سيدى بيدى
ولا تكلنى الى من ليس بسعفى
هذا واستودع الرحمان جسيرتك
دم للمحبين والانجبال مسندا

فلا ملام ولا ريب ولا ضرر
من كل عيب عروسا زاتها الخفر
والعز والبشر والتكريم والظفر
والناس غيرك لا ذكر ولا اثر
فالامر يا عدتي صعب به خطر
وفى ارتكاني على من دونكم ضرر
وذمة عندكم فى الحب تعتبر
يؤوى الى ركنه ما دامت لك البشر

في ثورة احمد عرابي

/ شغل العدى بتشتت الاحزاب
 / القطر فيه من الرجال كفاءة
 / وحمية الاسلام تقضى بالوفاء
 / وشجوة الوطن العزيز تحثهم
 / والمشركون خواسر في سعيهم
 / هيا بنا يا اهل مصر إلى الرضا
 / أنتم أولو الهمم التي بسهامها
 / أنتم ولادة المجد أرباب النهي
 / لا تشغلنكم الحياة فانها
 / ولقد نرى اخواننا في حالة
 / أعنى عساكرنا الكرام ومن أتوا
 / والعاملين لهذه الخيرات من
 حسب الاعانة في الافاضل قدوة
 فعل الجليل ولم يكن في فعله
 وجناب قاضي مصر سيف شريعة
 ومحقق الفتوى محرر مذهب
 والشيد البكري تاج بقبابة
 والخيرة السادات بيت مناقب
 والمجسسى له سوابق همة
 أنعم بطائفة التجار وقل لهم
 واذكر لتميم الكرام فتى من
 وفاضل بذلوا الاعانة غيرهم
 وبمثلهم في الناس تفتخر العلا

والله ناصرنا بسيف عرابي
 للحادثات فهم أولو الالباب
 حتما على كل أمرى أواب
 والفتح أذن باتباع صواب
 هزموا وقد نكبوا على الاعتقاب
 والفوز في العقبى بغير حساب
 كم من عدو آب شر اياب
 والحر يظهر عند صدم مصاب
 ذل لمن يرضى بهتك جناب
 تحتاج للاعوان والاصحاب
 متطوعين لهم من الاعراب
 عمد البلاد وسائر الاجباب
 شمس المفاخر شيخنا الانباني
 هذا بمفتخر ولا مرباب
 يسطو على كل امرى متقاني
 النعمان بالايضاح للطلاب
 الاشراف أهل المجد والانساب
 عقدت له العليا رفيع قباب
 جمعت نظام التمجيد والآداب
 شكرت أباديكم كغيث سحاب
 الجيزا وذاك محمد بن عراب
 في حضرهم نصب على الكتاب
 والمجد يرقل في رفيع ثياب

نعم البرنسات الكرام ومالمهم
 جمعوا بتنظيماتهم شمل الورى
 هو من عملت مجاهد بمهند
 وسيوفهم مسئولة با كابر
 يكفيك قدوتنا عيش وشيخنا
 جيلان مرتفعان دونهما الورى
 شدا عراة وايداه وسددا
 والشهم ابراهيم فوزى انه
 وعلى الروبي الرضا وسميه
 يا ربنا عجل لديك نصره
 وبال بيت محمد رد العدا
 وبعد غفار بدر شمل العدا
 وامدد عساكر باعظم قوة
 واشدد عراهم بالخليفة انه
 ولنا به ثقة قوايل سعه
 هذا ونحن الخاضعون لحكمه
 يا ناصر السلطان دونك والعللا
 رد الطغاة وكيدهم فى نكرهم
 جرد لهم سيف اليقين فاتهم
 واسلم ودم فى حظوة يحيا بها
 هذى مآثرك الحميلة زينت
 لثمان عشر منه قد ارختها

فى الدهر من شرف ومن آداب
 من بعد ما انحلت عرى النواب
 ترك الرؤس بواسىء الاذئاب
 فى المعجد من علمائنا الاقطاب
 حسن الوفا العدوى خير مثاب
 كالشمس من زحل بلا اظناب
 ما يتقى من كل فرجة باب
 فى ضبط مصر أصاب خير صواب
 يرضيك فهمى فى سديد جواب
 واجعل له الحسنى بخير مآب
 وارسل عليهم منك سوط عذاب
 وارحم برحمى معشرى وصحابي
 يا علما بالقانت الاواب
 متكفل بالنصر للاجذاب
 ترمى شياطين العدا بشهاب
 لا نرتضى بتعدد الارباب
 فجنابها بك ثابت الاظناب
 بعظيم بأسك من اليم عقاب
 خسروا وسيف الحق ليس يناب
 يحيى السلاوى منك بالترحاب
 رمضان بالترغيب والارهاب
 بالله نصرتنا وسيف عزابى

في ذكر والده

أدر ذكر اسماعيل بين المحافل
ليعلم من ذكره من نحو قلبه
وقل لزنيـم كان يجهل أمـره
فهيلا علمت السم كان بلحمه
وغيرة رب العالمين لغاية
ألم تر أن الله ميز خلقه
فقال رفعنا بعضكم فوق فاذكر
نعم درجات خصها الله بالذي
فلم تحضر الخيرات فيمن تقدموا
ولكن مذكوم الخلائق لم يجد
كم أعشى الورى لم تبصر الشمس عينه
كفلو أنصف الكفار ما أنكروا على
وما قبلوا بعض الذين فاعتسبوا
فلا عجب من أن بعض أولى الشقى
ولا سيما من بعض أهل زماننا
ظواهرهم مصلوحة باحتياهم
ولكن ذئاب فى يواطنهم يـرى
أراهم اعبوا فى الخروج ونحوه
ألم يعلموا أن الخروج ونحو ما
عماهم عن القرآن محض شقاؤهم
أما علموا أن الناس مجمـع
فلم تعرف الانصار الا بهجرة
وهجرة خير الخلق كانت لحكمة

واو هازلا واطرب به قلب غافل
طلاوة ما يبدو لأهل القسوابل
أتاك أتاك الخزي اتيان وابل
يفرق أجزاء تلى كل آكل
وايدانه بالحرب للمتجاهل
بتأخير مفضول وتقديم فاضل
توى رفع بعض فوق بعض المقابل
تقرب بالمفروض ثم التوافل
فرب أخير جاز بحر الاوائل
روائح عطر فاح بين المزابل
ولم يدبر الاستقام طيب المأكـل
الذين أتوا من ربهـم بالرسائل
وحادوا ولم يصغوا مقالا لقائل
يؤمن دفع الفضل عن كل كامل
شياطين أنس عصيوا كل خامل
يراهم غيب القوم مثل الأمانـل
علاماتهم عن حالهم كل عاقل
وفى بعض أقوال تجل بهاـل
نعوه طريق القوم اهل الفضائل
وعما حكاه الله فى فعل فاعـل
عليه ومن آداب اهل القواصل
ولم يظهر الدين القويم لنائل
وما فر موسى من عدو لباطل

نعم قوله صادق فرار. أناله
 ويونس لم يأت إلى الفلك عابثا
 فكم من صحابي خلى بعد هجرة
 وكم من نبي أو فؤى تجهزوا
 لأنهم لم يعصموا من بلائه
 وكم من ولي أخرجوه مغلغلا
 وقد نص أهل الشرع من قول ربهم
 فما رغبة من أسوة قد تقدمت
 ووالدي اسماعيل غوث زمانه
 ومن حضرة الرحمن والمصطفى أني
 وكان دليل الأذن بصوته التي
 أطاعوه فهرا ثم بالقول أسلموا
 وكيف ولم يؤذن وأن مقامه
 فما من تحمل أو شهود وحضرة
 وصحو ومحو ثم سحق ومحقهم
 وكل فناء أو بقاء غير ما
 فذا عصره لا ثم فيه معاصر
 ولا تعتبر أقوال غمز ومنكر
 يقوم بدفع الأذن ينفي صدوره
 ويزعم أن الأولياء كان فعلهم
 لذلك عندي سيف نصر موضح
 ولو كان ذو الإنكار عالم عصره
 ولست أبالي من تعبت بعضهم
 فبحري طويل حيث صرعت وزنه
 فيها ابن اسماعيل أحمد مباحا
 يروم بها منه الرضاء لنفسه

رسالة مولاه وأحكام مائل
 أتى نبذة بعد التمام لساحل
 من البلد المكي من ثقل حامل
 بأمر قضاء الله فيهم لقاتل
 بديننا فما قد شاءه حكم عادل
 وكم خارج من كيد أخت عاضل
 وأقوال من سادوا بهدي الحصائل
 أكابر قوم قد رفقوا بالوسائل
 له أسوة في خير أفضل عامل
 له الأذن حتى سار بين المحافل
 عليها ثوى في أرض كفر أسافل
 وكانوا الوفا ما اهتموا بالمقاتل
 تقاضى عنه الآن أيسل بأسل
 وديوان سر أو نكات جلائل
 وجمع وفرق ثم حوز منازل
 ذكرنا إلا أنه باب داخـل
 فقم نحوه واترك هوى المتكاسل
 على أولياء الله من غير طائل
 من الله المختار في أي نازل
 عن النفس لا بالأذن من غير فاصل
 أجز به رأس الجهول المجادل
 سادعه درعا بأوفى دلائل
 ولو كان قس منهم وابن وائل
 بثاني ضروب من فعول مفاعل
 ذخيره في كل ماض وقابل
 وأخوته أهل الوفاق الكوامل

خليفته المكي فهو محمد
وكل محب جاء ينصر حربه
وأنصاره من بادروا لوصاله
وأصحابه أهل الشهود الذين لا
فأنهم عين الدليل بأنه
صلافي وتسلمي على أشرف الوري
وأصحابه والآل ما قال قائل

كذا مصطفى البكري مع كل واصل
من الأقرباء أو شئت القبائل
ومهدية من حاز قمع المحاول
يرى مثلهم في الأرض من متناول
ويتقني من سوء خبث الرذائل
محمد من ولي اليوم أعظم كافل
أدر ذكر اسماعيل بين المحافل

الشيخ الامين محمد الضرير . قال :

يمدح الخديوى

والصادقون لدى الآداب اخوان
فهي الشعار حظوا بالوصل أوبانوا
غير الكلام له كشف وتبيان
وان تناءت يبعد الدار ابدان
والناس في غفلة والدهر وسنان
ما للامين بهذا الدهر خالان
لا يستوى عاقل فيه وسجان
وجعفر الفيض بالخيرات ملائان
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمآن
في نشر ما يرتضيه الله اخوان
والمعنى عارف والوقت ابدان
أبعد توفيق رب العز خذلان
كما يرى وله للنصح ديوان
في العلم نافعة بالطبع تزدان
الم تيسر على التدريج اثمان
اذ ليس يمنع مما رام انسان
اسبابه اذ بدت للخير اعوان
وما رجاء الامين الأهل حسان
فاننى باقتناء الكتب فرحان
عنى رسائل ميراث لها شأن
دهرا لكان والله وجدان
نشر العلوم كما أبداه اعلان
توفيقه وله عز وسلطان

المود مأدبة والصادق اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحالهم
فالمرء محتجب تحت اللسان وما
قلوبهم حاضرات حيث ما علموا
لكن علمهموا قد كان في دعة
خان الانحلاء حتى قال واصفهم
يا ليت شعري هل يبقى لنا زمن
فقلت قد لاح لي والله ذو كرم
حسن التخلص من أهل الزمان بمن
فيا أولى اجمع أهل العلم انكموا
ومصركم مصر والتوفيق حافظكم
أما حويتكم بتوفيق العزيز حمى
أليس عارفكم يبدى معارفكم
ألم توزع عليكم كلكم كتب
ألم يكن جمعكم أرعى لصحتها
ألم يبح لكم فيها تناولكم
فحاصل القول ان العلم قد سهلت
لذلك قلت رجاء نيل وصلكم
عسى الأحبة ان يرضوا مشاركتي
مع انني آلف التأليف اذ صدرت
وفي الزوايا خبايا لو وجدت لها
ما قلت ذلك الا من محبتهم
فالله يحفظ هذا اجمع متبعها

تكملة

في ظل والده الممدود في عمر
 يدي الافاضل للقوم الافاضل لا
 حتى يرى دهرنا فوق الدهور علا
 حتى نقول على عكس الذي زعموا
 فالحسر يغلبه يسر ان اوضح ذا
 من معشر ما زهت مصر بمثلهم
 بخور فضل بلا من ولا عليل
 فالجد جد عليا في محامده
 لما غدا رافعا اعلام نصرته
 فصار يكسر بالتقويم شوكتها
 هذا وجودهما مستعبد بشرا
 وصاحب الوقت اسماعيل زاد على
 محائل الخير في توفيقه ظهرت
 عين الفضائل لا تحصى فواضله
 صان المواطن توفيق العزيز كما
 لذلك حسن ختام القول أرخه

له مع الطول بالخيرات عمران
 يشيه عما يريد الشهم شأن
 وأهله فوق أهلها الاولى بانوا
 من ساءه زمن سرته أزمـان
 ما في الحديث وما أخفاه قرآن
 من الملوك وللتحقيق برهان
 نعم لحم عمل بالحسن مردان
 وسيفه الشهم ابراهيم معوان
 مع نصيبها انخفضت بالفتح بلدان
 فلم يعد أهلها للحرب بل دانوا
 اذ طالما استعبد الانسان احسان
 ما كان اضعافه والبهـر جذلان
 اكرم بشهم له التوفيق عنوان
 لأنه فاضل الأغنيان عسان
 حمى أولى العلم مهما كان أو كانوا
 صون المواطن توفيق و عرفان

يمدح الخديوى

اليمن اقبل بالاحسان طائره
والبشر بدى سروراً من عجائبه
والكون قد رقصت فيه محاسنه
لما اتى مهبط الخيرات فى مرجب
« محمد » من بتوفيق الاله سما
يمولد منه كل الكون فى طرب
قد ضاء سوداننا من حسن مرافته
والسعد خادمه فى كل آونه
ذاك المليك الذى أنبوا سلته
كل الممالك أمت باب سدته
حيث الفاخر مضروب سرادقها
ملك حسن واحسان وأهبة
تمدنت مصر من آداب نسيرته
نامت رعاياه فى ظل الأمان كما
هذا الخديوى الذى سحت فضائله
موفق لأمور الخير مجتهد
تبارك الله من بالفضل كمله
سامت به مصر أفلاك السماء علا
تباشرت بربر فى يوم مجمعها
أعاده الله فى كل العصور لنا
أبيات شعر بدت فيه على عجل
مقامه بربر فيها بمدرسة
ما أنشدت يا مليك الفخر فى ملاء

والكون نار وقد زادت بشائره
لما بدا طالع الاسعاد نائره
والخصن أعلن بالمتغريد طائره
فى عاشر الشهر قد لاحت مفاخره
فوافق الاسم معنى طاب ذاكره
لا سيما مصر تعلوها أواميره
وجضب فى بربر منها جواهره
لم لا وذا منبع الاحسان ماطره
عمت جميع الوردى منه ستائره
لنيلها فضل من تسطو بواتره
والنور يلمع فى الاكوان زاهره
جلالة المجد سامتها عساكره
وسامر الفخر من كانت تسامره
سارت مزاياه نعم الفضل ناشره
على الرغبة مذ فاضت بواكره
فى راحة الخلق حتى قام ناصره
ونال ما كان فى الألباب ضامره
لم لا وفيها ملا الامر ظاهره
يمولد فيه نال الخير ناشره
مذكراً لمليك عز شاعره
من نجل هاشم من طابت عناصره
فانظر له نظرة تعلو شعائره
اليمن اقبل بالاحسان طائره

الاسم
عسى

يرثي أحد السادة الادارسة

مالي أرى رونق البلدان قد ذهب
والناس مشغولة الافكار حائرة
تعم مصيبة أستاذ بنا نزلت
وصارت العين بعد النوم ساهرة
على الوسيلة عبد العال عمدتنا
حاوي القنطار ومن بالجود منفرد
نسر عقلك أن وافيت مجلسه
له الولاية قد جاءت مسلسلته
لأن أحمدنا بن اذريس والده
ما جاء مستمنح الأ حوى كزما
يا طالب الخير عرج نحو تربته
يقر بنيل نوامات اييت لها
يا سيدى احمد يرجو مراجعتكم
أهدى جنابكم مقدار طاقته
بالهاء والضاد ثم الراء بعدهما

والنور أضحي عن الأكوان منسلها
يا صاح ماذا بهم هل تعرف السببا
فأشعلت في القلوب الحر واللهيا
تبكى بدمع يفوق البحر والسحبا
من قام لله بالاخلاص محتسبا
وفي العلوم كبحر موجه اضطربا
يوما وينسبك حسانا اذا خطبا
من الأكابر فاسمع واطرح الريا
للنبى والزهرا قد انتسبنا
ومنه ولا سالك الا رقى ربنا
واظهر خضوعا وراغ الذل والادبا
كذا هبات تزيل الهم والنصبا
اذ عم كل العجم والعربا
نظما قليلا وللتاريخ قد حسبا
والغين بالنقط عام الموت قد كتبنا

هجاء المهدي وانكار دعوته

على نجيل السلطان في شاطئ البحر
 فبايعته جهدا على النهي والأمر
 وقد لازم الاذكار في السر والجهر
 فرقته جهلا بعاقبة الامر
 تعزّ، على اهل التواضع في السير
 ويعطى عطاء من لا يخاف من الفقر
 من الله لا زالت مدامعه تجري
 وكم ختم القرآن في سنة الوتر
 بها كان محبوبا لدى الناس في البر
 وخادمنا عشرين عاما من العمر
 على ما مضى في سابق العلم بالشر
 وشيطان انس وافقاه على الضر
 وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
 فهذا مقام في الطريق لمن يدرى
 ومحسوبيكم في الحب في عالم الدر
 فأنت لك الكرسی ولي دول الغير
 وتالله شر قد يجر إلى الخسر
 فأنك منصور على البر والبحر
 ومال إلى حب الرئاسة والبحر
 واما يسخن كان كالنار في الحر
 فقيل على والحسين ولي أمرى
 وأفيتت فيه بالضلال والكفر

لقد جاءني في عام «زح» لموضع
 يروم الصراط المستقيم على يدي
 فقام على نهج الهداية مخلصا
 وأفرغ في نهج المحامد جهده
 أقام لدينا خادما كل خدمة
 كطحن وعوس واحتطاب غيره
 وكم صام بكم صلي وكم قام بكم تلا
 وكم بصوء الليل كبر للضحى
 لذلك سقى من منهم القوم شربة
 وكان لدينا عيشه صدقاتنا
 إلى الخمس والتسعين أدركه القضا
 بصحبة شيطان من الجن ايس
 ولا تنس داعي الاحتياج فتالست
 فقال أنا المهدي فقلت له استقم
 وخاء عني بالقول كالمهد ابنكم
 فقم بي لنصر الدين تقتل من عصا
 فقلت له دغ ما نويت فأنه
 وقال له الشيطان بشر ولا تخف
 وقد فهم القولين فهم أولى النهي
 فقال أنا كالماء في الطبع بارد
 وان يستحقوا بي وان يقتلونني
 ومن ذلك النادى أي وايتته

وإني أذنت للجيش أن يضربوه إن
وقد جاء للعلوب في سفنها
وكان من الأسرى لديهم نياقة
و كنت نصحت القبطام بحبسها

أناهم بما يهواه من واضح التكر
وقد رده الاتباع بالبحر والمقهر
وراياته والجيش قد صار في البحر
فما جاءني من غير داع صاحب الخضر

عمر الأزهري قال في :

مدح النبي

قرب البعاد وهاج اليوم أشجاني
العشاق لم يختلف في ذلك اثنان
أو البنان فقد بانوا عن البنان
يا برق مالك قد فرغت خلاني
حي الهواجر في أفياء أفنان
علم ولا غلم عن حيهـم ثاني
صب عدمت الذي في الحب يلحاني
والدهر اقصاهم عني وأقصاني
أم طنبوها باشكال وألوان
في الشعب من بعدهم قد قيل شعبان
مجيب إلا صدى صوتي قلبي
فما فتى فات بي عنهن افتاني
استرجعت جهدي واستنجدت اجفاني
وردت ماء العذيب العذب أظماني
سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
عباء والمنحنى أوقفت قعداني
حتى سرت نحو خير الخلق ركباني
من أرسله للانس والجان

تألق البرق من نجد فاشجاني
والضحك منه التوى في البرق تعرفه
فان اشار بطرف العين هم حملوا
هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
ظلت قبايهم بالرقمتين لـدى
وبعد ذا قيل اموا الجزع ثم ولا
فصرت أحير من صب واذهل من
يأليت شعري منذ شطت ديارهم
هل قوضوا بعدنا يوما قبايهم
تنكر العلم المعلوم بعندهم
وقفت بالغور لا داع هناك ولا
مستفتيا جئت فتيانا فنتت بهم
وظفت نجدا فلما ان عدمتهم
وحسن ظني بسكان العذيب فمذ
وكم اظلت وقوفى بالهضاب وكم
وكم بحزوى وسلع والعقيق وبالجر
فما حصلت على صاب ولا عمل
محمد صفوة الباري وخيرته المختار

ثم اختتم الشاعر قصيدته هذه بقوله :-

غدا القصور قصارى كل انسان
الصاردي فعامله باحسان
يرجو نتيجة عفو شكلها ثاني

وبعد ما قد أتى التزييل ممدحا
الأزهري بن عبد الله ذا عمر
بالحمل من كل ذنب جاء متصفا

فاشفع له في غدا يا ابن العواتك
واشمل بفضلك أهلي والبنين مع
اذ انت أكرم من ترجى شفاعته
صلى عليك الهى يا ابن مدركة
يارب وانتم بخير فى الممات لنا

ومن مدائح فى النبي صلى الله عليه وسلم :

باد هواه وزائد خفقانه
فجرت بوادر مقلتيه لما جرى
لم يدر قبل البين ان فسواده
عجبا لربع بالنوى لعبت به
نادوا الرحيل وقوضوا الخيامهم

إلى ان قال :-

حسب القتي من كل ما قد جنا
بحر انصفا ذاك المصطفى من مصا
المنتقى المبعوث من خير الورى
من معجز المختار يا قوم اسمعوا
لولاه ما كان الوجود ولم يكن
حتى ولم يك آدم كلا ولا
ونجا الخليل بجاهه من نار عمرو
ونجا نجي الطور موسى باسمه
ودعا به من نومه ذا النون في
وبه دعا من كيد ضرره

ثم اختتمها قائلا :-

يا سيد الثقلين يا مجلي العدا
الازهرى الصاردي عمر الندى

واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
الزوجات ثم ذوى سقرني واخواني
يوم القيامة من أثم وعبدوان
والآل والصحب ماكر الحديدان
والمسلمين كذا وانتم بإيمان

صب تفرق بالنوى اخذانه
حمرا وحن إلى الوصال جناه
رهن لمن وطيفهن رهانه
أيدي النوى فتفرقت سكانه
والضبح قد صدع الدجى سرحانه

دمره بالمصطفى إيمانه
ص شية الحمد غدا جثمانه
للخلق طرا انسه او جـانه
نرزا يسيرا حاكه حسانه
ملك ولا ملك ولا أعوانه
شيث ولا نوح ولا طوفانه
لعمري اذ جفا خلانه
حتما فما فرعون في هبانه
ظلم البحار فكان منه أمانه
أيوب يوما فأنجلت احزانه

يا عين هذا الكون بل انسانه
زانت بمدحك في الورى أوزانه

يرجو النجاة بفضل جاه محمد
واذا وعى لكتابه يلقي غدا
وبدى البدنية يرتجسك لعله
ويفيض فضلك عم من يعينه من
صلى عليك الله يا نور الهدى
وعلى الصحابة من اذا دعيت نرا
والتابعين وتابعيهم كلما
واختم بخير ربنا لعمومنا

عما جناه قلبه ولسانه
معه كتابا منك فيه امانه
طالت عليه دعت لها أركانها
اهل واصحاب كذا اخوانه
والآل ما برق أضواء لمعانه
ل يوم معركة فهم شجعانه
قد سح قطرا واني ابانه
واغفر لنا مايرتجى غفرانه

ولهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب » المصرية لأنها نالت
جائزة تلك المجلة ، يقول فيها :-

سلوا عن فؤادي مسيلات الذوائب
فلا سلمت نفسي من الحب قد خلت
سبي منهجتي لذن المعاطف أهيف
ولا عيب فيه غير ان جفونه
وكم اتقى كسر الحفون لأنها
اذا ضل على في ظلام شعوره
رقيق رقيق نخصره ورضابه
تجر فؤادي سين طرته وميا
فلا تحسبوا اني تصنعت في الهوى

فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
ولا كان جفن دمه غير ساكب
له لفتات دونها كل غسارب
بنتها على كسر جميع المذاهب
اعدت لتفريق المسهام الصوائب
هداني محيا منه مصباح راهب
رماني بسهم من قسى الجواجب
سمعنا بجر السين يعزى لذاهب
فوجدى قديم لم يزل غير كاذب

.....

وحبى له لم يخف في الكون أمره
هو الماجد المفضل احمد من دعا
له الله من مولى تفرد في الورى
سجينة تصح العباد لامرهم
فتى كلما اجزى يراعا بنانه
ترى الذر يزهو من سموط سطوره

.....
كحب العلا مصباح أفق الجوائب
بفارس ميدان الوشى فى الكنائب
باوصاف مجد لا تعد الحاسب
وهمته اضمحت بهام الكواكب
لتحرير القياظ اصطلاح التخاطب
على صفحات الحسن من دون حاجب

.....
فيا سيدا قد طاب في الناس سيرة
بفضلك فاقبل بنت فمكر تزينت
ودم سالما في بسط عيش مؤيدا
ولازلت اصيلا للجميل ومحتدا

.....
كما انه من نسل قوم أطايب
بمدحك لا عما حوت من عجائب
بأمن وحفظ من جميع النوائب
حميد المساعي في البورى والعواقب

(٢)

شعراء المهدي

الحرب صبر واللقاء ثبات
 / الجبن عار والشجاعة هبة
 / والصبر عند اليأس مكرمة
 / والافتحام إلى العدو مزية
 / والعمر في الدنيا له أجل متى
 / فعلام خوف المرء أن غشى الوعي
 / والفخر كل الفخر بين النفس لله
 / إن الجهاد فضيلة مرضية
 / قد حاز هذا الافتخار جميعه
 / قوم إذا حمى الوطيس رأيتهم
 / ولباسهم زرد الحديد وبأسهم
 / وخلوفهم صيدا الدروع لحزمهم
 / ففي السلم تلقاهم ركوعا سجدا
 / وتخالهم يوم الجلال ضراغبا
 / ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى
 / والحيل ثرقص بالكماة كأنها
 / فائرن تقع الموت في عرصاتهم
 / وذباب أساف المنية فوقها
 / والأرض سالت بالدماء وما بها
 / ظنوا جبالهم المنيعه تقيه
 / ذهلوأ اصحاب الامام ومادروا
 / عميت بصائرهم وتلك مصيبة
 / يا أيها الانصار ان صنيعكم

والموت في شأن الاله حياة
 / للمرء ما اقترنت بها العزمات
 / ومقدام الرجال تهايه الوقعات
 / لا يستطاع لنيلها غايبات
 / يقضى فليس تزيد خشيات
 / نفس الكريم وحانت الاوقات
 / العلى وأجرها الجنات
 / شهدت بمحكم اجربها الآيات
 / صحب الامام السادة القادات
 / شم الجبال ولبضعيف حماة
 / شهدت به يوم اللقا الغارات
 / قتل الاعادى عندهم عادات
 / اثر السجود عليهم وسمات
 / اسد واسل رماحهم غابات
 / رزق النسور ولحمهم اقوات
 / تحال في ميدانها فتينات
 / وأغرر صباحا اذ علت اصوات
 / رعت دما وجلأؤها الهامات
 / غير الجماجم والشعور نبات
 / وتوهبوا ان المصعود نجاة
 / ان الشوامخ عندهم صحرات
 / نزلت بهم عقولهم اشترات
 / شكر الاله له وتلك هبات

أعليتُم دين الاله وما يكسبكم
وشرحتُم صدر الرسول محمد
ورهيتم العسلج الكفور بسيفكم
وسقيتم الأعداء كأس منية
فصعدوكم متن الجبال دلالة
فالفخر فخركم وفخر سواكم
انتم جهابذة كرام مالكم
واذا للعناية قارنت عزم الفتى
خالى متى انتم قعود تنظرون
السيف أصدق ناصح في حقهم
قوموا لهم وتأهبوا للقاتلهم
اجلوهم من دورهم فلاهم
فخذوهم قهرا وسوموهم أذى
هانت جبالهم ولان شديدتهم
فتحت لكم فتحا مبينا واضحا
يا سيدا وسع الانام بحمله
فأنهض إلى الخرطوم أن يسوجه
بطروا راءوا ثم صدوا معشرا
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
الله اكبر لن يدوم صنيعهم
خذ جيشك المنصور لا تحفل بهم
فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا
فتحوا حصون الخيز بين التي
صدقوا فان الحرب استقى مرحبا
فتكا وضربا بالسيوف وطعنة
ونكاية الأعداء احلى من عناق

الا الثبات تزيته الوثبات
بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
والدين تصلح شأنه الرهبات
عبراتها ما مثلها عسبرات
اذ لا يحط لقدركم درجات
محض ادعاء ماله اثبات
في الصديق من سبة ولا شبهات
نجحت مساعيه وهان عمات
لوعودهم وهم للجميع خزاة
والفتك فيهم حسنة اسائة
ولتقصدهم في الديار امات
كتب الجلاء لهم وحق شتات
فلكيدهم لا تنفع الحسنات
وتحيرت ألبابهم والذات
سرت به الارضون والسموات
واستطرتهم بالهدى بركات
اهل الغواية والمفاسد باتوا
في الله لم تعرف لهم رغبات
والله اكبر والسيوف هداة
عن دينهم شغلتهم الشهوات
هذا وانتم للانام رعاة
ولتقدم امامه الرايسات
فعل الضحابة اذ انت غزوات
زعموا بان حروبيهم هلكات
موتا وما علمت لهم سطوات
ذاقت مرارة طعما اللبات
خريدة لعبت بها نشوات

قوم اذا ما السيف فارق رأسهم
جدوا ولا تنهوا ولا تبغوا على
فرشادكم عين الحقيقة واضح
قووا عزائمكم وكونوا واثقين
وليهن بالخبر الحزيل شهيدكم
والحور تنتظر اللقاء فرحا بهم
رضى الاله عليهم من فضله
الفاظ شعري شرفت بملحكم
قد قلتها وانا الفقير محمد
ان لم اكن مسلمان بيتكم الذي
دستم ودام ثناؤكم متابعاً
وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنه بقوله :

ما بال طرفي للدموع سكوب
ولقد فنتت وما ظفرت وربما
انا في هو الغيد الحسان معذب
متواصل الاحزان ألقاً للبسكا
متعفف عن فعل كل دنيسة
ماضني ان لو حثت العيس في
وزجرت للبكرات دامية الخطا
أو جفتها فسيرا فصارت ضمرا
فسألتني اين المسير ومن تريد
فاجبتها عني اليك فيمسي
فعساك تلقى نفحة من سر من
عثمان دقنه من رقي اوج العلاء
ومحمد ابن الطاهر المجذوب خل
وحماة ذلك الثغر أجمعهم فهم

فجروا ولم تصلح لهم حالات
الدين القويم وهؤلاء بغاة
ورشاد اهل البغي تمويهات
بربكم قد امكنت فرصات
فلقد تسابق روحه الرحمات
وتزينت لقدومهم جنات
وتعرضوا فانتهم النفحات
وتعمزت بشاكنم الايات
ارجو الاقالة ان بدت عشرات
سترت خطاه ببحكم سكرات
ما هب ربح النصر والنسمات

شوقا وقلبي للملاح طروب
فتن المشوق وفاته المطلوب
وسواي ينعم باله ويطيب
سهر الحفون كأني يعقوب
ما رايتني في عشقهن مريب
اثر الحمل وان علا التأنيب
قد مسها نحو الحبيب لغوب
كهلال شك ينجلي ويغيب
وانت تذرف دمعك المسكوب
حيث الزهادة والتقى المرغوب
زهلوا الدنا فاتهم التقريب
بنخاره والطاهر المجذوب
نجابة وابن النجيب نجيب
شم الثوابت ان الم خطوب

ما شوقهم دوما لطحنة فارس
 والدين أصبح صاحبا في ثغرهم
 فلأم أهل الشرك حزن دائم
 بعثت لهم همم الجهاد ملابس
 وآمدتهم جيش الملائك ناشرا
 فسيوفهم مسلوة ورماحهم
 فعدوهم دوما يغص بريقه
 ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
 او حربوا فالرعب من اعوانهم
 واميرهم عثمان اهلك مله
 ان صال فالفرسان تحجم دونه
 او جال في الميدان تحسب لئه
 او جرد السيف المهند مؤمنا
 فالحلم فيه سجية مغرورة
 فطالما عين الشريعة اسهرت
 فانامها عثمان وانكشفت به
 وافاد ثغر سواكن امنا وایمانا
 وكفاه فخرا ان من اعوانه
 يتفجر العرفان من اسرار
 صدقت عزائمهم وانخلص نية
 قد سلمته يد النوائب فانست
 وغدت تناضل دونه اعداءه
 لا شك ان الله اكرم ذا الفتى
 فاد في حفظ الشريعة بل ابي
 ما ضر عثمان الخزير اخا التقى
 فالسعد يخدم جيشه بشهادة

الا كشوق العاشقين يصيب
 والشرك حل بربعه التخريب
 ولا سهم منح السرور نصيب
 النصر العزيز يمدده التصويب
 رايات نصر للبلاد تجوب
 مسنونة وعدوهم مرهوب
 والرعب منهم للقلوب يذيب
 او غوليسوا فعدوهم مغلوب
 دوما وعقل عدائهم مسلوب
 عدم النصير صريحها المكروب
 فرق الهلاك وللسنان لعوب
 اسد تفرس والرجال تشوب
 لاولى القساوة فالرؤوس تجيب
 أما لذى حرم الاله غضوب
 ذلا وذرق دمعها المصوب
 احوال حرب للصغير تشيب
 ويمنا وليس فيه عزوب
 ذاك الذى هو للقلوب طيب
 للرائدين ومنه اليه يؤوب
 فى الله ثم مرادها المحبوب
 جلالته بوادره وتطيب
 قد كشرت منها لهن نيوب
 واقامه للدين نعم رقيب
 وتقوس قوم حظهن لهيب
 من بعد ما افسداه قط غصيب
 من نالها ابتسمت اليه عروب

فجزاه رب العرش عنا خير ما
وتراحمت من ربه الجنابه
عثمان هذى حلية الفكر التي
وبعشر معشار الذي اوتيته
جاءت تحسب عن غرام محمد
وبعبدى المدح الذي قد حزه
وبطول احسان غرسه وسؤدد

يجزاه في يوم النشور منيب
خيراته وتتابع التحنن
لودادكم ادنى جناها اديب
فخرت وعبق من ثنابك طيب
فيكم وتشهد ان ذاك عجب
كملت وزين بمدحك التشيب
قد طال غصن الكمال رطيب

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح بها الأمير الزاكي بأبيات الغزل الآتية :-

أبدا يؤرقني عسير شذاك
ويردني من حالة العقل إلى
ويزيدني طرباً وحسن مسرة
يا ربة الحسن الذي فن الورى
عذبتني بالصد والمجران ما
كفى فقد نزل السلو بخاطري
وظللت اروي من احاديث الندى

ويزيدني قلقاً دوام جنالك
حال الخيال تذلل واباك
برق تألق من ضياء سنالك
اكذا يكون جزاء من هواك
ذنبي سوى اني اروم لقاءك
عنى اليك فقد تركت هراك
عن معدن الكرم العريق الزاكي

كما بدأ قصيدة أخرى بقوله :-

دعوني اجتنى ثمر الرقاد
الا يا حادي عيسهم رويدا
ويا دار الاحبة خبريتي
متى رحلوا واين ثووا وقاموا
وليل بت فيه سمير انس
كأن ضياء انجمه علينا

وخلوني اميل إلى الوساد
سلمت من الملمات العسوادى
سقتك هرامع السحب الغوادى
على هجرى ام اقترحوا ودادى
تقرير العين مشروح الفؤاد
ايادى الشهم عثمان الجواد

الحسين بن الزهراء

/ برح الخفا ما الحق فيه خفاء
 / فالامر جد والقلوب مريضة
 / والحائات مصاعسق بمنابر
 / والحق اظهر ان يرى بشواهد
 / والشمس في أوج العلا من مغرب
 / والبلر قابلها فتم كماله
 / وذاري أفلاك العلا دارت على
 / وتكاملت في كل مجد اجد
 / ما ان ترى الا جميلا زاهرا
 / وسفته من خمر الهوى بعيونها
 / بالآية الكبرى التي بظهورها
 / مهدي رب العرش منتظر الوري
 / السابق ابن السابقين إلى الهدى
 / ولهم تبلج كل غصن شمر
 / تسقى بعذب رائق من البحر
 / وهمي وجاد على الانام بما ترى
 / بشري لنا بظهور مهدي الوري
 / جمعت حذ أفير المولاء لنا به
 / رفعته منه يد بقدرة قادر
 / بمكانه الامن المؤيد وقته
 / انعم بأمر كان من جد القضا
 / وله الإشارة من الست بركبهم
 / ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا

وتوالت الآيات والانباء
 والبداء داء والدواء دواء
 بعظاها تتواضع الاشياء
 لم لا وقد قامت به الاسماء
 بهرت عليها هبة وبهاء
 وتقلدت بعقودها الجوزاء
 اقطابها فزهت بها العلواء
 لما استقام زمانها الاشياء
 بهرت في حلل البها زهراء
 ولحن ثغور شفاها لمياء
 كمل الرضا وانجابت الاسواء
 وإلى الولي والاكرمون وراء
 من معشر نتجت بهم زهراء
 بحلاه تزهو روضة خضراء
 من فيضها ملاء بالبحور الماء
 من غيثه اظمى عميم سماء
 آية ونعمى بعندها نعماء
 وعلى الجميع من الامام خباء
 فوق المباني ما علاه بناء
 والارض ارض والسماء سماء
 جار وقد حكمت به الاسماء
 طوعا له وليسمع العلماء
 نفسى لهم مما يشين فداء

من يحفظ التنزيل من بدرى الذى
من يحفظ الاخبار على اهل النبى
ويرد اشكال الامور لشكلها
ويرى للقيح بداية ونهاية
مثل الذى فى بحر ليل جهله
لا والذى خلق النوى وهدى الورى

فيه ومن لم يدرك ذاك سواء
وتعين ذلك فطنة وذكاء
ولها عليه من الثناء سناء
ويروم احسن ما الاله يشاء
داج وأشرق ما يراه مساء
وله وراء مماتهم احياء

مهدي امة احمد بي لم تذر
فتنكرت من ذاك كل مقاصدى
مالى سواك وليس بعدى من خفا
وأنا المصغرين ظهرانيهم
لم تعرف الايام قبلك منزلى
واستعملتني اليوم فى عاداتها
اجملت فيما لا ارى اجماله
ومواضع التفصيل دوني شأوها
فلسان حالى الكنته فهاجستى

خلا يدوم له لدى اخفاء
فاذا الجميع سوى علاك هباء
لكن بذاك جرى على قضاء
حسبى التصاغر انهم اكفاء
ولذلك لم يرفع على لواء
فاطعنهن ولى اليك رجاء
حقا ولكن للامور مضاء
لعبت بها من دوني الاهواء
بعضال داء ما لديه دواء

وامانة اللحم الغفير مهاجرا
غتناوله من اللثام واعطاه
واشرط عليهم ما اردت من الهدى
رسم ترقرق باللسنا فله الهسنا
وكسته أثواب الرضا مهدية
فغدا بها يختال فى حال البها
كم ارتعى من روض دائية الجنا
عزحتها تحف الكلام فنوعت
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا

وله بماء سمائك الاحياء
صنف الكرام فاهله العلماء
يعطوا العهود لانهم امناء
اذ ناله بعد القناء بقاء
تتلو المضرة اختها السراء
ولكل شىء شدة ورخاء
ثمر الرضا تدينه لى وجناء
تحف الملام وهاجها ادلاء
لوصالها تتصل الاعضاء

ترقاع إن هتفت بها من كسوة
عاش ابن سينا جهده اوصافها
دقت ورنت وارتقت في سكره
كيف التواصل والقوى هت السرى
فتزلت حاجاتها في سوح من
وتركتها وكفى لقائي مرة
تلك التي جهد الزمان لوصالها
حتى بالطاق المهيمن مكنت
فغدا بها متصرفا في اهله
ودعا بها لله دعوة قاهر
فاجابه اهل النهى في طاعة
وديار من نادى الهدى منقضة
حاكت بها سرى الشمال عجائبها
سرى ثانى ايام الدنية غطلت
في تاسع من رابع في الثان من

سحرا لتجديد السلام رخساء
بشفائه فاذا هي العنقاء
يلمي شفاء دونه الصفاء
اذ مسها من ضعفها الاعياء
بحمولهم تشتل الضعفاء
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء
وله بذلك غدوة ومساء
اعراضه منها يد ييضاء
يعطي ويمنع من يرى ويشاء
سمعت بعز مكانها العظماء
سفكت بها قبلي اللقاء دماء
وسقوفها بين السقوف هواء
شخلا تفتقه يد عسراء
بيض المها وجواهر ونساء
بعد المكثين واللامور مضاء

ما النار شأن النار اعجب ما أرى
عنها استفد خيرا وكن متبصرا
عبر تجل عن القلوب ذوى الذكا
اتظن تلك كرامة مأثوبة
وهدي لدين محمد من يهتدى
هم والذي برأ الورى هم لاسوى
وفدى النفوس انا فاني دونهم
هم كالنجوم هدى وفي الجنوى
ماذا الذى تقاس من افعالهم
ما دونهم مرمى مرید صادق

تجرى بهم وجسومهم سوداء
في امرها وليعمل منك بكاء
اية وتكسف بينهم ذكاء
لا والذي خيلت به الاراء
وبه تخصص في الهدى الخلفاء
كل النفوس ثم سوى فداء
بي والذي برأ الورى أدواء
بلى العدى ما بعدهم اظماء
فقياسهم بسواهم اغواء
هل بعد عرش الاسراء بنساء

فسرى خلائف احمد مهدي الوري
 الا الذين غدوا على آثارهم
 ذاك الرفيق الزمه واترك غيره
 واعصم سقاءك بالوكاء من المظما
 واصحب خيرك في الثرى خوف
 واحلل اسيرك ها هنا ان تستطيع
 خفض عليه فللخطوب ترسل
 وعلى النبي وآله صلى الله عليه
 وكذلك سلم ذو العلا ما انشدت

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدي قال فيها :-

الامر جسد والخطوب جداد
 نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر
 مهج تقعقع في شتات جسومها
 قضب يحرك معهد اوتارها
 دقت ورنقها الصغار وعادها
 وكأبها يوم الوغى في كربها
 وعيونها مغموضة بعيونها
 نادى بها ذو الصور يطغى نورها
 بين الرقاق البيض والسمر القنا
 طربا يفوق على الشمول لماعة
 ومحاسن العلياء بين مطارف
 ما بعد طيف خيال ظل خيالها
 حرب بمحراب الهدى من يأسه
 لم لا واملاك السموات العلا
 والجن والانس الذين عهدتهم
 فانجبر بنفسك نخل اخبار الوري

وجند مهدي الوري اجماد
 فبدت لهم من حاجر ازواد
 فكأبها بنشيد أعسواد
 يزهي بها الانشاء والانشاد
 بعد الرقاد من الخطوب سهاد
 يخطوبه تخطو به الاسناد
 والحق ابلج والوري اشهاد
 فرنت له الارواح والاجساد
 مجلسومها تراقص العباد
 لم لا وكيف وفي العيون سعاد
 خضر بها جمع الجمال جواد
 يوما ويوما يراد سهاد
 بشتاتها تتزلزل الاطواد
 في جيش مهدي الوري اجناد
 سوى الذين وماهم اعساد
 والزاد خل ولا يعقك بعاد

وأحذر تقوّل ذي اعتداء جائر
أقضى المقالة فيه حق كله
للحق جائر وللمناكر قاتل
يكفى الذي ملّيته في حق من
وعلى النبي محمد خير الوري
ولآله والقائم المهدي ما
وسمت له زتب الولاية على السما

ورفع قصيدة ثالثة للمهدي قال فيها :-

أهاجك وصل بالاباطح يلمع
أم للبرق في شعار العقيق ولعلع
أم الواقع المبتول بين اجادع
دعاك ومل النفس لولاك من ولا
فسامرتة والليل يلهو بنفسه
واسنى صلاة حان وقت ادائها
وطلعة شمس من سنى الغيب عزز
بها انبهرت شمس السنن من سنائها
عاد الهدي اس الجدي معدم العدا
ملاك اساطير الخلافة كفوها
امام المهدي الهادي لكل مرشد
به اخبرت من قبل وقت ظهوره
به انفجرت من قدح زبد خواطري
فاهديت در القول غير مثقب
واوليت ما اوليت عقدا منظما
ولوسلت دمع العين فيه مفقرا
سجية ذي وجد عليك مؤبد
سجية من لا غير وجهك قصده

لها فيه ما شاء السراب الملمع
فهاجك يا هذا العقيق ولعلع
عليه بها طير المنية وقّع
به هو في البيداء واه موالع
وكل بكل ذي عموم موجع
وتكيزها كالعبد فيها مسجع
باشراق بدر الكواكب شرع
حياء فوالاها لنام وبرقع
بدا واليه الناس في الارض نجع
المعد لها الحصن الحصين الممنع
بها مته التاج النفيس المرصع
صحاح رواها هيرزي موضع
سعر الهوى في القلب والجند تبع
ولكنه منه اليه مشيع
ولكنه بالمجد منه موصع
ولم يلق للتطريب الا مسجع
سخاء بنوم العين والناس هجع
ذهاب عن الاغيار والناس طمع

خلعتهم لهن ما ليس فيهن طائل
 قصور وحور والخبور ونعمة
 وهالك وخلد منى ودونك واغتبط
 بنا انت مالا حت بروق لغيرنا
 وما اعنت في الشجوساجعة الحمام
 أدرت سراج الفكر في افق بخاطري
 وما لذ في عيني وقلبي وقالبي
 ولا سامرت نفسي من الليل سمرا
 ولا رد في وجهي السلام تحية
 فنسرت به روجي مسرة بهجة
 سواك فانت الجمع والفرق دائما
 لمن تزجر الحاجات زجرا مبرحا
 فهل دون مأمول الخصب فناؤه
 انادى فلم يذهب ندائي للذهب
 واثني لعل الصوت يبلغ احسدا
 توجه ومنه السير سر فيه تنتهي
 وقل عنه وأسمع لطف كل مقالة
 وعاین وما في العين الا اشعة
 وجمال يريق العين من فرط حسنه
 تغر له زهر الدراري كواسفا
 عليه صلاة دون كيف وعدة

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :-

بنفس فتى بالشمس رأد الضحى ازرى
 تبسدى لنا من ذيل آفاق غيبه
 وما كان ذاك الغيب من فرط صوته

وعلقها في كل طبع منقسم
 ومال وآمال وخير ممنوع
 بما تبغى عفوا فانت مشفع
 وما اطربت آلات هو تنفع
 على فنن غص وطلبت ترجع
 فلم ألق من فيه الكمال مجمع
 ولا هباج اهوائي خباء مضيع
 ولا ضمني في الدهر بين مصرع
 من الناس شخص حاسر أو مقنع
 لحسن واحسان له انصرع
 كذلك واثبت الاروع المستوع
 ومن في حمى اخسانه تنمر
 لحاج ذوي الحاجات باعش مربع
 شقائي ولم يجمع شتائي مجمع
 فيعلم ما بي او يعيه فيسمع
 اليه فلولا البسيطة بلقسع
 يمر بها في أفق اذنك اصمغ
 يمر بها في افق اذنك اصمغ
 فيبهرها اذ بالجلال مقنع
 وتترن من اوج العلا وهي خضع
 واسنى سلام ما تلالاً يلمع

ونورا يفوق النور من كان والبدر
 إلى ان ترامى في العلا بيننا جهر
 لذلك السنا من قلبه يظهر السرا

ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا
وهيئات كتم الغيب اشراق ضوئه
ولما تبدى لي وفاض شعاعه
وسامرت منه خير نفس ابيسة
ومعنى متى احزرت من غير علة
اظن بذات الضال في جرح رامة
ارى مغرب الاغيار اعم ظلمة
ارغب نور الشمس من كوة الحمى
اردد في تلك الطلول على الربى
وان هي لم تفتح مغلق بابها
وامكث ان لم الق من جانب الحمى
اراقب من فيض الرحيم مراحمها
وارضى بكوني ناسكا غير عارف
وان كان علم العقل غير موصل الى
نهاية اعقالات العقول معاقيل
قدما ارتنا من وراء خباياها
سبرنا بها بحرا المعاني فلم نجد
الا ليت ذلك المبر ما كان حاصلا
فعض هكذا اما هكذا غير ما ترى
به واحد فيه له وهو صاحب
قرأت كتاب الكائنات مسطرا
وعانيت فيه كل صعب وساهل
وسبرت نهج السير مع كل شاحب
تحيلته وهما فوافيت غيره فالفيت
ونمت فيخال النوم اني ناظر
بينى وبين الناعمات بهجاهل يضل

جدير باعطاء المنى العبد والحر
واسفار وحي في الدجى يشرح الصدر
تذكرت من نور الهداية لي ذكر
وقدرا تعالى ان احاذي به قدرا
وفوزا بخير لم اخل بعده خيرا
اصلي بظل الضال في الظهور وللعمر
فهيهات هيهات انتقالي ولا بدرا
طوال الليالي علني ان ارى الفجرا
تردد ذي حاج ليدر كها شهرا
عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا
رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر
ونعناء من ضراء لا تنتهى حصرا
على حد علم العقل استعمل الفكر
شرح علم السر اذ لم يزول قسرا
عن الحق في كن قصرت قصرا
ستور رسوم لم تزل للعلا سترا
لنا بعد ذاك السير من احد خيرا
لقد ضيع الايام والفاضل الفخرا
من الامر لا ترفع بأمر ترى امرا
وليس به فيه فلا ترتكب جورا
فلم استفد منه سوى واحد سطر
فما شريحت تلك المعاناة لي صدرا
فما رضيت امرا قط لي يسر الامرا
في اخطار سيري له خطرا
اليه وادني داره دونها بصرى
لها الخريت عن ساحة الزدرا

ودوني ودون الملتقى كل شافع
 فيا املي دوني توقف فانسني
 ونادي صريح بالرحيل واسمعت
 افي الحشر بعد النشرافت منازل
 سلاما متسما من والى مجسد
 مجيد القوافي الحاسرات وجوهها
 خذوا من التبريح ذاب مفارقا
 لكم فضل اصحاب النبي محمد
 على احمد منى صلاة تأيدت

على ان يرى نسر السماء بها وكرا
 رجوتك لي تعرضت الاخرى
 خطوط الليالي ذا الندى لبني الغبرا
 مقامي لاني اليوم انتظر الحشرا
 ايادي عرف لا يرى بعدها نكرا
 من الذل يا ابن العز يعزى إلى زهرا
 وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى
 بخاتم اقطاب الوري الآية الكبرى
 وخير سلام قد ابي العبد والمحصرا

كهنديوب تعرف صبرنا
 وهشيم تشهد عزمنا
 يا طالما صمدنا بهما
 جيشا يرن سلاحه
 وسواكن تبرى بنا
 بالمشرف كأنه
 زمننا رصدا نحوها
 ونثر في ارجسائها
 ولطالما برزت لنا
 من كل فج يمنة
 فتجاذبتهم خيلنا
 البيض تلعب فيهم
 حتى أنت اخبرنا
 وأقر ويك بفضلنا
 وتحقروا أن لا نبنا
 نحى للدين الله نيل
 متوسلين اليه بالمهدي
 وخليفة المهدي
 ما ان رحلنا عنهموا
 بل طاعة لوليننا

كيف ارتكبتنا للمصائب
 كيف أدرعنا للمصائب
 صيد القصف للتعالم
 كالرعد اذا ما المزن صائب
 أنا لدى الهيجا نضارب
 وقع الصوافع في المضارب
 نبدي العجائب والغرائب
 كالليث اذ نشب المخالب
 منها العسكاو الكنائس
 بل بسرة من كل جانب
 ترمى بهم رمي الثواقب
 فوق العمائم والعصائب
 من مصر تكتبها الجوائب
 الاعداء في كل المكاتب
 لي بالمشقة والمتاعب
 في شأنه تلقى المعاطب
 وجهة كل راغب
 عبد الله مفتاح المطالب
 جزعا زلا خوف التواب
 فليدر ذا كل الاجانب

في رثاء المهدي

دهتنا دواة يضرس القلب نايها
غداة نعي الناعون مهدينا الذي
امام المهدي المهدي افضل من دعا
ألا قد اصابنا اذ عدنا حيينا
ليك له الدين الحنيف وملة
فقدناك يا هديا يتمنا بفقده
إلى الله انا راجعون هو الذي
هو القاعل المختار باق وانما
وكنا نرى انا تفوز بوصله
فلم يبق فيها الآن ما يبتغي له
سقى الله ارضا ضمته بقاعها
عزاء إلى الصديق نائبه الذي
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه
عزاء إلى الكرار ذي الناصر الذي
عزاء إلى الآل الكرام اولى التقى
والحقنا المهدي في جنة العلى
الا ابلغوا عنا ضريح الهدي

ويوقد في الاجشاء نارا منايها
به ملة الاسلام جل مصايها
إلى الله مفتاح النجاة وبايها
وضاقت بنا الارض الوسع رحايها
ابان هداها حين تم خرايها
فقدناك يا شمسنا دهانا غايها
إليه نفوس العالمين ايايها
نفوس الوري جمعا اليه انقلايها
بنى الدار حتى صاح فينا غرايها
بقاها فقد اضحى سرايا شرايها
به فاقت العرش العظيم قبايها
به الملة الغراء شد انتصايها
لدى نعم الدنيا الغرور اجتنايها
لديه يهاب الباترات ذبايها
على الله هاتيك الرزايا احتسايها
ليذهب عن هدى القلوب اكثايها
تحايا إلى الله الكريم انتبايها

راق الصبوح ورقى الصهباء
 ربيبة نبوية ملكيسة
 شمسية قمرية ما قبض عنها
 تشدو بأعلى صوتها طربا بها
 معصومة عما يحرم كأسها
 أن كنت من أنصار مهديها لنا
 ما هدية غير الكتاب وسنة
 أجلى الصدا وأزاح أنواع الردى
 أضحى به روض المعالى يانعا
 أمست به آثار طه نورها
 فالمجد فيه مؤئل والفضل منه
 آياته تسجت بمحكم ناسج
 أن فاد يوما فى الذى خلق العلى
 ما قيس ما سبحانه ما أحزابهم
 الله اكبر لا ارتياب لهديه
 والآنحسبون به لقد اعلاهم
 أمست فيه حليف ود لا ازو
 من أين تبدو والختام ختامه
 والعقل قبلا فيه يشهد أنه
 ولنا عليه نتائج بالفكر ثم
 اذ نصره من ربه مشهود كل
 وقتيلة يوم الطعان معجل
 هذا وما قصدى بنظمى ان أض

مذ كان فيها للعليل شفاء
 مهدي روحية وسمية
 ختمها فى دنها ورقاء
 فغدت تناوب شدوها الشعراء
 فأشربه ثم أدرك هناك هباء
 مهدي الورى من فاض عنه هداء
 والتاركون لذلك هم كفراء
 وسمت به فوق السما علاء
 وعلا لزواد الضلال رداء
 يعلون ولا يعلون عليه سناء
 مؤمل والناس فيه سواء
 ولواؤه بالنصر نعم لسواء
 أبدت عجائب نطقه صدحاء
 فى بحره أبدا لهم ادلاء
 والجاحدون له اذن اعداء
 أوج العلا فخرت بهم علاء
 م به بديلا لو بدت بدلاء
 والروم شاهدة وفيه كفاء
 بعث المهدي أو ليس فيه خفاء
 لا عين النظر سرا له أضواء
 العالمين وليس فيه مرأ
 أحسراقه وبذلك لى أثباء
 م إلى الاولى مدحوا وهم بلغاء

لكنتي عبد مقيم حبه
وكذلك لا الدنيا بمقصودي وان
بل مقصدي نظر بعين رضائه
نظر به يحكي شقاي وكلما
يا سيد السادات يا مهدي الوري
أن الزمان هو المحاول صبرعتي
لي ذمة ارجوك نجح عهودها
أن قمت يا بن الطيبين بنا فما

استخدمتني مدحيه الآلاء
انا ذو احتياج لي اليه شكاء
عني وان لي في الهواء اعواء
كسبته حقا مني الاعضاء
مسنى النداء ومنك لي الارضاء
ويدي لدفع اذاه لي شلاء
وكذلك الآباء والابناء
هول له نخشى ولا حسوباء

وصف قبة المهدي

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا
وصنغ من الاكليل تاج لها مها
وقد نظمت زهر النجوم قلائدا
ولاحت بانوار الهداية شمسها
بنية مجد شادها العلم والتقى
فلله معناها ومحكم صنعها
ولم لاوقد ضمت لأفضل وارث
خلاصة صفو المجد عن آل هاشم
إمام له في كل مجد وسودد
محمد المهدي بشرى محمد شفيع
ببشراه غنى بلبيل السعد مطربا
به الله احيانا واظهر دينه
وقد احرز الدين الحنيفي بالظبا
وجاهد من قد حاد عن شرح أحمد
ولما دغاه الحق جل جلاله
اجاب النداء فالقلب بعد فراقه
وقد جبر الله الوجود بأسره
بهدي الذي قام فينا مقامه
فقام بأمر الدين حق قيامه
قلوب الوري تغنو جميعا لهديه
امام اجل الله في الكون قلده
مآثره في الدين يعسر حصرها
وقد اصدر الامر الكريم مخاطبا

ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا
وسال بها نهر المجسرة مزبدا
بلعيد علاها جائر السبق مفردا
فاشرق منها الكون وانقشع الردي
يطوف بها الزوار مثنى وموحدا
وروضتها الزهراء بالفضل والندي
نخيل الوري طه المشفع احمدا
وافضل من في الخبر راح او اغتدى
مآثر فضل ما اجل وامجدا
الوري في الحشر من طاب مختدا
وقام على غصن المسرات منشدا
وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا
ودمر جبارا طغى وترددا
وقد فل جيش المعتدين وشردا
لدار بها القوز العظيم مخلصدا
يذوب أسى والصبر عز وابعدا
وأعلى منار الدين حقا وشيدا
خليفته هادي الوري قابع العدى
واعمل في أهل الضلال المهندا
فلا تنثنى الا وعنها انجلى الصدا
وتوجه تاج القلوب وأيدا
فغاية ما عندي المقصور وقد بدا
لانصار دين الله حالا ومبتدا

وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
وبادر أبقاه الاله مسارعاً
ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبلة
فيا زائرا تلك البنية لائذا
توسل ببشرى المصطفى متأديا
وقف خاضعا وأرخ القبول مؤرخا

لتحرز اجرا في البنية سرمداً
يباشر اعمال البنية مرشداً
له وهو بدر في سماء العلا بدا
حوت كل مجد لا يعد وسوددا
يقبر حوى الفضل الجسيم المؤيدا
لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
بقبة مهدي الانام ترى هدى

ابراهيم شريف الدولابي قال في :

رثاء المهدي

كيف التئام فؤادي المقطور
أم كيف الضنا عن مهجته
أسف على المهدي من شهد الصبا
لازال في كنف الغناية يغتدى
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذي
واقامه المختار عنه خليفة
ورقي إلى كرسية متسما
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا
فتح الكفار ودمر الكفار في
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلا
ومن انتهى لسراه أمسى حائرا
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا
ما أظنيت مداحه الا وهم
هو مجمع البحرين بحر شريعة
سر الوجود وترجمان الحضرة
والله اكرمه بطيب تحية
قد كان قوام الدجى متبلا
طلق المحيا خاشعا متواضعا
وتفيض بالحدود الكثير يمينه
ويبيت طاوا الكشف جوعا وهو قد
لا يتغى جابها ولا مالا ولا
ما همة الا اجتذاب الخلق من
لما ابان لنا السبيل ولم يندع

ورقؤ دمع محاجري المفجور
أحشاؤها تصلى على تنـور
قد كان معصوما عن المحفلور
بدقائق التبصير والتنوير
عنه انتهى في حيرة وقصور
خلعت عليه ملابس من نور
في مشهد بالاوليا معمور
بالسيف والاذار والتبشير
كل البلاد بجيشه المنتصور
سور الرضى اعظم به من سور
ضل الطريق بليلة ديجور
تأخذك لومة لأثم مدحور
عن وصف بعض حلاه في تقصير
طام وبحر حقيقة مسحور
العليا ومظهر عليها المستور
يحذو بها موسى كلیم الطيور
متواصل الاحسان غير فخور
كهف الفقير وجابر المكسور
أبدا بلا من ولا تكدير
اعطى الكنوز بجمعها الموفور
عز الملوك ولا ارتفاع الدور
درك الشقاوة عميهم والعور
ايضاح منهي ولا مأمور

والدين عز وأهله بلغوا المنى
 تأقت إلى الذات العلية بروحه
 فمضى وأودع كل قلب حسرة
 تبكي المساجد والمحارب ففقه
 يا طيب أرض ضم جسمك تربها
 يا آل بيت المصطفى صبرا وإن
 فلكم تجمع في مصيبة جددكم
 وإذا توارت في الثرى شمس الهدى
 أبقاه مهدي الآله وراءه
 ويسوق للنهج القويم بحاله
 هو ذاك عبد الله نجل محمد
 وخليفة الفاروق نجم ثاقب
 وخليفة الكرار سيف متضئ
 بطل إذا اقتحم المكتبة غادر إلا
 فيهم قوام الدين بعد إمامه
 صلى الآله على ضريح ضمه

وتقبلوا في نعمة وحبور
 وسعت لمقصود صدقها المزخور
 وحشا الحشا ببلابل وسعير
 ومواطن الأذكار والتذكير
 ترضى بعرف المسك والكافور
 جل المصاب وعز عن تبصير
 خير الأنام الحى والمقبور
 فهناك بذور هدى عظيم النور
 خلفا يسير بسيره المشكور
 ومقاله وحسامه المشهور
 وسع الورى بالحلم والتدبير
 بضياته يحلو ظلام الزور
 بالحق يقطع هام كل كفور
 بطال بين مخرج واسير
 وبهم تمام ظهوره المأثور
 أزكى صلاة في المساء ينكور

أوميض برق أم سنى مصباح
أم قام فى الدياجى ناسر
أم ذى الغزاة تزدهى بأشعة
أم تلك عارفة الزبير اخى الندى
ضحى الدسيعة ما خلت أبوابه
من دوحة العباس عم المصطفى

إلى أن قال :-

هو فخر سنار الذى عظمت به
وتواضعت عظماءها لعلاه اذ
من فطنة ونزاهة وشهامة
يخنو على مسكنهم بتعطف
فلذا تراهم يلهجون بذكره
يا من يباريه بلا فضل أقر
فإنه يبقيه ويجعل سعيه
ويمنح الاوطان منه بعودة

وجده عم بها جميع نواحي
علموا بما أوتي من الفتحاح
وشجاعة فى الغارة الملمحاح
ويد خلقهم بخفض جناح
لا يطربون بغير هذا الراح
أيساق البار بفسير جناح
فى كل ما يهوى قرين نجاح
تهب الدواء بها لكل جراح

(٢)

شعراء الحكم الثنائي

في تحية العام الهجرى ١٣٥٥هـ

حدث فان حديثا منك يشفينى
طفلا وانك قد شاهدت ذا النون
وانت انت فتى فى عصر زبلىن
فان اخبار هذا العصر تبكىنى
ان الملوك وان عزوا إلى هون
واندب بها كل ماضى العزم ميمون
من ذى حفاظ وبذل غير ممنون
فيها وعن سائل فيها طارون
بعد الامين حسام الشهم مأمون
وكيف جرد من ماضى ومسنون
من كل متضح الآثار مدفون
بسادة عمروا الدنيا اساطين
عفا واعطى برأى منه مرصون
بالمال والمال من أجدى القرابين
والدين والصفح كل المجد فى المين
على رقاب الورى امضى القوازين
جم الأياد من الشهم العرانيين
فيها التقى وحنان للمساكين
عظفا ورفقا لبادى الفقير محزون
للمجد الاثيل بفخر غير ممنون
لا يحزنكم بالنصح تلقينى
رحمى ولين بفظ الروح مقرون
تدين يوما لراضى النفس بالدون

يا ذا الحلال عن الدنيا او الدين
طلعت كالثون لا تنفك فى صغر
سايرت نوحا ولم تركب سفينة
خبر عن الاصر الأولى لتضحكنى
خبر ملوكا ذوى عز وابسة
وارمى بطرفك من بغداد دائرها
سلها تخبرك كم ضمت مقابرها
سل دار عاتكة عن شأن عاتكة
وسل زبيدة عن قصر تبوأه
سلها عن ابخيش جيش الله ابن مضى
أنحى منابرها من فى مقابرها
وقبلها ابك دمشقا أنها فجعت
وسل معاوية عن شاتيه فكم
يأسو جروح مقال ليس تؤلمه
هى السياسة تأليف وبذل وندى
هى التى حكمها بين القلوب له
وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى
واذكر لىالى الفاروق أرقسة
وكم تفجر فيها المصطفى كرما
انى بكيت على ماضى تكفل
احببى ودعاء الحب مرحمة
قرب قول غليظ اللفظ باطنه
ترضون بالدون والعلواء تقسم لا

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه
تفرق وتوان واتباع هوى
والخادئات تربكم كل آونة
فلا اعتبار ولا رقيب لنزالة
بليت وبلايا الدهر ان نزلت
بامة جهات طرق العلا فلم
فللمدارس هجران وسخرية
وللفاسد اسراع وتليية
والناس في القطر اشياء ملفقة
فمن غنى فقير في مروءته
ومن ظليق حبيب الرأى منقبض
وآخر هو طوع البطن يجرز في
وهيكل تبعته الناس عن شرف
يختال بالمدن تلتنيا ليجمعها
أحبتى هي نفس حاج هائجها
هزرت فكيم سيوفا في مضاربها
ان الحياة لمضمار اذا ازدحمت
لها وسائل ان شدت أواصرها
تواضع وتوان واتباع هوى
فاحسنوا انما الاحسان واسطة
ثم انشروا من شريف العلم أنفعه
العلم زين وبالاخلاق رفعتة
ان الخلاق ان طابت مناسبتها

من الجبان ولا ينقاد بالهون-
إن الهوى لهوان غير مأمون
ان التقاطع من شأن المجانين
ولا احتياط ولا رحى لمغبون
فالصبر يكشف منها كل مدفون
تسبق لغاية معقول ومخزون ..
وللمتاجر ضعف غير موزون
ولا التفتات لمفروض ومسنون
فان تكشف فعن ضعف وتوهين
ومن قوى بضعف النفس مرهون
فاعجب لمنطلق في الأرض مسجون
زى الملوك واخلاق البرازين
كالسامري بلا عقل ولا دين
سحتا وتورده في قاع سجين
من الشجون فلم تبخل بمكنون
عون الطريح وارهاب المطاعين
به الرجال تردى كل مفتون
تبين المجد فيها أى تبيين
والصبر والحزم ازكى فى الموازين
للعالمين به فى كل تمكين
فانما هو معنى كل تمكين
ان قارنته يد فى حـ
كانت لكسب المعالى كالبراهين

استقبال لورد ألبي

هي الاخبار آفتها الرواة
وفي الخدثان آلام . ولكن
تغفلن بيننا لأجبن داء
فلا شبابنا جابوا فنالوا
ولا أدري أهم للقطر بشرى
فما لنفوسهم ذلت فظلت
وما للناهضين بها استراجوا
وهم في يوم زيتها رجساء
وهم في يوم ظلعتها بدور
ترأت مشكيات الدهر فينا
وجاء اللورد يرقل في ثياب
إذا ما قيل قد أوفى ألبي
ألا يا حامل السيفين أنا
دخلت (القدس) يوم دخلت برا
وسرت على جلالك فوق أرض
ولم يعجزك ان حيث فينا
وسرت بها يروقل في ثراها
فهل احزرت من عظة نصيبا
مررت على الديار وجزت فيها
فبعض من تكاثفهم عراة
فهل للساكين بها نصيب
وهل اوليت هذا القطر خيرا
وهل قررت ان يبقى ويرقى

وصيقلها التثبيت والثبات
لنا في كل حادثة عظات
اصيب به الاطية والرقاة
وقد خارت كهولهم فماتوا
ولا أدري أهم فيه نعمة
بلد لنا من الخبز الفتات
وهم في يوم أزمتها الحماة
وهم في يوم شدتها الكماة
وهم في نحر حاسدها الرماة
وارجفت المعاهد والجهات
تضم بها المنافع والشكات
تطمأنات الامور الجانحات
نفوس تلمع الى جائعات
رفيقا في الامور لك انصلات
بها حجج النبوة مشرقات
وان قامست هناك المعجزات
رجال للهدى احيوا وماتوا
وخير الواعظين بها رفات
بواد ارض ساكنة مساوات
وبعض من ملبسهم عراة
تعود به على الشعب الحياة
فتحمره البقاع الناهضات
تسير به الامور الصاعداات

وعهدى ان ايديكم جميعها
وانك ان اعطفت فينا
لنا بالطب جهل اى جهل
وكيف يحوز قصب السبق قطر
شباب القطر فى هف وشوق
هم القوم الذين على هداهم
ومنهم (كاتبون) وهم كرام
بأيديهم . وان كانوا قليلا
وفينا اذ نسام الهون عزم
وفينا فطنة كملت وطابت
فضع مجد البلاد على وداد
على حكم التسامح والتغاي
على حسن التفاهم من رجال
روض بالحدود جامعهم وايقن

عوامل فى الحوادث ناصبات
ايادى تستقل بها الهبسات
وان الجهل من شعب ممات
جفاء مع المجامين الاساة (١)
إلى سبب تزال به الاذاة
يهدب ناشيء وترى فتاة
ومنهم « حاكمون » وهم قضاة
مفاتيح القلوب الحاكمات
منع لا تقل له سبات (١)
وفينا حين تبصرنا أنساء
تقاد به القلوب النافرات
تدين لك النفوس الجاححات
كهول قرح وهم لسدات
بأن الامر تصلحه العذات

فأت بك عن ذات الحجاب الرواسم
مدامع تذريها من البين مثلما
جراح بأعماق النفوس تغربها
وانين ولا كالكلمات ومهجة
عيون ولا كالمهفات تألبت
ترفق فما يجدى البكاء ولا ارى
أرانا هجرنا الدين والدين معقل
أرى البدعة الحمقاء أرخت سدولها
أرى شرعة الاسلام رثت جبالها
أرى زهرة الدنيا وشرح شبابها
ارى ما ارى مذ ساد فى الناس واهن
سلام على الدين الخفيف وفتية
تبدل ماضينا ولم تبقى سنة
اذا شئت يا ذات الثنايا تشاهدى
اغاروا . وقد انجذت : لما تحولوا
فبيناهم للامر والعرض سالم
يقال رجال . لا وربك انهم
نفوس ابت فعل الجميل لاهلها
فما روع العلياء الا عمائم
أجل نظرا فى من مضى من رعيونا
تخلى لهم عن امره الدهر نحاسنا
رحى الحرب فى ايديهم وزمانهم
اذا نال من فى الغرب سوء تراكضت

فقلبك مقسوم وبينك قاسم
همت من حصار المرسلات غمام
وهيهات منها ما تفيد المراهم
براها حنين قلده الحماهم
عليها جيوش الهمم لازم
من انخير ما يلقاه فى الناس نائم
فما خير سيف لم يؤيده قائم
على السنة الغبراء اين الصوارم ؟
وراحت بامواج الخطوب تلاطم
تبدل بؤسا . بشئ تلك المغارم
وخارت عن الاقدام منا العزائم
على عهدهم ترعى النهى والمحارم
وصار لنا مما نعد المواسم
بنيك على مر الليالى فهاهم
عن العهد واستولى القياد سواهم
اذا بهم يفضون والانف راغم
جديرون حقا ان يقال القواطم
وايد الى الاعدام نعم الحمازم
تاوم فينا وهى فينا سواهم
فهم عند ناب النائيات ضراغم
وتسلم دولاب الحياة الأعاجم
حليف وان هم سالموا فسالم
سواجحه واهتز فى انشراق عالم

ادبروا علينا كأس ذكرهم عسى
كان لم تكن تغنى مغانيهم ولم
فيا نعم عيش بالشام وامرة
وكائن ترى بالنيل من مملكة
وقد نبغت يوما بأفدلس لنا
وحسب الملا أنا عقدنا لواءها
اطلى صروح من آل هاشم
وكيف يداني الناس محمد احمد
من الناس ، لكن مع صنائع بره
ملائكة الرحمن أحراسه ومن

نريكم اخا البأساء في البؤس ناعم
يبوأ سرير الملك منهم خضارم
بيغداد حيتها السعود انبواسم
وبالسند مندوب الخلافة حاكم
شئون أبانت للفرجة .. ما هم ؟
فصار لها بعد الخفاء معالم
فقد ساد قدما في الخلائق هاشم
واحمد نودى حيث جبريل واجم
ومن ملكوت الله ، لكن سماهم
مقاتلة الانصار جند مقاوم

في استقبال الورد أَللّٰهِي

أنا أهوى الكمال في كل نفس
وإذا جاشت العواطف في نفسي
فاتح القدس قد تغمسك الله
نك عزم من القضاء وذكر
جئت تستعرض الصفوف احتفاء
يا أجل القواد في الحرب شرف
كان تاريخها القديم جليلاً
ثم دار الزمان دورة نحس
فدرجتنا على الصعيد حفاة
قل من يذكر الخفاف مننا
فاسعدونا فقد شقينا بجهل
وافتحوا فنحن أحوج منكم
واسندوا الحكم للكرام فمننا
وادفعونا إلى الامام فانم
وخذونا برأفة وبيأس
عشت يا لورد البلاد وعاشت
وليديم بيننا التعاون والاخلاص
ثم لو تنطق البلاد لقالت

وأجل الرجال من كل جنس
عمدت إلى دوائي وطوسي
بروح من المهيمن قدسي
مشرق في الزمان اشراق شمس
لا لحرب يدفع أو بترس
فوق عين من البلاد ورأس
مثل مصر ومثل روم وفرس
عكست نجم سعدا شر عكس
بين غير من الجياح وشعن
وكذا الجهل والنصب ينسي
مطبق كالدجى وفقر وبؤس ..
ليد تعمم البلاد ورأس ..
في الهوى والضلال عالم رجس
أقدر للعاملين من غير لبس
يشمر الحكم بين لين وبأس
امة متعت بأفخم كرسي
والود وهو أطيّب غرس
ألف شتان بين يومي وأمسي

في استقبال « لورد ألبي »

أيها القوم لا تجروا الذبولا
 ستموتوا العذاب . ضيقم الأ
 ان أردتم اصلاحنا . قد فعلتم
 أيها الزعيم أودى بنا الفقر
 فتبيع ان نرتضى الذل دهرا
 كل يوم تبدو بثوب جديد
 علمتنا الايام ما قد جهلنا
 تلك عشرون حجة بعد خمس
 فادعيت نشر الحضارة والعر
 ما اكتسبنا الا الشقاء كسانا
 وبع قلبي ماذا يروم ألبي
 جمع الجميع . أهرب القوم حتى
 أتراه يريد ينضم حبالا
 ولماذا ترأه يعلو عليهم
 جل من ملك الدخيل فاجر

يألف الحر أن يعيش ذليلا
 رض علينا حتى هويتنا الرحلا
 فاعذونا اذا ظلمنا الدخيل
 فعطفنا فقد صبرنا طويلا
 ونرى مالنا لكم مبدولا
 من دهاء فحسبكم تبديلا
 فلسنا نطبق عبثا ثقبلا
 قد تقضت وما شفيتم غليلا
 فان والشعب ما يزال جهولا
 سملا باليا وجسما نحلا
 يوم وافى بحر سيفا صقيلا
 أصبح السيد النبيل ذليلا
 بين مصر وبيننا موصولا
 ونراه مدونا ما قبلا ؟
 الذليل واستمطر العذاب الويلا

يوسف مصطفى التني : قال عن

وحدة وادى النيل

فى قصيدة يهز بها صديقتنا دخل الوزارة :-

ومن طلب الموت نال الحياة
وزبرهم اليوم نعم الوزير
فخسرت به لكريم الخصال
ويعجبني فيه حسن الخميل
ترد مضاعفة دون من
وما كان عسرفاته للصنيع
فان هب قوم يعينونها
فليس جزاؤهم أن تتول
فما عتق العبد أن صار
واما تناضى انحى أجره
وقاسنى بعد خوض الوغى
فما كان للرحم ما قدمت
ولو كان مغنما من متاع
ولكن حرية ان تشارك
وهل يشرك المرء فى اهله
أمن عنده فرصة الانطلاق
هبوا أنها ضيعة ضخمة
يشارككم ملكها بالشيوع
انتهون فى تلك أو تأمرون
ستغدون مصالحكم طوعه
فلسنا على أرضنا سادة

وكلل بالنصر والعافيه
فتى الحرب والقطن البادية
واني فخور بآبائيه
فكل يد عنده عاريسه
ودون انتظار يد ثانيه
لينسيه أمته العانيه
لارجاع حرية غاليه
إلى من أعان على الطاغية
عبدا لكف مدلة حانية
على نجدة ضد أعدائيه
غنائمها وهى أسلانية ..
يداه . وما فضل أخوانيه ؟
لحانت به القسمة الراضيه
بها لم تعد أبدا ماهيه
وتؤبى الشراكة فى غانيه
يفضل قيادا بلا داعيه ؟
مساحتها مثل افريقيه ..
شريك بخصته الواهيه
بفسير شريككم الداهيه ؟
وطوع مطامحه النابيه
إذا لم تلك السلطة العالييه

وقولتنا . في اطار الحدود
تري العهد في بيته سيدا
ليس انفرادك بالحق يعنى
وليس الاخفاء كوننا تبعسا
وخارجهما . القولة الماضية
وخارجهم يدفع الساقية
انفصام عرى القرية الدانية
وليس لنا فى الورى ذاتيه

الشرق جنة الله

يا صاحبي مال دنيانا التي بسمت
وجنة الله ، حيا الله جنته
في الفجر من عمر هذا الدهر نسقها
وأنزل الحكمة العليا ترجعها
تدفق النور من شفاء قبتها
وفجر الله فيها كل دافقة
فأشرق (البيت) في بطحاء (مكتها)
وأبلغ الدهر (عيساها) (وأحمدها)
منارة الحق من (فرقانها) سبور
قد أرسلت نحو أهل الغرب ومضتها
رقته بالنور حتى شد واهنه
واليوم اقبل هذا الغرب يكلؤه
سطا على جنة الرحمن ينهبها
فما بها لثرائم الطيور صدى

بالامس ، عاودها شح وتقتير ؟
ما بالها لا تواتيها المقادير ؟
فحدثت عن أباديه البواكير
شعرا على مسمع الدنيا الشحارير
وأينعت في روايتها الأزاهير
بها من الأثم والعدوان تطهير
كما تلالاً في (اقداسها) (الطور)
رسالة الله فانجابت دياجير
ومن فلاسفة الاسلام تفكير
والغرب في جهله المضروب مغمور
أليس يرقى بآي الله مسحور ؟
حظ له في ضمير الغيب مسطور
كما نخط على الزرع العصافير
ولا لحكمتها قبض وتفجير

اني لأسأل هذا الدهر في أم
فلا محيب سوى (صوت) توقعه
خميلة الله لا زالت بها رقيق
لو أصلح الشرق نقصا في زعامته

ما بالها لا تواتيها المقادير ؟
على هشيم روايتها الاعاصير
وما سها الله بل نام النواصير
لعاد للشرق مجد منه مقصور

وطني

وطني شقيت بشيه وشبابه
 قد اسلموك إلى الخراب ضحية
 وطني تنازعه الحزب والهو
 ولقد يعاني من جنا ابنائه
 بالامس كانوا وحدة فتفرقت
 واليوم هم شيع تنافس بعضها
 حتى الذي ثرف الدماء مسخرا
 كم أوهم الدهماء فيه فامتلوا
 ومشت ذرافات الحجيج لبابه
 وطني يعيش به العدو ولا ترى
 واذا اتري ليزود عن سودانه
 ثم يعدم الشر الدخيل جماعة
 وطني أصيب بعشر آواهمو
 لو ظهر السودان من دخلائه
 لطني على السودان من دخلائه

زمن سقاك السم من اكوابه
 واليوم هل طربوا لصوت غرايه ؟
 هذا يكيد له وذاك طغى به
 فوق الذي عاناه من اغرابه
 فسعل المغير بظفره وبنابه
 فرغ برقها لسود أو فبابه
 كالظير حنوا خشعا بركابه
 في العالم الثاني جزيل ثوابه
 فكأتما الييت الحرام ببابه
 من دافع عن حوضه ورحابه
 البارغ المقدم من كتبه
 لترتل الامداد في محرابه
 وأظفهم فمعدوا ليوم خرابه
 لتظهر السودان من أوشابه
 لطني على السودان من أحزابه

ثورة شاعر

ايها المفلق الحكيم الرشيد
عز ما تبغيه فالشعب غاف
أمة للخراب تسعى حيثما
أيفيد النشيد شعبا قنوعا
كم دعا قبلنا الدعاة إلى الحق
صادهم صائده الانانية الحمقاء
انها أمة تضيق بينهما
يعمل القوم في الظلام خفافا
فشلت أمة يقوم بنوها
هام بالجاه والثراء كبير
قنع الشعب بالكفاف ركودا
لاطماع إلى العلا أكيد
أمة خيم الجمود عليها
أمسها قاتم وأقسّم منه
لا قديم من المحامد يوحى

عز ما قد (تريد) أو (لا تريد)
واهن العزم والشعور بليد
وعن المجد والكمال تحيد
وله الجبن والبوار نشيد ؟
وكم انخفق الدعاة وصيدوا
والجثث والنقود ، النقود
ولكم كاد للأبي عبيد
وبنو القطر في الضياء هجود
عبد النفس سعدا وسعيد
وارتضى الذل والهوان وليد
وممات الشعوب هذا الركود
لا نزوع إلى النجاة حميد
وعبداها النهوض والتجديد
يومها والغد الغد المنكود
لا جليل من الفخار جديد

آه يا موطني العزيز عزاء
آه يا موطني عزائك شعري
من دموع اذا الدموع تفيد
ان يكن احسن العزاء قصيد

بين السخط والرضا

سئمت عبادة الارواح	لم تجلب سوى الضر
وعدت أهيم بالاشباح	فى علقى وفى سرى
أليس (المثل الاعلى)	محالا واضح العبر؟
اذا فاتهموا عقلى	اذا همت به عمري
كما اتهم الذى يغى	منال الكوكب اندرى

سئمت عبادة الاشباح	لم تجلب سوى الضر
وعدت أهيم بالأرواح	فى علقى وفى سرى
أليس (المثل الاعلى)	منى نفس التنى الحمر
كفاني طيفه الذهبى	فى أحلامنا يسرى
كفاني الظمأ الروحى	أحسوه على الأثر

الهى عقوقك السابغ	كساد يضلنى فكرى
ألت (المثل الاعلى)	وهذا السخط كالكنز

يا صاحب القرآن نظرة مشفق
عطفنا على الاسلام ان شعوبه
عاشت به أيدي الطغاة فبدلت
ما أضعف الاسلام فيما بيننا
حمل الزمان عليه حملة قادر
لو لم يكن ديننا قويا لانمحت
لكنه باق على حالاته
بالفضل قد شهدت له أعداؤه
دين النبي محمد دين الهدى
يا أمة هضم الزمان حقوقها
لعبت بك الأيام لعب مقامر
ما نلت من أحداث دهرك راحة
حفظ الممالك والشعوب تقدم
فبأي حكم قد هويت ولم تزل
وبأي ذنب قد قتلت ولم يسزل
ومن العجائب ان تموت بلادنا
يا قوم قد لعبت لكم أهواؤكم
نتم وما نام الزمان وان ما
بخارت عزائمكم فمات شعوركم

والله يفعل ما يرى ويشاء

هل أوهن الاسلام الا أهله
خانوا عهد الله لما استهجنوا
عقدوا على هدم الشريعة وحيهم

ما أيدوه لانهم جبناء
سنن النبي فبدلوا ما شاءوا
قد افسدوا ما أصلح الآباء

ما للمساجد لا تؤم حزينه
 وديار فسق فتحت أبوابها
 الله اكبر كم سمعت ابناؤنا
 يا معشر الاسلام عفوا لم تكن
 أهل الشريعة ما الذى نرجوه قد
 هذى شريعتكم تن لضعفها
 الدين دين الله . هذا قولكم
 يا رحمة الله العلى تنزلى
 يا صاحب الشرف الرفيع ومن له
 ماذا أقول وفيك كل فضيلة
 نور بدا للعالمين به الهدى
 يا معجز الحكماء والبلغاء
 بالحق قلت وأنت اصدق قائل
 نطق بك التوراة وهي قديمة
 وبك الحواريون قديما بشروا
 بلغت ما أوحى اليك وما انثنت
 ما خفت جبارا وكنت مؤيدا
 أعلنت دين الحق بالترغيب
 صلى عليك الله ما ليل دجا

تبكى عليها السنة السحاء
 علنا ويات يؤمها الانباء
 نحو النساء وكلنا شهداء
 ترضى بهذا همه شماء
 عظم المصاب. بكم يطول رجاء
 وجميعكم بدواها خسراء
 لكن نسيت انكم نصراء
 فالمسلمون جميعهم ضعفاء
 انتسب العلا والعزة القعاء
 هجت بها الكتاب والشعراء
 فتفتنت فى وصفه البلغاء
 والفصحاء عفوا هكذا العلياء
 استشهدت بحديثك الحكماء
 واستبشرت بظهورك القدماء
 وتواترت بمجئك الانباء
 عن الهدى اذ كذب السفهاء
 حتى علوت بالحضارة باءوا
 والترهب فانقادت لك الآراء
 او ما بدا فجر ولاح ضياء

يا من رأى طلوق الهلال وقد بدا
أكرم بطلعته وبهجة نوره
شبهته لما بدا متجسليا
وغدت تحف به النجوم كأنها
يمشي على هام القرون مجددا
أنت الذي تهب الخيل للشاعر
ولأنت احسدى بينات الهنا
أدر كست اسرار الوجود فحزتها
هل انت مخبرنا عن القوم الى
القوا إلى الروح ، ها انا نافث
كانوا اولى تناجي رفقتي
هم انهجوا سنن التفضيلة واضحا
أخذوا بأعناق المكارم أخذا
يرفعون عن الدنية او يرى
لا يرتضون الضيم شرعة مورد
شادوا لكم رفيعا سماكه
ذهبوا وقد أدوا الامانة حقها
انا غبرنا بعدهم في هجعة
يا عام انا آملوك لخبرنا

يهسدى لنا عاما اغر مشهرا
اذ بشرتنا ان سنحمد فحسبرا
في افقه ملكا نبوا منبرا
حفل لتسمع في الخطابة اسطرا
عصر الشبية لا يمتل من السرى
حتى يرى فوق المجرة طائرا
من ذا يرالك ولا يسبح من برا
ورابت من آياته ما لا نرى
فلعلنا ان نستفيد تذكرنا ؟
بعض الحديث فهامس ذكر الورى
قد ادركوا ما أملوا بل اكثرا
هم اخرجوا علما غدا متفجرا
وتربعوا من عزهم فوق الذرى
سيل الندماء على الاباطح انبرا
شأن الابى ، ولا للوان معشرا
وبنوا لكم مجدا اثيلا اكبرا
ونما اليكم ذكرهم متعلبرا
شتان ما بين الثريا والثرى
املا ينيل الحظ فيك موقرا

ندعى من سلاف الحمر هات
أترضى أن أضام وانت حر
فحدث عن بنى النيلين قوما
بأننا نسمى حسبا ومجدا
يعز عليهم نحيا ولسنا
وان لا يبصروا فى النيل قرنا
يحود بنفسه للموت حسا
فليس الجود بذل درهمات
بل الجود الممات على بلاد
سلام الله يا عهد المواضى
وعهدا فيه جبريل نبي
ويدلى حجة من بعد أخرى
يقول لهم اتينكم رحيم
هلموا آمنوا بالله حقا
فلاقى منهم كيدا وظلما
ولما أن رأوا منه اضطراب
بكل مدجج فى زى ليث
صليب الرأى قاسى القلب
قتال دائم غزو وسبى
وقد عبدوا الحجارة وهو كفر
وساقوا للقتال الجيش لحيا
وكل مقسم منهم يمين
فلاقى جيشهم جيش كريم

وشفتى بذكرى الماضيات
وتسمح ان تلين لحم قناني ؟
بأدنى النيل او أعلى القنات
إلى ما بالجزيرة من رفات
مثالا للشجاعة واثبات
ولا بطلا بعد من الكماة
بنيل الباقيات الصالحات
لمسكين على قيد الحياة
ليحيا أهلها بعد الممات
وايام الضحايا المرفعات
يخفى محمدا بالبينات
تزول لها جميع الراسيات
لاجمع شملكم بعد الشتات
تعالوا للسلامة والنجاة
وعبدوا . فأف للطفاة
رموه بكل جبار وعات
صؤول مغرورم السيئات
عنيد لا يعمل من الأذات
وأزلام وواد للبنات
وقد سجدوا إلى عزى ولات
يزمجر كالبهار الزافات
برأس محمد للقسوم آتى
به الروح الأمين من العزات

ومن يك جنده جبريل منهم
وما زال النسي بكل فج
وينهى القوم عن وثن وثأر
إلى أن آمن الكفار منهم
وأصبح كل جبار عنيد
رفيقا لنا شهما حلما
فدين محمد دين الأتلاف
هو الدين قد عم نفعنا
كفى فخرا به اتلفت قلوب
فأصبح من بمصر اخا كريما
لقد حسنت به الدنيا وزانت
فهلل يا زمان به وكبر
وأبلغ أمة بالشرق كانت
وكانت للعلا فيه منارا
بان يتمسكوا بالدين حتما
وأن لا يأسسوا ما دام فيهم
فمولد أحمد في كل عام

بلا سيف يفسوز ولا قنساء
يبث الدين يدعو للصلوات
ويبهرهم بتلك المعجزات
مسلمات القبائل واسلمت
أخا رفيق وكان من التساة
كريم النفس من خير الهداة
دين مروءة والمكرمات
وقام على الثورة والانهاة
وكانت قبلة متفرقات
لمن بالشام أو من بالفترات
كما ازدان السماء بالنيرات
وحدث وأفتخر بالباقيات
تظلل الشرق من كيد العداة
محطا للعلوم وللغات
وأن لا يعبأوا بالترهات
دم يسرى من الشم الأبية
يحدد للعهد المافيات

عيد اغمر محجّل
والناس في شكر الاله
ارض بها البيت
وبها ثوى خير الانا
فالروض يسسم عن اقا
وملائك الرحمن تصعد
يا خير من عند الشدا
اشمل بلطفك جمعنا
وافض على نادى المدارس
واجهد بفضلك الله
(شوقى) أجادت فليت
أنتغزل ؟ أفديك من
ما الناي يضرب والمغنى
بألف من سجع سجعت
قل لى أهذا ما ابتكر
أم ما يبيح البحر
ان كان ظييك يستبح
أو كان يسبى العاشقين
أو كان يحرم بلطفه
فاعلم - بأن ييانك
ماروت يلم لحظه
لا انتضيت سلاحة

والخير فيه أجزل
ارض الحجاز تهرول
العتيق الزاهر المتهلل
م افاشمى المرسل
ح والربى تنهمل
بالدعاء وتنزل
تد والنواب يسأل
يا رب فى من تشمل
صالحات تهطل
فى نعمة لا ترحل
شعري ما تقول وتفعل
مترنم يتغزل
فوق ذاك ير تمل
مرردا يا بلبل
ت أم الرحيق السلسل
ى لك السجود وجرول
حمى العقول ويحبل
أغن أغيد أكحل
رثا متسدل
السحر الخلال وافعل
متواضعا ويقبل
فالكل بعدك اعزل

حى عيد الجهاد

حى عيد الجهاد توف الجهادا
واستعد فرحة البلاد غداة
واستب خيبة الدخيل غداة
يوم ثبنا وكان رائدنا السو
كسر القيد يومها فمشى الركب
صرخة الحق لن يقاومها البا
وقد سمعنا دويها هو فى الغر
ورأينا مضاءها بات فى الشرق
وحدة الناج والدفاع سلاح

هو عيد يخلد الاعيادا
التأم شمل البلاد والوفد قادا
الشعب قد قرر الجلاء فنادى
دان لا نبتغى سواه مرادا
قويا ولم يسزل يتهسادى
طل بأسا وعدة وعنادا
ب نذير لمن طغى أو كسادا
جهادا ولم يك استتجادا
يفرق الانجليز منه سدادا

قل لمن يرفض السيادة اغرا
ان معنى سيادة السلاح أنا

ضا لكى يلبس البياض السوادا
سوف نحيا اخوة أنسادا

أيها الوفد لا علمناك من وفد
لم تكن مغرضا يساومك الخصم
ليس للصبر والأناة مكان
أنت سيف الجهاد والشعب عماد
أنت وفد البلاد للملك الصالح
ناد واهتف به مليكا مفسدا
فتم وأصل جهاد شعبك وأحمل

يهادى مجاهدا فأجهادا
ولا كنت واهيا منقادا
عظما السيف فارق الاغمارا
لك بل كان غاربا ونجادا
بلغمة حبنا المزدادا
دام للناسل كعبسة وعمادا
لرجالات مصر منه الزادا

قل لهم اننى امثل شعبا
قد ربطنا كفاحنا نبتغى

لم يخن عهدكم ولا عند حادا
التحرير تحتك سادة امجادا

فوجدناكم اهلا وصحبا
ايها انصار يون تيهها على بيداء
قلتم الانجليز قد وعدونا
وانخذتم من التحرير فراشا
حبذا ذا العذاب لا بد يحلو
ولقينا محبة وودادا
اغراضهم هوى وعنادا
وركبتم رؤسكم آحادا
وافترشنا من الاديم مهادا
عندما تصبح البلاد بلادا

لا نريد العدا معكم ومعهم
اين منى ضميركم فانا جيه
قد رسمنا طريقنا ومضينا
نسيرونا بما رسمتم لنستجلى
حكموا الشرق اينا وهب الله
وسلوا الانجليز اى البلاد
اى قطر سلوهم خرجوا منه
انما لا نريد الاستعباد
فقد يفسد الزناد الزنادا
وبلغنا من المراد مرادا
طريقا سلكتموه فرادى
سيلا ومنطلقا ورشادا
واعدوها فانجزوا الميعادا
وبقوا اسياد اسيادا

فهم تنساب كوثرنا ويخينا
ايها النيل لا قف ولا تجر فى
والى ان يعود واديك حرا
خدع الظالمون شعبك حتى
بيننا عاث ذا الدخيل فيها
فرق الشمل واستغل من الاهواء
سم هذا الخلاف ان شئت اشرا
وعلى من تيهه او تهفادى
الوادى الى ان تحطم الاصفا
يتغنى فيحن الانشادا
جندوا منه من يخون انصادا
كما عاث فى البلاد فسادا
ما شاء بأسه استبدادا
كما وان شئت سمه الخسادا

وحدوا الشعب ان اردتم جهادا
وانما الخلف والعدو مقم
وانزعوا من صدره الاحقادا
حجة للعدو كى يتعادا

حسن طه : قال في وداع قائد الثورات المصرية بالسودان :

اين دار العزيز

اين دار العزيز للحداج السا
كم اناجى بها الحياة كما ناجى
جنة النيل قد حبها الله
رى اناخت له المصائب ركبا
حبيب فى وهدة النيل حبا
من فيضه حداث قلبا

اجر بي يا قطار واطو الثيا في
ذوب شوقا إلى الشمال من الوا
وحدا بي إلى الكنانة ما يحدو
أين منى منابع كن للسودان
ادب رائع وفن طليق
وطامح إلى العلا ونهوض
وكنفاح موحد وجهاد
أوفطر بي وأهب الأرض نهبها
دى فسن لي بهم أهيا وصحبا
بمن هام فى الكنانة حبا
وردا يعب منهن عبا
وسع العلم والمعارف رحبا
عالج الشرق من أساة وطبا
أيقظ الشرق السبات فهبها

ان قيثاري اذا ذكر الوادى
لم أخاطب بها الذوات بمصرا
واناجى بها (البشارى) فكم ذاد
رجل كان فى المواقف كالنولاذ
كان كالطود شامحا وكاسد
كان والله للدخيل قذا العين
لأقول الوداع مادمتم قد خلقت
لا أقول الوداع ما دام فينا
تغنى فتبعث اللحن عذبا
لا ولكنى أخاطب شعبا
غيورا وعن حصى النيل ذبا
صلبا وكالمهند غربا
الغاب ثبنا وكالمقادير ضربا
ولاهل والعشيرة هدبا
(م) (جاد) وجاد مثلك قلبا
قائدا كالبشارى عملا ولبا

حتى مصر وهنها برجال قد
انت يا مصر كعبة الشرق مذكا
اشرق النور من رباك علينا
ثم اضفى على المشارق فاهترت
قد دعوا الشرق للجهاد فلسبي
ن وما زلت للمشارق قطبا
فمشينا اليك نخال عجبنا
وقامت تناهض الغرب حربا

أيها الغرب هل علمت بأن
إن يك الشرق قبل ذلك يحبو
واعلموا أنه أفاق فألفناكم

الشرق ما عاد في حذائك كعبا
فاعلموا أنه عن الطرق شبا
وحوشنا تعيش أيها وغصبا

من رسول إلى الطغاة فكم ذا
أفسدوا جادة الطريق ولو لا
ها هم الغاضبون قد تركوا النيل
غرسوا بذرة الشقاق بواديه
قل ثم حباب سعيكم فذرونا

ضاق صدري بهم وقد كان رحبا
هم قطعنا الطريق جريا ووثبا
جديبا ولم يك النيل جدبا
ليجنسو من الدسائس أبا
نحن بعد الجلاء أهل وقرني

وقد خبرنا طريقكم فغويننا
وصحبناكم طويلا فما نلنا
قد نزلتم على البلاد شقاءا
أى عقل يحجز للذئب دعوا
سائلوا وفادنا الأمين يجبكم
كل صوت عداه كان نشازا
وقف الشعب خلفه وقفة الآ
إن يك الموت دون مطلبه الاسمى
فتية اوقفوا دماءهم لله

ووجدناه كائنية صعبا
سوى الفقر والجهالة صعبا
وحللم بها عناءا وكربا
على من فرى فأرداه قضبا
عن أماني البلاد عجماء وعربا
لم يمثل سوى الخوارج حزبا
ساد يستجمع القوي لبذبا
(م) ير العيش دون ذلك عيبا
فدرا ووحدته النيل قربي

إن سوداننا هو العين للنيل «م»
غضب النيل في منابعه العليا
وحد النيل بيننا فسقاها
هو جل الوريد بينا متى نبره
هو سر الحياة مجده التاريخ

وكانت له الكنانة قلبا
فثارت له الكنانة غضبي
ومسقانا من المحبة نجبا
نقضى الغداة والله نجبا
حتى غدا إليها وربنا

وحدة النيل مبدأ كان للسو
ليس في منطق السياسة إلاها

دان جدى وكان أطيّب عفى
طريق يرى وصوت يلبي

سفر الجهاد

في تسابرين على عبد اللطيف

لأن يبكي غيري على فقدته بكيت على العيش من بعده
لقد كافح الظلم في عهده وقد كاد يرديه في مهده
(على) وحسبك من ضيغم تعيش الذئاب على صيده
ومن صال صولته في الزمان يعيش الزمان على مجده

فما الموت ان تذهب الروح عنا وان يغير المرء في لحده
ولكنه أن تعيش طليقا ونيلك يرسف في قيده

لقد سطر الخلد نارا تلظى فأورى له الخلد من زنده
وتخاض إلى المجد بحر السماء فشق الطريق على بعده
وزلزل ركن الطغاة بعزم تجول المنية في حسده
وقارع تحت (الواء) الحصوم فلم تلق بأسا إلى صده
ونادى بوحدة نسل البلاد مناداة شيخ إلى ولده
وقال الجلاء فكان الفساداء جوابا تلقاه من (سده)

ألا ليتني كنت في قيده وباليتمى كنت من جنسده
ويا ليتني بين من شردوا ليشفع إلى النيل في سده
وليت الردى اذ طواهم فرادى طواني جذلان فر برده
(على) وصحب (على) تساموا فأواهم الله في خلده

تمنيت لا راغبسا في حياتي ولكنتى غرت من زهده
على ، وهل مثله من شجاع طيب المدافع لم يجده
وهل كان من قبله فارس وهل جاء مغوار من بعده

يضحي فكان من مثلك البطولة
ولم يرتعد لوعيد الدخيل
لذلك فليعمل العالمون

فيا شعب دونك سفر الجهاد
ويا شعب ان مات ذلك الزعيم
سينصرك (الازهرى) الرئيس
ويدفع عنك اقتراء الدخيل
فيا شعب كن خلفه صامدا
ويا شعب دونك حتى سلب
بعيد ولكن اذا لم تكافح

لقد اوشك النيل يجرى جمعا
تماسكه غاصب مستبد
وسخر من بين ابنائه
واطببه بسياط الضرائب
فتى مصر أعوانه ساخرين
وهاهم هنا يدرأون الدخيل

لقد اوشك النيل يجرى دماء
فيا شعب دونك عيش مرير
ودونك يا شعب هذا العدو
ويا شعب دون العدو الرصاص
ودونك ان تستكين والا

فيزداد وجدا على وجده
لقد وضع الشوك فى ورده
وناهيك منه ومن كيد
وكان الدليل على حقده
فاحشد قواك الى طرده

الاسلام

شعلة بددت دياجى الأباطيل
هبطت فى الربيع مكة روحا
غمرت كل بقعة من فجاج
واشاحت عن الفناء فأحنت
واشارت لنا على المثل
واماطت عن الجنان حجايا
وأناحت لجامح الفكر ان
فأنجلي الحق للبصائر والنجابت
تلكم الشعلة الخفيفة ظلت
مهدت للورى بكل طريف
سايرت (عاد) حقبة (فثمودا)
انزلت من سمائها لمسم الآيات
فاذا ما اعدت الفكر لاستيعا
صاغها الله فى الكتاب وقل

من يغص فى الخضم يستخرج الدر
كل ما ادهش الخلائق من فن
تحت اشعاعه ستخلق اكوان
وعلى ضوئه سنخطو ونخطو
وعلى آيه سيلتم الشمل
واذن يأمن الضعيف على علا
واذن تسعد الخلائق جمعا
تحت ملك من الضمائر محروس

يتيماً من القرار البعيد
وطب ففى الكتاب المجيد
من العلم ما لها من حدود
اثرنا الغرب فى الرقاب الرشيد
ويغسزو السلام كل صعيد
ته شر سائد ومسود
تحت ظل من الرضى الممدود
بعزم من الالباء اكيد

تلكم الشعلة الخفيفة لايزهو
بعثت للكمال وللعلم والنور
بعثت تصرع الرذيلة في كل
وإذا سادت الفضيلة فالتناس

سناها بغير خلق حميد
وتعدل وانتهوض المشيد
صعيد بكل بأس شديد
تغنى بكل ما في الخلود

ذلكم دينكم فهبوا سراعاً
واستمدوا قواكم منه بالتو
يا له مبدأ يوحده هذا
مبدأ خالد وروح قـوى

وابسوا منه زاهيات البرود
حيد في كل ركعة وسجود
الكون رغم السلاح والتجيد
يا نعمنا السلاح لتشييد

وأساس النهوض في الشرق روح
ها هو الشرق معقل الدين والسودان
سنجبه في غد برجسان
وسنخطبو به إلى ذروة العلياء

معنوى يزرى ببأس الخديـد
في الشرق كان عاطل جـيد
وعتاد وعدة وعديد
أو سفع مجده المنشـود

حسبنا ذلك الركود الألهوا
وقيامنا إلى الفلاح نحرر
هذي يمناي في يمنك يا هذا
لا نبأى تفاقم الخطـب يوما
حقق (المهرجان) أمنية همـو
لا تقل لي (عكاظ) قد بزها في
قد علا صوته بنهضتنا الفكرية
وزها نوره بحرية الفكر
سأغني اذن باغنية النيل
مزهرى حكمة الخيفة في التنادي
فاسمعوني مع الزمان اغني
واسمعوني مع الحداثة اغني

سراعاً ، فلات حين ركود
شعبنا من سلاسل وقود
وما كنت حائسا بعهدى
ان يحل دوننا وبذل الجهود
فما عذر الاديب القعيد
العلم والفن وابتكار الحدايد
اليوم ، بانعصر الرشيد
وحسم النزاع والتأييد
لدى المهرجان في كل عيد
وانوحدة الجليئة عودى
يالباي البشير بالانصر عودى
يا سماء الفخار بالعر جودى

سافرنسكو

هلى دموى حيرى فى محاجرها
سيان منهزم عندى ومتصر ..
كلاهما لم يضع حدا لغايته
كلاهما خان بالامس العهود ولم
هذا جزاء وفاق للذى كسبت
قد انكرت ما اعانى اى انكار
هذا طريق وهذا جائع عارى
ولم يراع حقوق الجار للجار
يرع الموائيق . لكن تحت اشرار
يد السياسة آثارا بأشـار

ليت الألى وقعوا (فرساي) رائدهم
لا فرق بين قوى صال مغتصبا
نسوا العدالة حتى هاج هائجها
ظنوا السياسة صنوا للعدالة فى
وللمساسة نحن مطرب أبدا
فأشعلتها ضرورا ملؤها حمم
رد الحقوق وليس الاخذ بالشار
حق الضعيف وبين الكاسر الضارى
وللعادلة جيش جند جرار
نيل السلام وحسم الظلم والعار
كالغانيات وقلب جند غدار
شعواء تقذف طيارا بطيار

قد هالنى شرر كالتقصر تقذفه
تساقط النجم شهابا كلها رصاد
يا غارة الله نار الحشر الطنف في
كم من دماء اريقى وهى آمنة
وكم صريع قضى نحبها بلا جدث
هذا يتيم وهذا تاكل جزع
طير أبابيل مخلوق من النار
فاندكت الأرض لم تحفل بديار
تراعة للشوى ، لكن بمقدار
فى غارة فاجأتنا دون انذار
وجثة تحت انقاض من الدار
وتلك تبكى بتانى الدمع مدرار

حتى اذا شاخ وجه الارض كالحة
انقضى السلاح هزيل ما به رمى
وعاد يشدو بتوقيع السلام على
لم يبق للناس فيها غير آثار
من الحياة سوى تاج من غار
عود السياسة . هذا محض تكرار

يا عصبة الأمم الكبرى التي طلعت
ردت بضاعتكم ان كان خالطها

في سافرنسك نجما يرشد السارى
من الأراجيف ما قد يغيب الشارى

هل جنتم بجديد في حقائبكم
وهل شحذتم ضميرا قد يوفى من
وهل علمتم بأن الحرب قائمة
وهل سمعتم بأن الناس غايتهم
لا تجلسوا، وقفوا في البهو خاشعة
واستلهموا الله في عراب قاعتكم
ثم استجيبوا إلى صوت الضمير ولا
ولتعجموا كل شعب شد ساعده

وهل حظيتم بدرس من (سمنار) ؟
شحذ الحديد ورد النار بالنار
مالم يلك العدل فيكم زنده وار
اوطانهم ليعيشوا عيش أحرار ،
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
بقلب مسترحم لا قلب جزار
يلهيكم كيد انصار لأنصار
كى تنقذوه من المستعمر الزارى

فرب حاسمة للشر تغفل فى
ورب بادرة للخير قد غرست
قضية العالم المنهوك فاشلة
اليوم فى اسرها كالكليث رايضة
لانت ملامها فاقضوا لباها
وروضوها لتحيا حرة أبدا

هذا الندى فلا يأتى بأعمار
أنبت نباتا واضحت ذات تسوار
ما شاب ساحتها اغراض جبار
خلف المطامع لامن خلف اسوار
فانها ذات أنياب وأظفار
فالكليث، مهما انزوى فى أسره ضار

يا عصبة الأمم الكبرى هنا غرد
يهيم بالمثل العليا التي هرعت
انى مهبط فما اقوى على سفر
ان تغفل سبرغورى غير حافلة
هل تسمعين إلى جواى انشدها
هى الأمانى غدت سرا يضيق بها
هى الحقوق التي غنى الزمان بها
هى الجلاء وفك القيد عن وطن

بطارح النيل اشعارا باشعار
من أجلها الناس لو يحظى بمقدار
اليك قد حال قيدي دون اسفارى
فرجما تسبر الأيام اغوارى
ام تطربين إلى ألحان اوتارى
صدرى ولولاك ما افشيت اسرارى
من عهد آدم عهد الكهف والغار
قد ناصر الحلف لم يبخل بتغوار

حرية ما احيلها غدت وطرا من دونه الخطى جل أوطاري
حرية هي نجوى كل مؤتمر نيلية الأصل سودانية الدار

يا أمة النيل تقرير المصير لنا حق نصرفه تصرف مختار
خل التناوش واستعدى الجهود على تنفيذه فهو مخوف بأخطار
في البيت في المنتدى في كل قفا عدة وفي الاقاليم - أرياف وامصار
قد شمر الجلد عن ساقية فأتمرى هذى الحياة عداها الموت فاختارى
طوبى لمن ثقلت أوزانه سلفنا وكان بالامس جادا غير مهذار
فأن مؤتمر السودان واعدا بالبرلمان ولكن وعده أبرار

هلال الشرق

قيلت في عيد الهجرة عام ١٣٦٧

شاهد المصطفى وصاحبه قدما
وانبرى يرقب الجهاد عيانا
وتهادى مع الخلائق اعجابا
الضلال القديم شيعه لما «م»
كان يستعرض المعارك بين الحق
كم رأى فارما يجند له السيف
كم رأى مسلما يبايع فى الله
ورأى قاذبا يسوم النفس
ساير الدعوة الخفيفة حتى
كما قد رأى بعينه (قبصر)
منذ ان هاجر النبى وكبر
فكم سجل الفخار و سطر
دعوا الناس للهداية منذر
والباطل السحق وينظر
دفاعا عن الهدى يستبشر
بامواله فلا يستكبر
زهدا لربها او ينذر
ادرك المشركون الله اكبر

ديننا السمح واضح كل من سار
قد ألفنا القشور منه وآثرنا
لو سلكنا طريقة ما ذوينا
على هديه فلن يتعثر
على هدايه للمظهر
وخضعنا لسطوة المستعمر

من محياك يا هلال يطل الدهر
قد عر كنا للسلام فقام الدهر
وبلونا في الجهاد فقال الحق
فشهرنا سبونا فدحض الباطل
طفلا وانما هو اكبر
لا سلم فى الحياة فشمر
للسيف طالما هو مشهر
أنى نراه فى الارض يظهر

اجر يا نبيل إن شائك اليوم
ان واديك جنة تهادى
غير ان الدخيل يسلبها الخير
حقير وانما هو أبسر
فى رباها كما تهادى الكوثر
ليغنى بخيرها « ما تشتر »

دونك الوفد سله عن أمل
خلفه الشعب رابض يرقب المو
لم يكن للدخيل من بين عون
السودان او رغبة البلاد يعبر
قف بالموت في غد يستهر
سوى ثلة بها قد غرر

خدمت للدخيل اغراضه لما
والدخيل الدخيل ما زال يبدى
تدعى حجرة وفي القلب منها
فئة ضلت الطريق فما فيها
ارادت على البلاد تسيطر
ناجذيه وما يزال يكشف
مثلما بين (عزة) و (كثير)
لنا غير مغرض ومسخر

زعم المغرضون أنا انقسمنا
أخذوا بالقشور في حومة الجدد
قل لهم لا انقسام ما دامت الاحزاب
ان اهدافنا تجمل عن الاغراض
وأخذنا مبع الغواية ندبر
ولم يفطنوا لما في الجواهر
طراً بوحدة النيل تزار
فالويل للذي يتنكر

من وحى الهجرة

حسبى من التاريخ ان اذكروا
حسبنا على رأس الزمان كأنها
المجد شيد لنا بها والعز قد
حتى فشي فينا التنافر

حسبنا تمر بنا كاحلام الكرى
تاج الفخار معززا وموقرا
أورى لنا أفياءه فتبلورا
والقلى فاندك على مجدنا وتدهورا

يا عالم والدنيا تنوء بأهلها
حربا يظن المشعلون ان

حربا ضرورسا لا تقوم منكرا
اوطان الورى سلع تباع وتشترى

يا عام ذكرنا بهجرة احمد
ذكر فديتك بالجهاد فلم تكن
حتى الصجاجة يوم ساموا انفسا
قد جاهلوا والدين يعمر قلبهم
صالحوا ليحيوا شرعة قدسية
« الله اكبر » دعوة هتفوا بها
دانت لبأسهم الملوك فغالبا
الحق غابتهم فما من باطل
ان سالموا كانوا ملاتك رحمة
يا عيد هجرة احمد احييتنا

فاملنا منها تصوغ الجوهرا
كجهاد وقفا على طلب القرى
احيوا بها الدين الحنيف النيرا
فالله عززهم بجنود
الله أنزلها على خير السورى
كم ذا اذلت من طغى وتكبرا
كسرى وما تركوا هنالك قيصر
الا محوه وعن حماهم ادبرا
او خاصموا كانوا كآساد الشرى
بترائك الباقي فكنت مبشرا

ما زال عرق العرب فينا نابضا
من مبلغ اسلافنا وهم الألى
عبث الزمان اذا أراد بأهلنا
حتى نرسف فى القيود وحولنا

حيا يعز على انتهى ان يصبرا
قهروا الزمان بأننا لن نقهرا
سواء وأبدى فاجديه وكشرا
ضيم عليه الحر لن يتصبرا

يا قوم والاقوام كانت خلفنا
دين الحنيفة سيفنا نبتغي
وهذا الكتاب دليلنا لا نبتغي
قد لاذ مؤتمر البلاد بنوره
يخطو بشعب قد صحا متوثبا
بالدين بالوطن الحبيب وبالعلا
قامت حداة للشعب تحت لوائه
فتشجر الوادي عيوننا ثرة
وانساب وادي النيل كترا خالدا
يا نيل بارك جنة المأوى لنا
يا نيل واهتف بالحياة وقل لهم
سدنا فسدنا الفضيلة والنهي

نقتادها فالام نمشي القهقري
من دونه سيفنا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها منصرا
يخطو بأمتنا إلى اعلى الذرا
ومحرما دمه الذي قد اهدرا
بالعلم والعرفان ضاح مشمرا
صفا إلى ان تجلي المستعمرا
الخير يفعم تبعها المتفجرا
يجري لجينا او نميرا احمر
نرتادها ما انت الا كوثر
اليوم حق لشاعري ان يفخرا
ونسدى محاولنا العدى ان نغبرا

يوم التعليم

العيد اقبل من ذا لا يحية
هيا اذن واهتفوا بالعلم مفخرة
المبشر يعلو وجوه الخيرين به
والعلم نادى فمن ذا لا يلبسه
فليحي عيد النهى طابت لياليه
حتى كأنهم البسمات فى فيه

يا عبيد ذكر بنى السودان كان لنا
مذ هاجر المصطفى شيدت قوادمه
وكرر صاحب رسول الله سيفهم
لم يثبهم عرض الدنيا وزخرفها عن
قد وحدوا الله فاشتدت سواعدهم
تلكم عظام لو أن الشرق قدرها
ما أصبح الشرق منبتا سيادته
ماض مجيد هبطنا من أعاليه
على النهى وعلى التقوى خوافيه
إيمانهم أن فى الإيمان ما فيه
الجهاد وعن شتى عواديه
وظهروا الكون فأنجابت دياجيه
ما أصبح الشرق فى ايدى اغاديه
مغصوبة وهو ما يتفك فى تيه

طف بالعراق تجد خلفا وتفرقه
وبالشام ووادى النيل اجمعه
اذن أصبحوا فهنا الداء مصدره
الانجليز هم قوم لبانتهم
قالوا رفاهية السودان غايتنا
لونيبت الصيحة الكبرى لكان لنا
فيم الخلاف ودون النيل أمنية
هى الإجلاء عن الوادى وثم لنا
حرية النيل ما ان قد هتفت بها
وفى فلسطين ارهايا تعانیه
سل من تلاقیه عما ذا يلاقیه؟
كان للدخيل ويبقى ما نبغیه
ان يسحقوا الشرق او ينجى نواصیه
حسب البلاد عناء ما تعانیه
شأن وكان لنا مما نرجیه
كبرى كفلت هانت مساعیه
مع دولة النيل أمر قد نسویه
تراقصت شجنا منها او اذیه

أحبتي كلما ارجوه من سند
تأييد وفد أمانينا امانيه

قد عاهد الشعب يوم الشعب عاهده لا يثنى أو يكون الحق ثانيه
فإن تمسّدق غير الوفاء مدغيا إنا نواليه ، لنا من مواليه
عزم عقدنا لا تنفك نعبده نقديه بالمال والأرواح نقديه

يا عيد أدعوك باسم العلم مبتهلا دعاء مؤتمر تهفو أمانيه
الله اكبر هذا القطر كعبتنا الجهل يقتله والعلم يحييه
فكيف نرضى موث الجهل في وطن الشعب يكلؤه والنيل يرويه
حاشا لعمرك دين الحق مرشدنا فما الجهالة الا من نواهييه
ان جرد الجهل جيشا فاستعن ابدا بالعلم فهو الذي بالمال يرديه

اليوم قد وثب السودان متحدا تحمده المثل العليا وتهديه
اليوم عيد النهى والبر فالتمسوا من فيضه حلة حسناء ترضيه
غدا سيكتبه تاريخ امتنا صفرا اياديكم البيضاء تمليه

هاتوا من المال للتعليم ما كسبت يد الكريم بلا من وتمويه
بروا بلادا بها شدت تماثلكم فالبر عاجله اجدى لمعطيه

كفاح الشعب

نعيمك منهوب وشعبك جائع
صبرت على الاملاق خمسين حجه
فحتى متى يا نيل تنساب آملا
وحسنى متى تشكو من الظلم ساسة
وما كان للباغي ضمير ولم يكن
اليس عجيبا ان ترى الظلم شافعا
قضية وادى النيل اكبر شاهد
فما مجلس الامن المهيق بنافع
وكيف يكون العدل فى الأرض سائدا
أجل ليس فى الدنيا عدالة منصف
وليس لمن يستملك الضعيف قلبه
ولو كان انصاف الضعيف مؤملا
صبرنا على الحكم الثنائى وكله
لئن يشك من ظلم الحكومة عامل
وان ضيق من دفع الضريبة تاجر
ولو يتصدى للحكومة ناقد
لنا طابع يدمى القلوب كآبة
فلا صرخات البائسين تهزها
اذا كان كل الشعب يقضى من الطوى

ودمعك مسكوب وحقت بضائع
فلا الرزق ميسور ولا الصبر نافع
وقد يشت ترجى المناسبع
وليس لدى قلب السياسى وازع
له غير ضرب الهام بالسيف رادع
وليس لنا رغم العدالة شافع ؟
بأن مجال الظلم لا العدل واسع
ولا الدول الكبرى لديها مسامع
اذا وصمت سوح القضاء المطامع
اذا لم يكن دون العدالة
حياة وان ظلم الحياة
لما احتكمت بين الانام المدافع
مأس حواشيها الحنا والفظائع
فقد ضاق بالوزق المقتر صانع
فقد أن من دفع الحراج المزارع
فليس له عند الحكومة سامع
وليس لها غير القساوة طابع
لتعطف او تجدى لديها المدامع
لماذا يطالب بالضريبة دافع

مأس حواشيها الحنا والفظائع
نداهنه طورا وطورا نصانع
نحاربه طورا وطورا نقاطع

صبرنا على الحكم الثنائى وكله
صبرنا فكان الصبر منا جريرة
وكان جديرا ان نعاديته منذأتى

ولو كان هذا دأبنا لوجدتسنا
ولكن للمستعمرين وحكمهم
أساليب فالتاريخ يفضح مكرها
إذا كان تقرير المصير منزها
على الضعف صفا واحدا لا يقارع
أساليب أغوت بعضنا فتراجعوا
ويكشفها الامر الذى هو واقع
لما ناصر الحكام زييدا وشايعونا

سلوهم اما كان (الخليفة) حاكما
أما اختاره المهدي بالامس واليا
لماذا اذن يستكرون على ابنه
وهبهم يعادون الخليفة وابنه
وهل ضاق وجه الارض ان يفسحوا لمن
وهل بلغ استهتارهم ان يشوهوا
فقد دبروا تشتيت شمل صفوفنا
أما كان عن هذى البلاد يدافع ؟
فدان له الانصار جمعا وبايعوا ؟
مطالب حق ليس فيه منازع
فهل لم يكن باسم الخليفة جامع ؟
يوادونه والارض قفر بلاقح ؟
معالم للتاريخ فيها مراجع ؟
ولم تنج مما دبروه المخادع

إذا الفتنة الحمقاء أبدت نيوبيها
لقد خلسق المستعمرون صنائعا
وما كان للاوطان شأن اذا انبرى
سلوهم لماذا باركوا المجلس الذى
مقاعد لم يجلس بها غير مغرض
وظائف قد صيغت شراكا ليقعوا
تيمس بأن الشر لا بد واقع
وقالوا لهم قودوا الصفوف ودافعوا
يدافع عنها فى الصفوف الصنائع
مقاعد للغاصبيين اصابع
ولم يرضها الا الخئون المخادع
بها كل من فى منصب الحكم طامع

إذا الباطل الواهى اكفهر جبينه
لقد زعموا ان المجالس خطوة
ولو ادركوا قالوا المجالس خدعة
ولو انصفوا قالوا لجونبول انا
فما مجلس التشريع الا مطية
وما مجلس التشريع الا حكومة
أرادتها مسلوبة ورجالها
فان جبين الحق ابيض ناصع
فساروا اليها قانعين وسارعوا
وقالوا لوادى النيل انا نخادر
بغير الذى يرضى البلاد نمانع
ذلول مع الحكم الثنائى ظالمع
تشرع ما قد انكرته الشرائع
هم انجليز سودتها البراقع

تراهم حيال الانجليز . فساجد
جواسيس للأعداء عون وساعد
سماسرة هذا يساوم شاريا
وهذا يمني بالأرائك نفسه
فما كل من ضحى إلى المجد طامع
كفاحهم فعل مضى فهو ناقص
إلى ربه حمدا والا فراكسع
ولكن علينا اعين وطلائع
وهذا في سوق السياسة بائع
وهذا في ظل الأرائك قابع
وما كل من صلى إلى الله ضارع
وأما كفاح الشعب فعسل مضارع

فيا ويلهم ان يحكم الشعب نفسه
سيلقون عند الكادحين جزاءهم
وان كشفت يوم الحساب المراجع
متى ازدحمت بالكادحين الشوارع

عجبت لحكم لا يمثل اهله
اذا الحكم لم يأخذ بتمثيل شعبه
وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا
وان لم يكن للشعب حق يناله
فيرهقهم قسرا اذا لم يطلوعوا
فذلك في ثدى الاجانب راضع
من الشعب اطلاقا فما هو نافع
فلا هو محكوم ولا هو خاضع

الأشد ما تلقى اذا لم تقف لهم
يريدون تكميم الاسود بغايبها
اعدوا لنا شتى السلاح وفاتهم
صناديد دون الحق لا تراجع
لتنق في غاب الاسود الضفادع
بأن سلاح الحق لا يتقارع

لنا في ظلام السجن تسبيح ناسك
دعوهم يعدون السجن فائنا
مستى آمن الشعب المجد بحقه
اذا هبت الثورة يوما فكلنا
وما السجن الا الكفاح صوامع
على الحق ان الحق كالسيف قاطع
فكل جحيم التعظيم مراتب
سلاح وكل الثائرين مقاظع

فيا شعب وادى النيل حقك ضائع
صراعا يرى المستعمرون مضاعه
تحرك مليا ايها الشعب نحوها
اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
عليهم جعينا تصطلبه المضاجع
فليس الأماني دونها البون شائع

وحرر من الحرمان والجهل والضنى	وحسبك غيبنا انك اليوم جائع
تحرك فقد لاح الصباح بنوره	وها نوره فى (جبهة الشعب) ساطع
تحرك ففى ركيب التقدم منقذ	وفيه لاعلاء الشعوب مصارع
تحرك وأكسرها القيود فأتها	سلاسل رقي حضرمت وذرائع

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة	وما هو نظم فى الحماسة رائع
ولكنه سجن ونفى وشدة	وخرب وحرب تصطلى ومواقع
فما كل ذى درع من الطعن سالم	وما كل من ينجو من الطعن دارع
ولست حياة المرء الا وديعة	ولا بد يوما ان ترد الودائع

يا زعيم البلاد

وضح الصبح جبهة للعيان ..
واختفى من صفوفنا كل رعديد
وقف المؤمنون بالله جفا
كافحوا الغاصبين لما أهابت
يخافوا الرصاص دون أمانهم
واحدا اثر واحد أودعوا السجن
والطغاة الطغاة اربهم حتى
عذبوهم ، جوعوهم ، فويل
وضعوا فوق رأس كل سجين

لما يسوء بالحرمان
هزلا معذب الوجدان
فالذي يحكم البلاد الجاني

ورأت « مصر » محنة السودان
مع باغ يشتط في العبدوان
مع ما يدعيه من بهتان

من رسولي إلى الكنانة أنبيها
لورأنا نقول مصر تأذى
لم يجد حجة سوى البطش
كلما قالت الوشائج شعب

بكيد الدخيل للأوطان ؟
وتجدي القلوب بالسلطان
بالاحرار او منطلقا سوى الطغيان
واحسد ، قال : اننا شعبان

يا شعب

أين الطغاة الكاذبون	ليصبروا الحق المبين
وإين اذئاب الطغاة	لعلهم يراجعونا
والكافرون بشعبهم	الخارجون المارقونا
قولوا لهم ان كنتم	عند الجهاد متافقين
قد انزل الله السكينة	في قلوب المؤمنين

الشعب ها هو رابض	منبسل يحمي العزيزنا
والشعب ها هو هاتف	بحقوقه از تسمعونا
قد قاطع الجمعية	العرجاء بل حلف اليمين
آلى واقسم ان يحطمها	ولو يلتقى المنونا

يا ايها المستعمرون	الجائرون الغاصبون
تالله هذا الشعب	مظلوم وانتم ظالمونا
لن تفلحوا ان تحذونا	لا املئوا ولما ترهبونا
شردونا عذبونا	واملكوا منا السجون
بل حاربونا كيفما	شئتم والا فاقتلونا
انا ندين بحقنا !	افليس هذا الحق ديننا ؟

يا شعب كن حربا على	الباطل حتى لا يكوننا
يا شعب خذ حقك لا	تطلبه حتى لا تهونا
يا شعب كن صعبا على	الأعداء حتى لا تلبنا
لا تطلبن معيّنهم	واطلب من الله المعين
يا شعب واهتف غاضبا	فليسقط المستعمرون

يا شعب بل كانت قروننا	خمسسون عاما قد خلت
كالطير اذ هجر الزكونا	قد كنت فيها هائما
ظل التصور منعمينا	وتفيا الغمرباء في
لم تبكن فيه قطينا	فكأنما السودان ربع
استنزفو منك الشئوننا	الفقر والجهل الوخيم
استنفدا منك المعينا	والعري والمرضى العضال
كى يعيشوا أمينا	غبروك فامتصوا دماءك
يسين ايديهم رهينا	فالى متى يا شعب تحيا

تئن بالشكوى انينا	خمسون عاما خلفتك
وابقت الداء الدفيننا	سلبتك نعماء الحياة
لتذرف الدمع السخيننا	حرمك تقرير المصير

للألى يترددونا	يا شعب لا تترك زمامك
غلا تكن فرسا حرونا	ان القيادة في يديك
تنظر شمالا او يمينا	سرى نحو اهدافك لا
يعشى عيون الشائئيننا	حتى ترى النور الذى

فى السلاح مدججوننا	يا شعب جيلادوك هاهم
للغذاء مصفديننا	لم يكفهما انا نكافح
فى الدماء مضسرجينا	جاءوا الينا كى يرونا
كما يشاء الحاكمونا	فليسفكوا دمنا الزكى
كفاحنا ان نستعينا	سبظل احرارا بغير

وان تعيش مع الدنيا	يا شعب دونك ان تموت
أنفسهم فكانوا خالديننا	سلموا لوادى النيل

يا شعب ان لم تقلب
من يطلب الحسرية
الأوضاع كنت بها قمينا
الحمراء يفتح الحصونا
قامهر بلادك بالدم
القسماني ولا تجشئ المنونا

باقعة الوادى

انظم سرى المعانى من امانينا
واسبح مع الشعر فى علياء جنته
وصح لنا باقة مفه يقدمها
قلت اسمعوا فما يجديكم كلمى
قد صار ذكرهما يدوى بكل فم
انشودة الحب غنتها حواضرنا
يابن الخليفة، يابن الملك، آن لنا
هذا هو الشعب يمشى فى ركابكما
قد ودعوكم فما عادت قلوبهم
وعاهدوكم فما خنتهم عهودهم
اسمعنا صوتنا للعالمين كما
من اين يدري (جروميكو) وشيعته
شددت ما عضد اسماعيل بل لقد
القمتم حبرا وفد العدى فغدوا
(مهلا بنى عمنا مهلا موالينا
سرننا مع الشرق شرقا غير انكم
هل طرتم لتقولوا ان رايتكم
ام رحتم تدعون الملك يسندكم
قد فر شيطانكم لما بدا (عمر)
لو كان للملك ارثا كنت صاحبه

واطرب طاه اليوم تغريدا وتلحيننا
واقطف لنا من رياض الشعر سرينا
للوافدين وباسم الشعب واديننا
وان اتيتكم بالنجم موزونا
أنشودة هى أسمى من معانينا
فرجعتها باخلاص بواديننا
اليوم نفدى وفاء من مفديننا
جيشا تقودانه يغزو المياديننا
حتى رجعتهم هم امنا وتخصيننا
حتى طلعتهم هم كالسعد مبحونا
باركتما وفدنا معنا وتضمننا
لولاكم اننا نحيا مساجيننا
قويتما صحبه الغر الميامينا
يكما يلقنهم (جونبول) تلقينا
لا تنبشوا بيننا ما كان مافونا)
سرتهم مع الغرب غربا كي نخوتونا
كان السد يد وراى الشرق مأفونا
وفد الدخيل واطماع المفضلينا
كالنجم يبرجم بالحق الشياطينا
وكنت يا عمر الفاروق مأفونا

مندوب روسيا فى مجلس الامن يشير الى الانفصاليين

صدفت من أجل شعب النيل عن عرض الدنيا ولو ريمته أصبحت «قارونا»
 لا خير في ملك تسرى ازادته فينا و كان عليه التاج مرهوننا
 لم نسمع الدهر بالتيجان تصنع من احجار تاج يحلى رأس «نيرونا»
 التاج ما لم يضعه الشعب منقصة والحكم كان برغم الشعب أتونا

قل للألى حسبوا انا نسام متى حل الرقيق لكم حتى تسومونا
 انتم ضحايا امانى الانكليز فلا تقدمونا لعزائكم قرايينا
 الانكليز عرفناهم ونعرفكم كالذئب غندرا وكالحرباء تلويها
 لن شكونا لفضل الجنوب راوا ان ينشبووا رهبا اظفارهم فينا
 وان رأونا نصلى فى الجنوب على مرأى من الناس ، ويل للمصلينا
 او قلدونا وساما كان قصدهم ان نستكين وان نحنى نواصينا
 وان افاءوا علينا من مناصبهم قد سخرونا على ويلات اهلينا
 فلا يكفون اغلالا بارجلنا الا اذا احكموا تقييد ايدينا
 حرية عن السكسون نعرفها فقد سمعنا صداها فى فلسطينا
 قد قسمونا كما شاءت ارادتهم وفرقونا فلم تعمّر مغانينا

يا بن الخليفة شعب النيل قاطبة قد عاهد الله الا يرتضى الطوانا
 وعاهد النيل واسماعيل قائده ألا يمالىء دون الحق (سكسونا)
 فلتحى وحدة وادى النيل تخرجهم عنا فيجيا مع الاحياء واديننا
 تلکم مبادؤنا ان مسها غطس متنا اذن قبل ان تفنى مبادينا
 الشعب افضل ميزان لدعوتنا ياليتهم حكموا هذى الموازين
 ارادة الشعب فوق الحاكمين أجل بل انها السيف ذو الحدين مسنونا
 سل عن أذاها بنى التايميز ان غضبت وعن قواها فسل موسكو وبرلينا
 فهى السلاح اذا صلنا بقوة نلنا الامانى واخضعنا السلاطين
 يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها مدعده خوف و مذتوت عنخ آمونا
 ماذا يضير الاعادى منك ويجهم ان لم تكونى لهم صابا وغسلينا

مصر هي الرأس للسودان قل لهم
هيا اقنعونا بهذا الفصل — انكم
إننا لنا هدف دون الجلاء سدى
الله اكبر قال الشعب قولته
يا أيها الشعب سر نحو الحياة ونخض
ان كان للحق دون الموت من أثر

كلاهما وحدة جسما وتكويننا
او نحن ، ان تفلحوا ، كنا نجائنا
فسعى اليه فما تجدى اماننا
لما أراد فقال الحق آمينا
بحر الدماء فليس العمر مضمونا
نجيا ، والا فان الموت يدعونا

سجنوك

سجنوك ما سجنوا المروعة والشهامة والابساء
 سجنوك هل أعشوا عيون الحق أم حجبا الضياء
 سجنوك ما ظفروا بقلبك فهو حر كيف شاء
 قلب له فوق الكواكب من أمانيسه سماء
 قلب يدين بوحدة الوادى ويكفر بالخفاء

× × ×

(عبدون) لا تحفل فكم فى السجن غيرك أبرياء
 بالامس نالوا من ابيك وكان قطبا (للواء)
 واليوم نالوا منك انت وانت داعية الجلاء

× × ×

يا أحمد قم بالرسالة أدها خير الاداء
 واحمل إلى (الفاروق) من سردهانه تاج الولاء

× × ×

انى سألت الانكليز متى الجلاء بلا دماء
 قالوا سنبقى ما جرى فى حوض وادى النيل ماء
 ربحت تجارتهم وكان نفاقهم ثمن الشراء

× × ×

قف بى لدى عابدين لو اشفى غليل باللقاء
 وأبث لها الشوق المبرح قبلة فيها الشفاء
 قدم لدى اعتبارها شعبا توئب للنساء
 شعبا يرجى للضراب وللنزاع وللعداء
 تشجيه جلجلة الحديد هوى وتسكبه الدماء
 شعب يدين بوحدة الوادى يؤمن بالجلاء

ما راى كمن سمع

يا قطب ما راى بعينه كمن سمع النداء
 نخطفوك ليلاً هكذا اعماهم رهبن الخفاء
 أرايت كيف الحكم فى السودان ينكره القضاء
 ورايت كيف العدل فى أرجائه عمدا يساء ؟
 كيف الأسى والذل يفرضه علينا الاوصياء
 قالو نهىء نسياكم للحكم : قولكم هراء

× × ×

انى لنبهضنا وهم قد اقدونا القرفضاء
 سلبوا الحياة رواءها عنا وما سلبوا الشقاء
 تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء

× × ×

أيان حل ركابهم فعلى المسرات العفاء
 تؤذيهم ضحككتنا ويسبرهم منا البكاء
 قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

× × ×

قد كمنوا الأفواه كيلا تملأ الدنيا استياء
 وتفتنوا فى القيد كيلا تزرع الارض القضاء
 وأبو علينا أنة الشاكي وصيحات الرجاء
 قد أباستنا رحمة الارض فما شأن السماء

قال في معارضى وحدة وادى النيل :

جل وادى النيل

ايها النيل المفدى أجز غسيلنا وصـ
أو فقص عذبك الشافي وابدله سرابا
أو فقف يا نيل لا طببت اظامهم شرابا
كلما قلنا لهم ثوبوا يزيدونا ارتيابا
أتراهم يوم عقوا النيل قد فقدوا الصوابا

× × ×

حسبهم يا نيل نعمى منها العيايا
كلما أرويتهم زادوك همما واكتشبا
كيف يوفونك بال عهد الألى خائوا الكتبا
ان يكن فيهن مصيب لم يعش الا مصابا

× × ×

لو يقل فيهم مصيب قلل حطبه لا جطابا
واذا ساءلتهم فى أمرهم حاروا جوابا
جل وادى النيل أدب مع الاسد الذئابا .

عاش وادى النيل

ها هو الشعب بالأمس قد ودع وفنده
ثابت الايمان بالسودان لن ينقض عهده
رابط الجأش غداة الروح لا تننيه شمله
قد أتاك اليوم يا عيسد ليستوحيك مجده

× × ×

أنه يا عيسد جاء اليوم يستعرض جنده
يوم خف الوفد كالسيف الذى فارق غمده
يوم هب الشعب لاستقلاله شيئا ومرده
يوم قلنا لن يعود الوفد الا أن يرده
كم به قد سجل التاريخ للسودان بخلده

× × ×

قد مضى عام به قد كان يستجمع رشده
لم يكن فى غفلة بل كانوا يبلو فيه جنده
قد أتا اليوم يا عيسد لكى ينجز وعده
ويعيد العدة الكبرى لكى يكبر قيده

× × ×

كل من فى القطر مغبون يعانى اليوم سهره
طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خسه
فأذا ما صاح فى وجه الطغاة المستبده
جائع مرفع يشكو إلى الحاكم وجنده
قال حسدوه فكان السجن والتشريد حده

× × ×

هاهو الكاتب فى مكتبه يندب جنده

قد رأى الغاصب يستترقه جهدا وجهده
ولديه من نعيم العيش ما يعيبك سرده
فاذا ما قال انصفني غدا التكيل رده
غضبوا منه وقالوا انه جاوز حسيده

× × ×

ها هو الزارع لا يحني برغم الكد كده
حظه الاشواق م الشهد فلا يطعم شده
حسبة البرس الذي اضناه عدوانا وهده
يحصد العمر اجيرا انما يجهل حصده
فاذا قلنا هم اعطوه كي ينقذ ولده
غالطوا في اجره قالوا لنا لا شيء عنده

× × ×

ها هو العامل منهوك تحبال الشن جلده
يتفانى كلما أغروه كي يبذل جهده
فاذا ما طلب القوت الذي يكفل زنده
أعرضوا عنه وخلوه يعاني الموت وحده

× × ×

أن يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عنده
فاستغل الجهمل عوننا واستباح الفقر عنده
وأذاق الشعب صلبا وهو يستجديه رفده
وأذل النيل بالقوة كي يحتل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده
ثم آلى ان يرد اليوم للغاصب كيده
ها هو النيل المفدى ظل يستجد أسده
ها هي القوة تغلى في دم السودان وحده
ها هي النيران تجتاح الآلى يبغون وأده

ها هي الثورة كالبركان تدوي بل أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب الزاري عرفنا اليوم قصده
فليشرد من يشاء نيهات نبدي اليوم رعه
ومحالا ان يضل الشعب او يفرط عقده

× × ×

انه الغاصب كالخرباء قد غير برده
يظهر اليوم المحبة انما يبطن حقده
قد رآنا عصبه في وجهه كالصخر صلده
فانبرى يطلب من أسناده عوننا ونجده
واختفى من خلفهم كالذئب اذ يطلب صيده
فأتى بالمجلس الزائف يستجدي المسوده

× × ×

انه سخرية الاجيال اما شئت نقده
ليس هذا مجلس بل انه بوق (الاجنده)
فاذا قلنا ضعيف لن يحبل الدهر عقده
يدعي الحاكم ان الشعب لم يبلغ أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب عرفنا اليوم قصده
لن يقوم المجلس الزائف فلنخط لحده
قسما بالله لا حرية للشعب بعده
يسقط المجلس ترياق الطفاسة المستبده
وليعيش سوداننا حرا وعاش النيل وحده

لميلك مؤتمر السودان

الشرق يا عيد أدناه واقصاه
انظر اليه اسيرا في مرابضه
الغرب كان له ينقاد ممتثلا
قله يا عيد عن سلطان دولته
ابن التقي والنهي منا وابن هدى
أين الخلائف المسلمون وابن
ابن الكرامة الا أين الحماية فقد
عهد به سطر التاريخ صفحته
بنو أمية قد شادوا دعائمه
عهد غيرناه لا ننكح نذكره

عيد الفداء الأ لولا الفداء لما
سجية أدرك (ابراهيم) قيمتها
وكبر الله لم يحفل بفادته
ويح الخليل وقد دان الذبيح له؟
درس بليغ اذا ما شئت توضحية
التضحيات عماد الشرق قاطبة
لو كان واصلها ما اندك تالده

تنزل الشرق من عليائه فكبا
وهادن الغرب لم يدرك مطامعه
فأعجبت الليث فلاة بان يصحبه
وصار يحرسه خوفا ليطعمه

مذيع اخزاء تضليلا بدنياه
والغرب قد لمعت بالغدر عيناه
ذئبا يراوغه فاحتل مغنااه
من الفتكات اذا ما قال أواه

الليث من حوله القصبان مائله
وارحمته سلف الشرق المهيض ترى
بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا
أغرى اليهود فقال القدس موطنهم
(صهيون) ضرب من استعمار فخذوا
هيا بنى العرب فلنجمع كتائبنا
ما كان للذئب رغم الضعف يحشاه
عن النهوض فتات العيش أغناه؟
واليوم يرهقه (ترومن) بمسماه
لاموطن العرب واستغدى رعاياه
بناصر الشرق أن الغرب آذاه
صفاً وإلا غمدونا من ضحاياها

ها قد صبحا الشرق مأخوذا بعزته
وجرد السيف واستعدى الكماة على
وسار مؤتمر السودان سيلحق
لبيك مؤتمر السودان امض بنا
فمن سواك أصغى الشعب الكريم له
البرلمان رفعت اليوم رايته
لولاك ما نهض السودان متحدا
لولا جهادك كان اليأس اقعدنا
وساومتنا ذئاب لا ضمير لها
قضية النيل قد فصلتها فغدت
قلن ترى النيل اشلاء ممزقة
ونخاصمت نومها في الليل عيناه
صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
بالركب الخليل الا فالشرق قاذاه
إلى كفاح بنو السودان تهواه
ومن عداك سواد الشعب لياه
على البلاد وهذا ما تمتناه
او ما تنفس عما بات يلقاه
وارغمونا على وضع أيمنناه
وناب عنا دعى ما أثبناه
حقا يمزق للماجور دعواه
الا اذا غير السكسون مجراه

لبيك مؤتمر السودان امض بنا
من خلفك الشعب ان شئت القدا
ما انت الا لسان الحال انت له
إلى الكفاح بنو السودان تهواه
وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
السيف الموحيد الذي لم يبق إلاه

الليث من حوله القضبان مائله
وارحمته سلو الشرق المهيض ترى
بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا
أغرى اليهود فقال القدس موطنهم
(صهيون) ضرب من استعمار فخذوا
هيا بنى العرب فلنجمع كتابنا

ما كان للذئب رغم الضعف يحشاه
عن النهوض فتات العيش أغناه؟
واليوم يرهقه (ترومن) بمساعه
لاموطن العرب واستغدى رعاياه
بناصر الشرق أن الغرب آذاه
صفوا وإلا غدونا من ضحايا

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته
وجرد السيف واستعدى الكماة على
وسار مؤتمر السودان سيلحق
لبيك مؤتمر السودان امض بنا
فمن سواك أصغى الشعب الكريم له
البرلمان رفعت اليوم رايته
لولاك ما نهض السودان متحدا
لولا جهادك كان اليأس اقعدنا
وساومتنا ذئاب لا ضمير لها
قضية النيل قد فصلتها فغدت
فلن ترى النيل اشلاء ممزقة

وخاصمت نومها في الليل عيناه
صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
بالركب الجليل الا فالشرق ناداه
إلى كفاح بنو السودان تهواه
ومن عدالك سواد الشعب ليام
على البلاد وهذا ما تمتناه
او ما تنفس عما بات يلتناه
وارغمونا على وضع أبنسناه
وناب عنا دعى ما أثبناه
حقا يمزق للماجور دعواه
الا اذا غير السكسون تجراه

لبيك مؤتمر السودان امض بنا
من خلفك الشعب ان شئت القدا
ما انت الا لسان الحال انت له

إلى الكفاح بنو السودان تهواه
وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه

جامعة الخرطوم

مطبوعات دار التأليف والترجمة والنشر

الكتب العربية التي صدرت

المؤلف

- الاستاذ معاوية محمد نور
الاستاذ معاوية محمد نور
د. محمد ابراهيم أبو سليم
د. علي أحمد سليمان
د. سعيد محمد أحمد المهدي
د. عثمان حسن سعيد
د. عبد الرحمن الطيب علي طه
الاستاذ موسى المبارك
الاستاذ مصطفى سند
الاستاذ جمال محمد أحمد
الاستاذ علي الملك
لجنة الدراسات الاقتصادية
بنك السودان
د. عون الشريف قاسم
د. ابراهيم العردلو
د. يوسف بشاره
د. يوسف فضل حسن
الاستاذ ابراهيم اسحق
الاستاذ محبوب محمد صالح
الاستاذان: صلاح أحمد ابراهيم وعمل الملك
د. محمد ابراهيم الشوش
الاستاذ قاسم عثمان نور
د. متوكل أحمد أمين
د. سعيد محمد أحمد المهدي
الاستاذ محمد محمد علي
د. غيد المجيد حابدين
د. محمد سليمان مياجين

الكتاب

- ١٥ دراسات في الأدب والنقد
٢٥ قصص وخواطر الجزء الثاني
٣٥ الحركة الفكرية في المهدي
٤٥ الضرائب في السودان
٥٥ معجم المصطلحات القانونية
٦٥ اجراءات تحرير الاقتصاد السوداني
٧٥ تاريخ دارفور السياسي
٨٥ البحر القديم « شعر »
٩٥ سأل فو حمر « قصص »
١٠٥ نماذج من الأدب الزنجي
١١٥ تأميم المصارف في السودان
١٢٥ دبلوماسية محمد
١٣٥ الصهيونية وعداء السامية
١٤٥ كوبا الجزيرة التي أصبحت
١٥٥ طبقات ود ضيف الله « تحقيق »
١٦٥ أعمال الليل والبلدة
١٧٥ الصحافة السودانية في نصف قرن
١٨٥ الأرض الآثمة « مترجمة »
١٩٥ الشعر الحديث في السودان
٢٠٥ مصادر الدراسات السودانية
٢١٥ بغانخي « مترجمة »
٢٢٥ الجريحة والعقوبات
٢٣٥ غلال شارد
٢٤٥ دراسات سودانية
٢٥٥ خواطر طبيب

٢٦٦ « ٢٧ » الفكر الإسلامى والفلسفات د . عبد القادر محمود

المعارضة (جزءان)

٢٨٥ « ٣١ » أفق وثفق « ٤ أجزاء »

« تحقيق »

٣٢٥ « نحو الغد

٣٣٥ « القصة الحديثة في السودان

٣٤٥ « نماذج من القصة القصيرة في السودان

٣٥٥ « مبادئ الكونيات

٣٦٥ « صحر الكلمات المنسية

٣٧٥ « مسائل في الابداع .

٣٨٥ « أطفالنا غذاؤهم وصحتهم

٣٩٥ « حصار وسقوط الخرطوم

٤٠٥ « أدب وادباء .

٤١٥ « التربية من أجل الاعتماد على النفس

٤٢٥ « اتجاهات وميول الطلاب

٤٣٥ « محمد علي في السودان

٤٤٥ « غربة الروح

٤٥٥ « تصدع وقصص أخرى .

٤٦٥ « نداء المسافة « شعر »

٤٧٥ « العودة إلى سنار .

٤٨٥ « الرحيل في الليل

٤٩٥ « في المسرحية الأفريقية

٥٠٥ « الشرافة والحجرة

٥١٥ « المهدي والخبشة

٥٢٥ « القصيدة المادحة

٥٣٥ « حوار مع الضفوة

٥٤٥ « مدينة من قراب

٥٥٥ « رسائل عثمان دقنة

٥٦٥ « دراسات في علم الأنثروبولوجيا

٥٧٥ « مع ابي الطيب (طبعة ثانية)

٥٨٥ « شعراء الوطنية

دوريات عربية :-

مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريباً :

١٥ « الدين في الاطار الاجتماعي

٢٥ « مقدمة في الرياضيات الحديثة

الشاعر توفيق صالح جبريل

د . محمد إبراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن

محمد أحمد محبوب

الاستاذ مختار عجوبة

الاستاذ مختار عجوبة

الاستاذ الامين محمد احمد كمورة .

النور عثمان ابكر

الاستاذ جمال عبد الملك ابن مخلدون

دكتور حافظ الشاذلي

ميمونة ميرفتي حمزة

دكتور محمد إبراهيم الشوش

ترجمة الاستاذ علي البصري حمزة

د . السمانى عبد الله يعقوب د . عزيز حنا داؤد

دكتور حسن أحمد إبراهيم

دكتور إبراهيم الحارثي

القائرون في مسابقة المجلس القومي للآداب

والفنون

تيراب الشريف

محمد عبد الحى

الاستاذ عبد الرحيم بو ذكري

الاستاذ جمال محمد أحمد

محمد المهدى مجذوب

محمد سعيد القيدان

محمد عبد الله الطيب

دكتور منصور خالد

الاستاذ علي المنك

محمد إبراهيم أبو سليم

د . عبد القادر محمد أحمد

البروفيسور عبد الله الطيب

صلاح الدين المليك